يقولون..

عن الإسلام

د. عبد الحافظ سلامة حامد

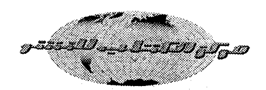
الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م



يوجد بعض الميل
في [illegible]

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م



مصــر الجديـــدة: ٢١ شـــارع الخليفـــة المأمـــون - القاهـــرة
تليفـــون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكـــس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر
مجمـع البحـوث الاســلامية
الادارة العــامة
للبحــوث والتــأليف والترجمــة

نموذج رقم ١٧
AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Tra[illegible]

٨١٥٤
١٣

السـيد / أ.د/ [illegible]

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : [illegible]
تأليفكم [illegible]

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

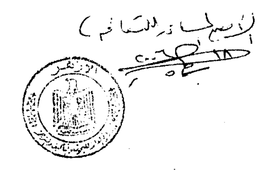
مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والاحاديث النبـوية الشريفـة . [illegible]

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

تحريرا في ٢٠ / ربيع الآخر / ١٤٢٧ هـ
الموافق ١٨ / ٥ / ٢٠٠٦ م

مدير عـام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة



يعتمد
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
إبراهيم عطا الفيومي



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقــدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله ملء كونك، ملء كرسيِّك وعرشك، ملء سماواتك وأرضك، وملء قلبي وقلوب المؤمنين أجمعين، الحمد لله عدد أسمائك وصفاتك، وعدد كلماتك، وعدد مخلوقاتك، وعدد تسبيحاتهم منذ خلقت سماواتك وأرضك إلى يوم الدين، الحمد لله حمدًا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، الحمد لله على ما أعطيتنا ما لم تعطه لملايين من خلقك فجعلتنا خلفاءك في الأرض، ومننت علينا بنعمة الإسلام والإيمان والقرآن والعلم والحكمة، وعلمتنا ما لم نكن نعلم، وكان فضلك علينا عظيمًا، الحمد لله في السراء والضراء، والحمد لله حتى ترضى، وآخر دعوايَ أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين المرسَل رحمةً للعالمين، البشير النذير، الشفيع عند رب العرش العظيم، والسراج المنير، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعترته والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، وعلى جميع أنبيائك ورسلك: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، ويوسف، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وذي النون، وذي الكفل، وأيوب، واليسع، وإلياسين، وزكريا، ويحيى، وعيسى ابن مريم، والرسول الخاتم محمد، وعلى جميع ملائكتك، وحملة عرشك، والحافين حول عرشك، وملائكتك المقربين.

منذ بدء البشرية والكافرون والمشركون بالله يعاونهم الشيطان الرجيم وأعوانه من شياطين الإنس والجن، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، في حرب مستمرة مع جميع الأنبياء والرسل وما جاءوا به حتى جاء الإسلام الدين الخاتم فلم يتركوا كتاب الله ولا رسوله، إلا أرجعوا إليه كل نقيصة إلا المنصفين منهم، والذين رجعوا إلى عقولهم وضمائرهم، وليس لأهوائهم وشهواتهم في التجريح، وبالرجوع إلى النصوص وليس إلى

السلوك؛ فهناك فارق شاسع بين نصوص الديانات وبين سلوك أفراد هذه الديانات؛ فرق شاسع بين كلام الله وتعاليمه وسنن رسله لإنقاذ البشرية من فسادها واضمحلالها؛ حتى يعم الخير، وبين تعاليم الفلاسفة والعلماء العلمانيين التي تدمر البشرية وتهدم الإنسانية.

وهناك العديد من الأسئلة التي يطرحها البعض إما عن خبث؛ ابتغاء الفتنة والضلالة، وتأويل النصوص، وأسئلة تريد أن تعرف الحقيقة، وقد تعرضت في صغري إلى سؤال من أخت مسيحية:

أنتم تقولون: إن الله وملائكته يصلُّون على النبي، هل يسجد الله لنبيكم؟

فلم أجاوب جهلًا مني، وابتسمَت وتركتني، ومضت الأيام وأنا في غفلة الحياة ومشاغلها مع صلاة وصوم وزكاة أيضًا بلا تدبر ولا علم، حتى منَّ الله عليَّ وهداني إلى نعمة التدبر في القرآن والسنة، وبفيض علمه قد هداني إلى كتابة العديد من الكتب الدينية، وجاء أخ فاضل، وقال لي: لماذا لا تكتب وترد على ما يقولونه عن الإسلام والرسول الكريم؟! فقد سأله سائل أيضًا:

الجنة عندكم في القرآن نساء وولدان وخمر...؟ جنة مادية جنسية...، وجاء آخر، وحدثني أن ابنته الطالبة في الجامعة في كلية الآداب سألته: إذا كان الإسلام الدين الكامل كما تقولون لماذا لم تبدأ البشرية به؟ ولماذا وجدت الديانات الأخرى؟

هذا علاوة على ما تعرضت له من أسئلة أثناء سفري إلى الخارج؛ مثل: لماذا لا يأكل المسلمون الخنزير...؟ وهنا قفز إلى ذهني السؤال الأول: كيف يصلي الله على النبي؟

وبدأت الشرارة الأولى في كتابة الرد على ما يثار عن الإسلام ورسوله بعد ما تابعت ما سبق كتابته من العلماء الأفاضل الذين ردوا على المستشرقين والعلمانيين، وذلك بأسلوب علمي وعقلي كما يريدون بعيدًا عن المهاترات.

وأخذت افتراضات من يخوضون في الإسلام، وسنة رسول الله ﷺ، وسلوكه، والقرآن سواء المستشرقين، أو العلمانيين، أو المتأسلمين؛ وهي أن القرآن ناتج ثقافي مؤلف من محمد، أو القرآن أخذه محمد من العهدين (القديم والجديد)، أو أنه أُملِي عليه من ورقة بن نوفل، أو ...، أو... وهي أساس المناقشة، ودخلت إلى القرآن؛ لندحض نظرياتهم، أو نثبتها، أو نؤكد افتراضاتهم، وقد أخذت الموضوعات العلمية، دون الآيات المتشابهة، وغير المتشابهة، والنصوص اللغوية؛ لأنها ليست من تخصصي، وناقشت هذه الموضوعات العلمية التي ذكرت في آيات القرآن، وتفسيرها والتي لم يوجد مثيل لها سواء في العهد القديم أو الجديد، أو أية كتب أخرى للديانات غير السماوية، أو حتى المخطوطات قبل الإسلام، وقد تبين لنا أن هذه الآيات لا يمكن أن يكتبها بشرٌ مهما كان متعلمًا في هذا الزمان السحيق، أو حتى في زماننا هذا حيث الكمبيوتر وخلافه، وإن هذا القرآن منَزَّل مثلًا من عند الله، ليس هذا فحسب فحتى ترتيب سوره تعتبر آية من آيات الله.

ثم رددت على الأسئلة العديدة المثارة التي تتناول الرسول أو الإسلام، من حيث: انتشار الإسلام بالسيف، والرق في الإسلام، و....

وبنفس المنهج العلمي والعقلي، وقبل الانتهاء من الكتابة وجدت نفسي غير قادر على الكتابة، وداخل نفسي الرغبة في دراسة العهدين القديم والجديد، وأعمال الرسل للديانتين اليهودية والمسيحية؛ لمعرفة أسس هذه الديانات، وكذلك النصوص التي تحتويها هذه الكتب، وقد قمت فعلًا بدراستها بنفس أسلوب دراستي للقرآن، بإعمال العلم والعقل معًا لمعرفة الحقيقة، مع الأخذ في الاعتبار الأسئلة المثارة ضد القرآن ورسول الله؛ فأعيد كتابة كتاب آخر بعد آخر؛ فكان ردِّي أولًا من النصوص المذكورة في كتبهم ومن ثقافتهم هم، وكان توفيقًا من الله -سبحانه- في استكمال الردود بصورة أدق وأوضح.

وبدراستي لهذه الديانات السماوية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلام؛ فقد وجدت تعانق هذه الديانات في كثير من المبادئ الأخلاقية والمعاملات، ولِمَ لا؟

فالمصدر واحد هو الله -سبحانه- فلا تعارض ولا مشاحنات، بل تكامل لخير البشرية جميعها؛ حيث جاء الإسلام الدين الخاتم داعيًا: لا فرق بين أنبياء الله ورسله، وكذلك لا فرق بين أي من كتبه في أوائل سور القرآن (في سورتي البقرة، وآل عمران) قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ١ - ٤].

وقبل أن أنهي الكتاب للمرة الثانية جاء التساؤل: أنت ناقشت، ورددت على الأسئلة عن الإسلام ورسوله؛ فأين رسول الله ﷺ من هذا الكتاب؟ خصوصًا أن سيدنا محمدًا ﷺ لم يأتِ بجديد في العقيدة حيث أرجع الله -سبحانه وتعالى- الدين إلى مصدرِه الأول وهو الإسلام على ملة إبراهيم حنيفًا، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢ - ١٣٦].

فبماذا جاء الرسول محمد ﷺ ؟ قال ﷺ: «جئتُ لأتمّمَ مكارمَ الأخلاقِ»، جاء متممًا لا ناقصًا، جاء مفسرًا لا جارحًا، جاء هاديًا لا مضلًّا، جاء رحمة للعالم أجمع لا نقمة على العالم، وقد وصفه الله في أول آيات القرآن نزولًا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

فذهبت إلى السنة الشريفة من أحاديث قدسية، وغيرها مزينًا المواضيع بأحاديث رسول الله؛ فهو لم يترك الإنسان قبل ولادته وهو في بطن أمه حتى مماته إلا هاديًا إلى الطريق المستقيم.

وحتى يكون الكتاب شاملًا ليس للرد على التساؤلات أو التجريح، وما يثار الآن ضد الإسلام ورسوله وأتباعه، وما ينعتونه به من صفات؛ ولكي أبيِّن للمسلمين قبل غيرهم أن الإسلام دين ذو مناهج عديدة، يحكم سلوك الأفراد، والمجتمعات، والمجتمع البشري بأكمله، مناهج لم نرَ مثيلًا لها في الكتب السماوية الأخرى، بل جاء مكمِّلًا متممًا لما جاء بها؛ إنه منهج الإسلام في النظافة الجسدية، والعقلية، والنفسية، والأخلاق، منهج الإسلام في الآداب والمعاملات الإنسانية، والمعاملات المالية، وفي الحكم، وفي العدل، وفي العلم حتى يلمَّ الإنسان المسلم، أو غير المسلم بهذا الدين مسلِّمًا بقواعده، وفكره، ومناهجه في الحياة، فلا يتطاول على الله وكتابه ورسوله جهلًا وطغيانًا.

هذا علاوة على ما تقدم أقر هنا أنني عند الإجابة عن بعض الأسئلة المثارة كانت إجاباتي موثقة من العهدين القديم والجديد، بذكر الكتاب، ورقم الإصحاح الذي يحتويه، وكذلك اسم السورة ورقم الآية في القرآن الكريم، والحديث يكون أيضًا موثَّقًا؛ حتى لا يكون الكلام أو الرد مرسلًا، بل يكون الرد موثقًا شافيًا يحاكي العقل والمنطق لا الأهواء والشبهات؛ ليزداد الناس علمًا بما يخوضون فيه خصوصًا عند تناول مواضيع تخص العقائد، ونصوص سماوية منزلة من عند الله تعالى، وليزداد المسلمون فهمًا لدينهم، وكذلك علاقة الإسلام بالديانات السماوية الأخرى، وكذلك ليعرف غير المسلم بما يجيش في صدره من تساؤلات

واستفهامات عن هذا الدين؛ لأنه يأخذ الدين من سلوك أفراده، وهذا خطأ شائع، وليعرف المسلمون كيف يردون على هذه الهجمة الشرسة والمستمرة بلا هوادة بجميع وسائل إعلامهم المكتوبة، والمسموعة، والمرئية ضد الإسلام، ورسوله، والمسلمين؛ حيث أرجعوا كل نقيصة إليه، فهو دين يدعو إلى العنف والإرهاب، دين يؤدي إلى التخلف، دين يؤدي إلى مجتمعات بدائية برابرة... لا حريات، لا ديموقراطيات، ازدواجية في المعايير، وقصور في الفهم، وبدأت الحملة الصليبية الحديثة بقيادة الأمريكان، وبالأسلوب القديم أسلوب القمع والقتل والسلب، واحتلال الأرض، واستنفاد ثروات الشعوب خصوصًا الشرق الإسلامي، وباسم الدين، والدين منهم براء، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فسادًا، وتدميرًا، وقتلًا، ونهبًا، وسلبًا باسم الديمقراطية تارة، وباسم محاربة الإرهاب تارة أخرى.

وقد أفردت ما سبق أن أثرته من مواضيع مختصرة، وفي عجالات صغيرة في كتاب من فيض علم الله أسميته (عمَّ يتساءلون عن الإسلام ورسوله... ويقولون عن الإسلام ورسوله) سائلًا الله -سبحانه وتعالى- أن يغفر لي إن أخطأت، وأن يُثيبني إن أصبت، وأن ينفع الناس به إلى يوم الدين، وأن يتقبله مني ويجعله ثقلًا في ميزاني، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد الحافظ سلامة حامد

الباب الأول

يقولون القرآن مؤلَّف وليس وحيًا

أولاً : ردُّ الله -عزَّ وجلَّ- في القرآن العظيم على الافتراءات التي أثيرت على القرآن ورسوله.

ثانيًا : العلم في القرآن.

ثالثًا : التاريخ في القرآن.

رابعًا : القصص في القرآن.

خامسًا : الجنة في القرآن.

سادسًا : ما فرطنا في الكتاب من شيء.

سابعًا : هل الله في العهد القديم والجديد كما في القرآن المجيد؟

ثامنًا : أسلوب الكتابة في القرآن الكريم.

تاسعًا : إعجاز ترتيب السور في القرآن الكريم.

أولاً

ردُّ الله -عزَّ وجلَّ- في القرآن العظيم على الافتراءات التي أثيرت حول القرآن ورسوله

وقد ذُكِرَ في القرآن الرد من الله على ما قالوه في حينه؛ ولعلمه المسبق أنه سيتناوله الناس إلى يوم الدين في الشرق والغرب من العلمانيين، والمستشرقين، والمنافقين، والمتأسلمين، والذين في قلوبهم مرض،ففي أول الدعوة جاء القرآن بما دار بين المشركين في شأن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم كما يلي:

١- أنه شاعر

فلو كان شاعرًا لنظم الشعر قبل أن يقول: إنه نبي ورسول، ولظهرت له القصائد والملاحم مثل امرئ القيس مثلًا، وملأ المنتديات، وحضر عكاظ ودار الندوة؛ حيث كان الناس يتبارون في إبراز مهاراتهم في قرض الشعر، ولذاع أمره بين الناس في هذا الشأن وهذا لم يحدث: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

٢- علّمه بشر

فإن كان الذي علمه بشرًا كما يدعون؛ كصهيب الرومي وهو روماني ذهب إلى مكة يبحث عن الحقيقة وعن النبي المنتظر، أو سلمان الفارسي وهو من فارس، وجاء أيضًا لنفس السبب السابق، ولغته فارسية فقد ردَّ الله عليهم أن ألسنتهم أعجمية، رومي وفارسي، ولا ينطقون العربية وهذا كتاب عربي مبين وهو إعجاز لغوي بشهادة العرب أنفسهم، فإن كانوا هم الذين علموه العهدين القديم والجديد، والثقافات البابلية، والإغريقية، فأين هم من هذا المؤلف؟

ولماذا لم يعلنوا في حينه أنهم هم أصحاب هذا الكتاب، وقد أُوذوا في حياتهم

وجُرِّدوا من ممتلكاتهم عندما أتبعوه، وحاربوا بجانبه في سبيل نشر دعوة الإسلام؟

وكان محمد فقيرًا، ولا يستطيع أن يدفع لهم، وضعيفًا لا يستطيع أن يبطش بهم، وكانت لديهم القدرة على أن يكسبوا من المشركين واليهود الأموال الطائلة والعزة بينهم إن هم كذَّبوه، وقالوا: نحن الذين علمناه هذا الكلام، ولم يحدث ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان: ٤].

٣- أنه إفك ومفترى وأنه أساطير الأولين

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣]، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥].

يتحدى الله -سبحانه وتعالى- في الآيتين السابقتين الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وهذا التحدي سائر للآن، وعندكم أجهزة الكمبيوتر العملاقة ومعلومات وتقنيات، ولو بعشر سور مفتريات كما تدَّعون قيل وصل التحدي إلى أن يأتوا بسورة واحدة فلم ولن يستطيعوا؛ لأن الله هو القائل: ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

٤- تكذيبه

قبل الرسالة كان وصفه بينهم بأنه الصادق الأمين، وكانوا يُودِعُون عنده أماناتهم عند سفرهم حتى بعد ما بُعث، ولكن بعد البعث كذَّبوه، وقد دأب اليهود على تكذيب أي نبي ورسول يأتيهم حتى ولو أحضر معه الآيات والمعجزات الدالة على صدقه أنه مرسل من عند الله، ألم يكذبوا سيدنا المسيح بالرغم من الآيات التي أرسل بها إليهم؟ واتهموا سيدتنا مريم العذراء البتول بكل

نقيصة، قال الله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

٥- أنه متعلم وليس أميًّا

إن كان متعلمًا كما تدعون فلماذا لم يُعرف عنه ذلك قبل البعثة، ويكتب العقود؛ حيث كان تاجرًا مشهورًا في مكة قبل البعثة، وكان القرشيون أول من كذبوه عندما ادَّعى أنه أُمِّيٌّ في القرآن، ويجادل المستشرقون ويدعون أن كلمة أُمِّيٍّ يعني: أُممي مشتق من الأمم، ولكن المعروف لغويًّا أن اليهود كانوا يصفون العرب بأنهم أُمِّيُّون بمعنى: لا يعرفون القراءة والكتابة، وبمعنى أدق أنهم كما ولدتهم أمهاتهم.

وقد ناقش الله -سبحانه وتعالى- الكافرين، ودحض افتراءهم بأنه ليس أميًّا؛ إذ قال لهم: إنه عاش بينكم قبل أن يقول: إنه رسول أربعين سنة، ولم يشاهدوه وهو يقرأ، أو يكتب فلماذا تقولون الآن: إنه ليس أميًّا، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٦].

وتعتبر أمية الرسول آية من عند الله؛ حيث ذكر الله أنه لو كان متعلمًا يقرأ ويكتب لكان المكذبين بهذا القرآن أكثر، وكان الارتياب في القرآن كبيرًا.

هذا ردُّ الله -سبحانه وتعالى- عليهم في القرآن، ونحن نعلم أنهم لا يؤمنون بما جاء فيه، وألغوا عقولهم وما يساق إليهم من حجج وبراهين، وكما يعتبر القرآن إعجازًا لغويًّا لا يمكن تقليده ولا محاكاته، وقد فشلت فعلًا جميع المحاولات في ذلك وأنتجوا نصوصًا ركيكة، هذا علاوة على ما يحتويه هذا الكتاب من معلومات وحقائق علمية غير واردة، لا في العهد القديم ولا في الجديد، ولا في الثقافات السابقة ولا اللاحقة.

كيف لبدوي أن يدعو الإنسان إلى أن يسمو بنفسه، ويعرف قدره، ويتدبر في

الخلق حوله، ثم يضع القوانين اللازمة لحياته، وعلاقته بأسرته، ومجتمعه المحلي، ومجتمعه الإنساني، وأن يضع آلاف الآيات، أو الجمل العلمية الدقيقة في كتاب، ثم يقال عليه: إنه مؤلَّف من عند بشر! كيف كان مكسبه من هذا الكتاب، وما عاناه هو وأتباعه من الظلم، والقهر، والقتل؟ وبعدما كان تاجرًا غنيًّا مات وهو فقير، ولم يكن في منزله درهم واحد في حجرة سقفها جذوع النخل، وأرضها مفروشة بالحصير، ثم يقال عليه: إنه مُدَّعٍ ومات.

ثانيًا
العلم في القرآن

وسأذكر بعض الموضوعات في القرآن الكريم تبيِّن لنا صدق ما جاء به، وأنه منزل من عند الله ردًّا على ما قيل عنه من حيث احتوائه على دلالات علمية لم يظهر تفسيرها إلا حديثًا مع تطوير العلوم، فكيف وردت هذه الحقائق العلمية في حينها منذ أربعة عشر قرنًا، فمن أين جاء بها؟ كيف صاغها؟ وكيف تناول هذه المعلومات الشديدة التعقد في آية صغيرة؟ وكيف لإنسان مهما كان متعلمًا ومثقفًا وفيلسوفًا أن يكون عالمًا في علوم البيولوجي، والجيولوجي، والفلك، والتاريخ ... إلى آخره، سألقي بعض الضوء على بعض هذه الموضوعات العلمية التي لم تورد في كتاب من قبل نزول القرآن.

من العجيب أن هذا الكتاب الذي ظهر منذ أربعة عشر قرنًا في بيئة صحراوية بدوية يحتوي على أكثر من (٢٠٠٠) ألفين من الجمل، أو الآيات العلمية التي لم يظهر تفسيرها إلا في القرن العشرين والحادي والعشرين، وسوف تتوالى الحقائق العلمية التي يحتويها القرآن إلى يوم الدين، ثم يخرج علينا -ليس المستشرقون فقط- بل بعض العلمانيين، والمنافقين من المسلمين، ويدَّعون أن القرآن ناتج ثقافي، وقد يكون للمستشرقين بعض العذر؛ لعدم إلمامهم التام بالعربية، وأنهم مدفوعون بغيرتهم على دينهم في تجريح الآخرين، ولكن ما عذر المسلمين الذين ساروا على نهجهم في تجريح القرآن بحجة البحث العلمي والآخرين لطلب الشهرة، وإرضاء أوليائهم فألغوا عقولهم، واتبعوا أهواءهم، وتكلموا بغير علم؛ ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وقد أعلمنا الله بأخبارهم في الآية الكريمة الآتية، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

نعم يا الله نشهد أن ما جاء في هذا الكتاب هو الحق، وعندما أعملت عقلي في آيات

الله في القرآن فقد وجدت أن أول آية نزلت في هذا الكتاب المبين هي (اقرأ).

فكيف يكتب عن نفسه، ويقول: اقرأ، ويدعي أن جبريل قال له: اقرأ وهو لا يعرف القراءة والكتابة؟ هل هو كاتب هذا الكتاب، أم جبريل هو الذي أوحى إليه؟ ولأمانة التبليغ قال لنا الرسول ما سمعه بالضبط، واقرأ هنا ليس أمر القراءة للرسول ﷺ فقط، ولكن الأمر هنا من الله -سبحانه- لكل مَنْ قرأ الآية، ففي أول آيات نزلت في القرآن: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

ما الفرق بين اقرأ في الآية الأولى، واقرأ في الآية الثالثة؟

نحن مستمرون في فرضية أنه متعلِّم، وأنه مؤلِّف القرآن، وأنت أيضًا متعلم مثله، ودائرة معلوماتك المفروض أنها مئات أو آلاف أضعاف المعلومات المتوافرة لدى زمانه، كيف ربط هذا المؤلِّف بين علم المشاهدة، وأن تقرأ في كتاب الكون، وأن تبدأ بنفسك، وأنك مخلوق من علق، وليس من نطفة مثلًا (لم يُعرف أن النطفة تتحول إلى علقه في جدار رحم الأم إلا بعد اكتشاف علم الأجنة) ولكنه ذكر ذلك في آية علمية أخرى في سورة المؤمنون: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

أطوار الجنين في بطن الأم، علم الأجنة -سبحان الله- وبكل دقة؛ ولذلك قال الله سبحانه: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق: ٢] لأن النطفة يمكن أن تُقذف خارج الرحم، وبالتالي لا يتكون جنينٌ، والنطفة الوحيدة التي تلَقَّح البويضة هي التي تكوِّن العلقة وهو علم المشاهدة، أما اقرأ الثانية في الآية الثالثة أن تقرأ في الكتاب المسطور المدوَّن، أي: العلم المكتوب بالقلم، وهذا العلم الذي علمه الله للإنسان منذ خلقه وما زال يمده بالعلم إلى يوم الدين، علَّم الإنسان ما لم يعلم.

١- علم المشاهدة والعلم التجريبي

كما بيَّن لنا الله أيضًا في القرآن في آيتين متتاليتين في سورة البقرة أن العلم أيضًا ينقسم إلى قسمين: علم المشاهدة، والعلم التجريبي؛ حيث ذكر لنا في الرد على سؤال واحد من فردين مختلفين زمنيًّا وهو: كيف يحيي الله الموتى؟ وكان الرد عليهما بـ:

(أ) علم المشاهدة

كان الرد على سيدنا عزير عندما سأل الله -سبحانه- كيف يحيي الموتى؟

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

لاحظ في هذه الآية أن الله قال له: انظر إلى نفسك لقد متَّ مائة عام، وعلى الرغم من مرور مائة عام انظر إلى طعامك وشرابك لم يتغيرا، وانظر إلى حمارك وهو عظام نخرة، وانظر إلى عظام حمارك كيف نجمعها ونقيمها، ثم نكسوها لحمًا أمامك.

النتيجة أن الله على كل شيء قدير في إحياء الموتى، ومثل هذا العلم عند مشاهدة نيوتن سقوط التفاحة من الشجرة أمامه فاكتشف نظرية الجاذبية الأرضية، وهو العلم الذي نأخذ به في حصولنا على الطفرات النباتية، والحيوانية، وخلافه عند مشاهدتنا ما يحدث أمامنا من مظاهر مختلفة في الكون.

(ب) العلم التجريبي

ادَّعوا أن العلم التجريبي بدأ في عصر النهضة في أوربا، ولكن نقول لهم: لا، والدليل الآية التالية، وهي أيضًا الإجابة عن كيف يحيي الله الموتى، وهذه المرة مع سيدنا إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

النظــريـة

كيف يحيي الله الموتى؟

التجــربـة

خذ أربعة مكررات من الطير، ثم قطعهن واخلط أجزاءهن، ثم قسِّم الخليط إلى مكررات أخرى، وضع كل مكرر على جبل، ثم ادعوهن يأتينك سعيًا.

النتيجــة

قدرة إحياء الله الموتى، يلاحظ في العلم التجريبي أخذ أربع مكررات مثل ما نتبعه عند إجراء تجاربنا في المعمل فكلما زادت المكررات زاد تأكيد المعلومات التي نحصل عليها، أما في علم المشاهدة فلا توجد مكررات، الظاهرة واحدة وغير متكررة، ولكن عشوائيًّا، وكانت التجربة على عينة واحدة وهي الحمار.

أما في التجربة الثانية:

كانت التجربة على طيور؛ لأن الإنسان أكثر جدلًا. فإذا كانت أربعة مكررات من حيوانات، ودعاهن وأتين سعيًا لقيل: هي حيوانات أخرى غير حيوانات التجربة، ولكن أخذ الطيور، وعندما دعاهن قال: يأتينك سعيًا فلماذا لم يقل يأتينك طيرًا؟ وهي الأوقع ولكن لو جاءت طيور التجارب طيرًا لقيل: إن هذه الطيور غير طيور التجربة؛ ولذلك أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يؤكد التجربة بأن جعل التجربة على الطيور وبعد تقطيعهن، وخلطهن، وتوزيعهن على الجبال يأتين سعيًا،

أي: سيرًا والنتيجة أن الله -سبحانه وتعالى- يحيي الموتى.

هذه تجربة علمية تجريبية فمن أين جاء هذا الفيلسوف في الصحراء بهذا التقسيم: علم المشاهدة والعلم التجريبي؟ وعندما أخذ المسلمون الأوائل بهذه الأوامر برعوا في جميع العلوم التجريبية؛ فهذا ابن النفيس يكتشف الدورة الدموية الصغرى في الإنسان، وهذا ابن الهيثم، وابن سينا، وجابر بن حيان... ومئات من العلماء الذين اتبعوا هذا المنهج في مختلف العلوم، ولولاهم ما كانت هناك حضارة عالمية ولا أوربية؛ حيث وصلت هذه العلوم وهذا المنهج إلى أوربا عبر علماء الأندلس.

ومن الآيتين السابقتين بَيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- أن قدرته ليست فقط في إحياء الموتى من البشر كما حدث مع عزير حيث أصبح عزير آية من آيات الله، وقد فُتِن اليهود به، وقالوا: عزير ابن الله، بل أظهر الله -سبحانه وتعالى- قدرته على إحياء الموتى من الحيوانات مثل: حمار عزير، وطيور إبراهيم، وسمكة سيدنا موسى مع الخضر وهي قدرة الله المطلقة في إحياء الموتى، فأي مؤلِّف هذا يستطيع أن يجمع هذه الحقائق في ثلاث أو أربع جمل في كتابه؟ وكيف لمؤلف في الصحراء أن يصوغ هذه المعلومات في جمل تعتبر من آيات الله العلمية في الكون؟!

كما يحفز الإنسان على القراءة في علم الكون وهو العلم المنظور بجانب العلم المقروء وهو المتاح للبشر؛ ولذلك قال في آيات عديدة على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق: ٥-٨]، وقال أيضًا: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

انظر في نفسك، انظر في تكوينك، انظر حولك إلى طعامك وشرابك، انظر إلى المخلوقات التي حولك كالإبل، وانظر إلى الجوامد كالجبال والأرض والسماء، كيف لمدعٍ أن يدعو البشرية إلى السمو بالنفس وبالتدبر في آيات الكون حوله؟!

٢- علم الأرض

(أ) شكل الأرض

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١]، ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]. ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات: ٣٠].

علمنا من التاريخ أن العلامة جاليليو عندما أعلن أن الأرض كروية حُوكم لكفره، وأُحرق في روما؛ لأن المعلومات المتوافرة لديهم في الفاتيكان تقول: إن الأرض مسطحة وهي المقولة السائدة عند الإغريق والعالم أجمع، وكذلك العرب فمن أين جاء محمد بأن الأرض كروية، بل بيضاوية كما رأيناها في التلفزيون عندما صورت بالأقمار الصناعية؟ وبعد ذلك نقول: إنه مؤلِّف؟!

(ب) تركيب الأرض

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

في الآية الكريمة السابقة يُقسِّم لنا الله -سبحانه وتعالى- الأرض إلى: البر والبحر، والغلاف الغازي المحيط به وهو ما بين السماء والأرض، ليس هذا فحسب فكل شيء في الوجود مكتوب في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣].

وقال سبحانه وقوله الحق: (يعلم ما في البر والبحر) وهو علم مطلق، ﴿ وَلَا

حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٥٩] سبق أن قال سبحانه: (يعلم ما في البر) وهذا يعلمنا أن الأرض هي البر والبحر؛ لأن أية حبة أو بذرة تحملها الرياح، وتسقط في البحر ستستقر في القاع إن لم تأكلها الكائنات البحرية، وبالتالي تصل إلى الأرض أيضًا علاوة على أن الآية تعلمنا أن أية ورقة نباتية تسقط بعلم الله؛ لأنه سيتغذى عليها البلايين من الكائنات سواء الكائنات الحية الدقيقة، أو ديدان الأرض أو الحشرات، أو منظومة التغذية جميعها؛ لأن الله –سبحانه– قد أعلمنا أن أية دابة في الأرض يعلم رزقها وهو معروف في كتاب الله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]، ليس هذا فحسب فهو يعلم أيضًا كل رطب سواء في السماء، أو في الأرض، وأي شيء فيه حياة:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فكل رطب على الأرض يحتوي على كائنات تعيش فيه؛ كالبكتيريا والفطريات وخلافه من كائنات حية دقيقة، وكذلك الأوَّليات من الطحالب، والبروتوزوا، ثم النباتات، والدواب الأخرى، وكذلك الرطب؛ السحب المتناثرة، ثم تتجمع فتصبح سحبًا ركامية، ثم تلَقَّح فتصبح سحبًا ثقالًا تخرج الودق، والرعد، والبرق، والبَرَد، والصواعق، وكلٌّ بإذن الله، وكلٌّ في كتابه فلا يوجد عشوائية في الكون.

(جـ) ما تحتويه الأرض من كائنات حية

احتواء الأرض على الكائنات الحية الدقيقة:

كان معروفًا منذ القدم أن الأرض ميتة ليس فيها حياة حتى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين عندما اكتشف فان ليفنهوك الميكروسكوب، وكذلك اكتشاف البكتيريا عن طريق لويس باستير، وروبرت كوخ، عندئذ عرفنا أن التربة –أو الأرض– يحتوي الجرام الواحد منها على ملايين الملايين من الكائنات الحية الدقيقة من بكتيريا وفطريات وطحالب وبروتوزوا وخلافه؛ ولذلك أطلق على الأرض بعد هذا: الأرض الحية، وكذلك اكتشفنا عند سقوط ورقة النبات، أو

دفن إنسان أو حيوان فإن الكائنات الحية الدقيقة، وخصوصًا البكتيريا تقوم بتحليلها إلى مكوناتها الأساسية؛ إلى ثاني أكسيد الكربون، والماء، والطاقة، وبعض العناصر المعدنية؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٦]، ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٦]. فيعلم ما تحت الثرى، أي: ما في باطن الأرض من كائنات حية، وغيرها: من المعادن، والتراكيب الصخرية، وخلافه، وكذلك ما بين السماوات والأرض وهي السحب المحملة بالمياه، وما تحتويه من شحنات كهربائية: برق، ورعد، وصواعق، وفي الآية التالية لها حدد لنا أن الله جعل الأرض كفاتًا، أي: مأوى للأحياء وهي الكائنات الحية الدقيقة والديدان والحشرات، وكذلك جذور النباتات، وكذلك للأموات عندما تدفن تتحلل إلى موادها الأساسية.

٣- علم النبات

والنباتات تعتبر من أهم الكائنات على وجه الأرض، وخلاف ما ذكره في القرآن من أشكال وألوان والثمار النباتات المختلفة.

إلا أننا سنذكر فقط عملية التمثيل الضوئي في النبات كما جاء في القرآن. فالمعروف علميًّا أن عملية التمثيل الضوئي تحتاج إلى ضوء وحرارة وماء وكلوروفيل، وثاني أكسيد الكربون؛ لإنتاج المواد الكربوهيدراتية؛ ولذلك ذكر في القرآن أن الشمس سراجًا وهَّاجًا، وهي الطاقة والضوء، وأنزل من المعصرات وهي السحب الماء العذب الثجَّاج مع الخضر؛ ليخرج أو ينبت به حبًّا ذا فلقة واحدة ونباتًا ذا فلقتين وجنات ألفافًا وهي الغابات الاستوائية والمدارية والصنوبارية:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾ [النبأ: ١٣-١٦].

ففي الآيتين الكريمتين ربط الماء مع النبات بخروج النبات الأخضر نبات كل شيء ذي الفلقة الواحدة، وهو الحب؛ كالقمح، والشعير، والأرز، والذرة، وكذلك البلح (النخيل)، وذي الفلقتين من نبات كالعنب، والزيتون، والرمان ... وكذلك الجنات الألفاف وهي النباتات الملتفة على بعضها وهي صورة الغابات الاستوائية والمدارية والصنوبرية.

فهل هذه المعلومات كانت متوافرة في زمانه؟ وإن كانت متوافرة فهل يمكن لإنسان أن يوضح هذه المنظومة في جملتين فقط؟! ما هو إلا إعجاز من الله – سبحانه؛ ليبين قدرته في كتابه، أفلا يتدبرون القرآن؟!

٤- علم الحيوان

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وبث في الأرض من كل دابة من البكتيريا للديناصورات في الأرض، ومن البكتيريا للحيتان في البحر شاملة من الأوليات مثل: البروتوزوا، والحشرات، والديدان.. حتى الحيوانات الراقية؛ كالقردة، وخلافه كما وصف الله -سبحانه وتعالى- الإنسان عند عدم إيمانه بالله وأنبيائه وعدم إعمال العقل أنه من شر الدواب:

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢].
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥].

والدواب هي كل ما يدب على الأرض، وقد بيَّن لنا الله الحركة للدواب، فمنها من يمشي على بطنه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[النور: ٤٥]، مثل: الزواحف (الثعابين)، ومنها من يمشي على رجلين كالطيور، ومنها من يمشي على أربع كالحيوانات: ثم قال: (يخلق الله ما يشاء) مثل: الحركة بالأسواط، والأهداب، وبالأقدام الكاذبة، ومفصليات الأرجل، والعديدة الأرجل؛ كالديدان سبحان الله.

ليس هذا فحسب فقد بيَّن لنا الله –سبحانه– آيات أخرى لم يظهر تفسيرها إلا حديثًا مثل:

(أ) علم تخاطب الطيور

ومن المعروف أنَّ الطيور لها أصوات مختلفة التناغم وهي مسموعة، ولكن الغريب هو تخاطب الحشرات، والمعروف أن معظم الحشرات طائرة؛ ولذلك نجد في القرآن العظيم أن هناك لغة للطيور؛ فقد تحدث سيدنا سليمان مع الهدهد، وقد سمع النملة وهي آية من آيات الله، ولم نعرف أن هناك لغة للطيور، أو تحادث الحشرات إلا حديثًا في القرن العشرين، ثم نقول: إن هذا الكتاب مؤلف: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦]، ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠]، ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢].

وقد سمع النملة وهي تتحدث على الرغم من تذبذبات صوت النمل لا يمكن لإنسان أن يسمعه، ولكنها قدرة أعطاها الله لسيدنا سليمان دون خلقه أجمعين: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٧-١٩]. ولم يطغَ سليمان، ولكن شكر الله على نعمائه فكان من عباد الله الشاكرين.

(ب) بيئة الحيوان

وفي مجال الحيوان أيضًا ذكر الله لنا في كتابه المفترى عليه أن أنثى العنكبوت هي التي تبني بيتها وليس الذكر، ولا يعرف هذه المعلومة إلا من كان عالمًا في علم الحيوان، وهل يعرف محمد في عصره أن أنثى العنكبوت هي التي تبني البيت؟ ولماذا لم يقل أن أوهن الخيوط، وليس أوهن البيوت؟:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

على الرغم من أن كلمة (بيت) مثل خيط في عدد الحروف وفي الصوت، أي: في النطق، وكذلك في الإعراب، وهو ما نشاهده أن أوهن الخيوط خيط العنكبوت، وليس بيتًا، إلا أن العلم الحديث أظهر أن خيط العنكبوت أقوى من خيط من الصلب مماثل له في السُّمْك، وبالتالي لو قال: أوهن الخيوط لأثبت العلم أنه لم يكن صادقًا، ويكون هذا الكتاب من تأليف بشر، ولكن عندما قال: (أوهن البيوت) فهو فعلًا أوهن البيوت؛ ولذلك ختمت الآية: (لو كانوا يعلمون) وهنا العلم مطلوب؛ لإثبات ما جاء في الآية، ولا يصح أن يقال: لو كانوا يعقلون، أو يتدبرون، أو يتفكرون مثل الأمثال الأخرى في القرآن ليس هذا فحسب، فالآية التي تليها يذكر لنا الله أن الذي يعرف هذه الحقيقة من العلماء العاقلين وهنا ذكر العقل والتدبر: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وآية علمية أخرى في بيئة الحشرات تدل على آيات الله العلمية في القرآن العظيم، والدالة على صدق ما جاء في هذا الكتاب، وأنه من عند الله خالق كل دابة يعرف مقرها ومستودعها سبحانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]، وفي مثل آخر أخذ شغالة النحل لرحيق الأزهار؛ للحصول على غذائها آية من آيات الله في القرآن.

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

[النحل: ٦٨]. ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩].

من قال: إن في مملكة النحل أن تقوم الشغالة بهذه الوظائف إلا في علم الحشرات، أو علم النحل، كما أُفرد له تخصص بذاته لتميزه عن باقي الحشرات، وقد ظهر لنا في هذا العلم أن الشغالة -وهي الفرد الأساسي في الخلية- هي التي تبني البيوت بوحي من الله؛ لذلك نجد الشكل السداسي واحدًا في جميع بيوت النحل سواء أكان في الصين، أو كندا، أو في أوروبا متساويًا في أضلاعه وبدقة شديدة؛ حيث ذكر لنا الله أنه أوحى إلى النحل، ومن وظائفها أيضًا تجميع الرحيق وحبوب اللقاح؛ لإنتاج عسل النحل، وخبز النحل وهي التي تنظف الخلايا وهي المحاربة ضد الأعداء وهي التي تهوي بأجنحتها داخل الخلية في أوقات الحر... وهي ... وهي ... وليست الذكور مثلًا أو الملكات.

أما المقولة في الآية: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ هي من آيات الله العلمية في القرآن تبين مدى دقة اللفظ والمعلومة العلمية؛ فنحن نعلم أن النحل يجمع رحيقه من الأزهار، وكذلك حبوب اللقاح فكيف يذكر أن النحل يأكل من الثمرات؟.

فمن المعروف أن ٨٥٪ من الأزهار ذاتية التلقيح بمعنى أنها تلقح نفسها قبل أن تتفتح الزهرة، ومن المعروف أيضًا علميًّا أنه إذا لَقِّح المبيض الزهرة بحبوب اللقاح تصبح ثمرة، وبالتالي تصبح جميع الأزهار ذاتية التلقيح ثمارًا قبل أن تتفتح الأزهار، كما أنه من وظيفة الشغالة في النحل أنها تعمل على تلقيح الأزهار، وذلك بحبوب اللقاح التي تنتشر على ظهورها والمحمولة على أرجلها، وبالتالي تصبح الأزهار ثمارًا، فيكون لفظ: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ هو اللفظ العلمي السليم لأخذ الشغالة لرحيقها من الأزهار، ليس هذا فحسب فقد وُجد -من تشريح النحلة- في فم النحلة قارض لاعق وهي فعلًا تأكل جدار المبيض للثمار، فمن أين جاء هذا الكاتب بهذه الحقائق العلمية التي أخذت مني جهدًا كبيرًا للحصول عليها وذلك بالبحث في علم تقسيم النبات وكيفية التلقيح في الأزهار، وعلم تشريح الحشرات؛

لمعرفة تركيب فم النحلة وخلافه؟!

كذلك ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ على الرغم من أن الحديث عن فرد واحد وجد عند تشريح النحلة أن لها عدة بطون -خمسة أبطن- فيكون اللفظ (بطونها) آية من عند الله أيضًا.

٥- علم تقسيم الكائنات الحية

في آية واحدة فصَّل الله لنا أسس علم تقسيم الكائنات الحية في الأرض: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فلا يمكن لبشر مهما أوتي من علم أن يعلم ذلك حيث أشار إلى جميع الكائنات، أي: جميع الدواب، وهنا دابة في الأرض، أي: تدب في الأرض، وليس على الأرض فقط، أي: تدب فيها الحياة أيضًا، وبذلك جمع جميع الكائنات الحية الدقيقة منها مثل: البكتيريا، والفطريات، والبروتوزوا فهي أيضًا تتحرك بالأسواط، والكائنات الأخرى تتحرك بالأهداب، وبالأقدام الكاذبة... وكذلك تتحرك جذور النباتات مع الجاذبية الأرضية فهي تدب أيضًا في الأرض، وتخرج الريشة ضد الجاذبية الأرضية وهي أيضًا تدب في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه، وهو خلاف الطيور فمعظم الحشرات أيضًا كائنات طائرة بأجنحتها، والحشرات الأرضية نجد أجنحتها قد دُمِّرت؛ لأنها ليست في حاجة إليها، ولكن تعتبر أيضًا طائرة وهي أيضًا تدب في الأرض... إلا أمم أمثالكم، فلم نعرف علمًا باسم التقسيم إلا في أواخر القرن التاسع عشر؛ حيث قسَّم الإنسان الكائنات إلى مملكتين: أولهما المملكة النباتية، وكانت تشمل: البكتيريا، والفطريات، وحتى تصل النباتات العليا، والمملكة الحيوانية، وتبدأ من البروتوزوا حتى تصل إلى الحيوانات الراقية؛ كالقردة، وقسَّموا هذه الممالك إلى قبائل، وأجناس، وأفراد... أمم أمثالنا حتى منتصف القرن الماضي في الخمسينيات، حاول البعض أن يعيد التقسيم؛ حيث قال: إن هذا التقسيم من وضع الإنسان فلم تخلق الكائنات وعليها أختام هذا نبات وهذا حيوان، ولم يصل

في محاولاته إلا إلى ما وصل إليه ما سبقوه من علماء؛ حيث وضعها أيضًا في ممالك، ولكنه أضاف مملكة ثالثة وسَمَّاها مملكة الأوَّليات، ألم يقل الله –سبحانه وتعالى-: في القرآن (أمم أمثالكم)؟!

وقد يقول البعض: إن الطيور هي أيضًا من الدواب: (ولا طائر يطير بجناحيه) وهي تدب في الأرض قبل أن تطير وهو القائل: (ولا دابة في الأرض)، ونسي أن الذي قال هو الله فهناك في علمه؛ ولذلك قال: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وأن هناك عوالم أخرى غير منظورة لنا، ولا نعلمها كالملائكة وهي كائنات نورانية، وتطير بأجنحتها وهي تعيش أيضًا في ممالك؛ حيث ذكر لنا الله في آيات أخرى أن هناك ملائكة الرياح، وملائكة الأمطار، وملائكة الأرزاق، وملائكة الأرواح... و... وهي متخصصة في أعمالها؛ ولذلك قال الله: (ولا طائر يطير بجناحيه):

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١]. وختم الله –سبحانه وتعالى- الآية ما فرطنا في الكتاب من شيء، والكتاب هنا هو: اللوح المحفوظ، كما سنناقش ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب، ولكن كل شيء أحصاه الله في كتابه، فهل يعقل أن إنسانًا يعيش في بيئة بدائية، ويتحدث عن تقسيم الكائنات وجعلها أُممًا أمثالنا؟ مملكة النمل التي تدب في الأرض، ومملكة النحل التي تطير في الهواء إلا أمم أمثالكم.

٦- الإنسان

ذكر القرآن في آياته العلمية أن الإنسان ذكرًا كان، أو أنثى هو من نطفة الرجل، ولا دخل للمرأة في تحديد الجنس: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩].

ويلاحظ دقة لفظ القرآن علميًا؛ حيث ذكر تحول النطفة إلى علقة، وأن هذا التحول هو خلق وليس تكوينًا، وقد فسر ذلك في آية أخرى أشد تحديدًا ودقة، وكما

أثبتها علم الأجنة حديثًا:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ونجد أن مراحل تكوين الجنين في الرحم مذكورة بالتفصيل، وجميعها في آية واحدة، وأنها خلق...، خلق...، خلق... حتى كمال الجنين، فالخلق من سلالة من طين، أي: نوع من أنواع الطين وهو الصلصال وهو أحد مكونات التراب؛ لأن الطين معدن يتكون من الألمونيوم والسيليكون، بينما التراب علاوة على احتوائه على معدن أو أكثر من معادن الطين إلا أنه يحتوي أيضًا على السلت، والرمل، والعناصر الغذائية الصغرى والكبرى و...و... ولذلك ربط الله -سبحانه وتعالى- هذه الأطوار السابقة، وأوصلها إلى نهاية عمر الإنسان بالماء، والتراب، والنبات؛ حيث يكوِّن النبات: الكربوهيدرات، والبروتينات، والفيتامينات، .. إلخ، اللازمة لتكوين الإنسان سواء في بطن أمه، أو بعد ولادته؛ حيث يدخل في تركيب دم الأم الذي يستخلص منه اللبن، وحتى عندما يكبر حيث يدخل النبات أيضًا -أي: الغذاء- في تعويض ما يفقده الجسم من الخلايا علاوة على حصول الكائن، أو الإنسان على الطاقة اللازمة لحياته:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥].

ليس هذا فحسب، فجميع علاقات وسلوك الإنسان بأسرته، ومجتمعه المحلي،

ومجتمعه العالمي، وسلوكه في الدنيا، ومآله في الآخرة مذكور بدقة في هذا الكتاب العظيم، وأما ما ذكرناه سابقًا فهو خلقه فقط.

٧- الماء في القرآن

بدراسة الماء في القرآن العظيم فقد وجد أنه قد ذُكِرَ مكثفًا شاملًا لأنواعه ومصادره وعلاقته بالرياح، والشمس، والنبات، والدواب، والإنسان، والجبال، وقد يأتي الماء بالسخاء والرفاهية، أو يأتي كعذاب من عند الله دمارًا شاملًا؛ كالطوفان والسيول، وغيرها، وقد احتوى القرآن العظيم في منظومة علمية فريدة لا يمكن لبشر في عصر نزول القرآن، وحتى عصرنا هذا أن يجمع في كتاب واحد هذا الموضوع الشائك والمهم في الكون؛ لذا وجد الماء في القرآن العظيم في الآيات الكريمة الدالة على عظمة الخالق، وأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون إلا من عند الله –سبحانه– ولذلك سنذكره بالتفصيل الآتي:

١- ذكر الماء في أحواله وصوره وعلاقته بالكون والأرض وخلافه في ثمانين سورة من سور القرآن، ممثلًا حوالي ٧٠ ٪ من عدد سور القرآن؛ وذلك لأهميته.

٢- ذكر الماء في جميع سور القرآن من أول جزء فيه من سورة البقرة حتى نهاية الجزء الثامن والعشرين ما عدا سورتي الأحزاب والحجرات.

٣- عدد آيات القرآن التي اشتملت على الماء ٢٥٢ آية ممثلة حوالي ٤٪ تقريبًا من عدد آيات القرآن وعددها ٦٢٣٦ آية.

٤- جميع سور القرآن التي بدأت بالحروف المقطعة وعددها ٢٩ سورة احتوت على المياه بنسبة ١٠٠٪.

وقد ظهر موضوع الماء في منظومة علمية بديعة مبينًا قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- أنه قبل أن يخلق السماوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما كان عرشه على الماء: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ [هود: ٧].

وبعد خلق السماوات والأرض أخرج الماء من الأرض ملحًا أجاجًا ممثلًا ٧٠% من الكرة الأرضية، وجعل من الماء كل شيء حي من البكتيريا؛ وهي الكائنات الحية الدقيقة، فالدواب، والأنعام، والنبات، والإنسان، وجميع هذه الكائنات الحية يكون الماء المركب الأساسي في تكوينه، ويمكن أن يقال عن الأرض: إنه الكوكب المائي كما بيَّن لنا الله -سبحانه- أنه أخرج من الماء الملح الأجاج الماء العذب الفرات التي تحمله الرياح إلى طبقات الجو العليا؛ حيث تنخفض درجات الحرارة فيتكثف ويكون سحابًا.

وتتجمع السحب فتكون ركامًا، وتلقح بالرياح فيكون ثقالًا يخرج الودق، والمطر، والرعد، والبرق، والصواعق منها، وتسييرها الرياح حيث أراد لها الله أن تكون سخاء رخاءً، أو عذابًا ودمارًا؛ فلا يعرف جنود ربك إلا هو، وإذا نزل الماء على الأرض الميتة فتحيا، وتهتز، وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج في شكله، كريم في عطائه موزون في كمياته، نباتات مختلفة أحجامها، وأشكالها، وألوانها، وثمارها، وأكلها، وتسقى بماء واحد -سبحانه.

ومن الماء بث في الأرض دوابها من البكتيريا إلى الديناصورات مختلف أشكالها وأحجامها، وحركاتها، وألوانها كذلك، ومن دواب الماء تأكل لحمًا طريًّا، وتستخرج اللؤلؤ والمرجان زينة، ومن الحشرات نأكل عسلًا، ونلبس حريرًا.

لما سخَّر -سبحانه وتعالى- الرياح ليس لنقل الماء فقط، بل جعل الرياح لواقح للسحب أو للنباتات، وكذلك لتسيير البواخر؛ كالأعلام في المياه، وعندما يسقط الماء على الأرض فإنه يسلك ينابيع وجداول وأنهارًا، وإذا التقى الماء العذب الفرات

بالماء الملح الأجاج نجد بينهما برزخًا حاجزًا لا يبغيان؛ حيث تعلو المياه العذبة المياه المالحة؛ لكي يستفاد منها في الشرب أو الزراعة أو خلافه.

بيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- أن الماء كما جعله سخاءً رخاءً له، أو عذابًا ودمارًا في الدنيا، فهو أيضًا سخاء ورخاء في الجنة؛ حيث ذكر أن الجنات تجري من تحتها الأنهار، أو يكون الماء ضمن مكونات عذاب الإنسان في الآخرة؛ حيث يسقى بماء صديد، أو بماء كالمهل يشوي الوجوه.

ومما سبق أردنا أن نعطي نبذة صغيرة ملخصة عن الماء في القرآن، هذا وأحب أن أنوه في هذا المجال أن هذا الموضوع ذُكر تفصيلًا في كتابي: (زمزم من آيات الله للمؤمنين كافة إلى يوم الدين) وهذه الموضوعات الخاصة بالماء في القرآن سنذكرها ملخصة في الآتي:

أولاً: الماء والكون

منذ بدء الخليقة وقد بيَّن لنا الله -سبحانه- أهمية الماء، وأن جميع الأشياء من مفردات العناصر إلى المجرات في كتاب الله واللوح المحفوظ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٣].

وبعد أن خلق السماوات وشمس الأرض دحاها؛ أخرج منها ماءها، ويمثل الماء في الكرة الأرضية ¾ حجمها، حتى ترى الأرض كالكرة الزرقاء معلقة في السماء فهو الكوكب المائي: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٣٠-٣١].

وكان الماء ملحًا أجاجًا وهو المكون للمحيطات والبحار: ﴿ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

(أ) الماء والشمس والرياح

ومن آياته أن جعل الشمس سراجا وهاجًا مصدر الطاقة وهو مصدر حراري عظيم؛ حيث يسخن سفوح الماء سواء الأجاج أو العذب الفرات، حيث يتصاعد بخار الماء من سطوح المسطحات المائية؛ حيث تحملها الرياح إلى طبقات الجو العليا؛ حيث تنخفض درجات الحرارة حيث يتكثف بخار الماء ويكون سحابًا مسخرًا بين السماء والأرض، ويتجمع فيكون ركامًا، ويلقح بالرياح فيكون ثقالًا يخرج الودق والرعد والبرق والبرد والصواعق منه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [الروم: ٤٨].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٣]. ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢]. ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩]. ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ: ١٤].

ودائمًا ما ذكر في القرآن أن أنزل الله من السماء ماءً وهو وصف مجازي، ولكن الله -سبحانه وتعالى- بيَّن لنا أن هذه السحب مسخرة بين السماء والأرض.

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقد بيَّن لنا سبحانه مثل الرياح في حمل السحاب وكذلك تلقيحه وتوصيل هذه السحب حيث يشاء الله، ولولا حركة الرياح لما كان هناك حياة على سطح الأرض، حيث يتصاعد البخار من سطوح الماء بدون أن تحمله الرياح فيصبح راكدًا وإن ارتفع إلى طبقات الجو العليا، وتكثف فسوف يسقط مكانه، ولولا حركة الرياح

أيضًا ما تحركت السفن في المياه، وما وجدت حياة من نبات، ولا دواب، ولا إنسان وأيضًا لم يكن على الأرض المياه العذبة التي يحتاجها الإنسان في زراعاته ومشربه ومأكله.

(ب) الماء والجبال

وعندما خلق سبحانه الأرض ودحاها وطحاها؛ فحتى لا تميد الأرض ألقى الله الرواسي الجبال الشامخات وجعلها أوتادًا وجعلها أرصفة قارية؛ حتى لا يخرج من باطن الأرض الحديد والنيكل المنصهر فتسجر المياه، وقد خلق الله -سبحانه وتعالى- الجبال بألوانها الجميلة في شكلها وهي أيضًا مصدر تكوُّن الدلتا في الأنهار بما يمد الماء الجاري على سطوحها حيث تترسب عند المصب لهذه الأنهار مكونة تربة سهول خصبة صالحة للزراعة حيث تنمو المراعي والغابات أيضًا.

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: ١٠]، ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠].

وهنا ربط -سبحانه وتعالى- الرزق بالماء والرواسي والنبات والدواب، كما ربط أيضًا هذه المخلوقات بعضها ببعض في ألوانها؛ حيث قال عز من قائل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧]. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

ثانيًا: مصادر الماء

بيَّن لنا الله -سبحانه- مصادر الماء في آياته؛ كالبحار، والأنهار، والعيون، والينابيع، والأحجار:

أ- البحار: ذكر في الآية الكريمة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ

بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢].

ب- **الأنهار**: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١].

ج- **اليم**: بمعنى النهر أو البحر: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

د- **الينابيع**: وهي إما سطحية من المياه المترشحة والمتسربة، أو في أعماق سحيقة وهي المياه الجيولوجية، وهذه المياه إما مالحة أو عذبة: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٢١]، ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠].

هـ- **العيون**: وهي أيضًا مياه جوفية تخرج من باطن الأرض ومن الصخور الحاملة لها: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [يس: ٣٤].

و- **الأمطار**: وصور الأمطار عديدة ومنها ما ذكر في القرآن:

١- **الوابل**: وهو المطر الشديد: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

٢- **الصيِّب**: المطر المصحوب بالرعد، والبرق، والصواعق: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ

ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩].

٣- **السيل:** سقوط الأمطار بشدة وجريانها على سطح الأرض بسرعة كبيرة، وبكميات غزيرة تدمر أي شيء في مسارها: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

٤- **الطلُّ:** المطر الخفيف حيث تكون قطراته صغيرة جدًّا، ويطلق عليها أيضًا الندى: ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٦٥].

٥- **السراب:** وهو ليس بماء، ولكن يشبه الماء وهو ما تراه العين على الأرض عند اشتداد الحرارة وسُمِّي سرابًا؛ لأنه يسري، أي: يجري كالماء: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ [النور: ٣٩].

ثالثًا: أنواع الماء

ذكر الله -سبحانه وتعالى- أنواع الماء في القرآن العظيم؛ كماء عذب فُرَات، أو ملح أجاج، أو ماء معين، أو ماء طهور، أو ماء مبارك، أو ماء مهين في الآيات الكريمة الآتية:

أ- **الماء الملح الأجاج:** وهو ماء المحيطات والبحار، وتصل نسبة الملح (كلوريد الصوديوم) فيه إلى ٣,٥٪ وهو يوجد في البحار، أو المحيطات، أو أيضًا من بعض المياه الجوفية من الآبار، أو العيون المالحة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان: ٥٣]، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢] ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٠].

ب- **الماء العذب الفرات**: وهو الماء بالغ العذوبة كماء نهر النيل، وكذلك ماء الأمطار التي تتجمع في جداول وبحيرات عذبة، أو يتخلل الأرض؛ ليكون الينابيع، والعيون العذبة وهو الماء المستخدم في شرب الإنسان، والحيوان، وفي الزراعة، وخلافه: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٧] ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة:٦٩].

جـ- **الماء الغدق**: الماء العذب الغزير: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦].

د- **الماء المبارك**: الذي تنبت به المراعي والزراعات: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩].

هـ- **الماء المعين**: الماء الظاهر للعين الذي يجري على سطح الأرض:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠].

و- **الماء الطهور**: وهي صيغة مبالغة من طهر، وهو ماء طاهر مطهر غير آسن: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٨].

ز- **الماء الثجّاج**: ماء المطر الغزير شديد الانصباب، ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ [النبأ: ١٤].

ح- **الماء الآسن**: وهو الماء الراكد: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [محمد: ١٥].

ك- **الماء الدافق**: ماء الرجل والمرأة: ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾[الطارق: ٦].

ل- **الماء المهين**: هو ماء الرجل الحامل للنطفة: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٨].

رابعًا: الماء والحياة

في آية واحدة شاملة لا تقال إلا من لدن حكيم خبير وهو الخالق البارئ المصور سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وقد شملت -وجعلنا من الماء كل

شيء حي- علوم فسيولوجيا الكائنات؛ كالبكتيريا، والفطريات، والبروتوزوا، والطحالب، والنباتات، والدواب، والحشرات كل شيء حي؛ لأن من الماء تتكون الكائنات الحية جميعها ومن الماء أيضًا ينتج الكربوهيدرات والبروتينات والدهون والإنزيمات .. إلخ، ومن الماء أيضًا في عملية التمثيل ينتج الأكسجين والذي يستخدم في هدم جميع المركبات العضوية السابق الإشارة إليها في البناء وذلك للحصول على الطاقة فالماء عامل بناء وهدم.

١- الماء والنبات

النباتات أشد خلق الله ارتباطًا بالماء، والنبات هو الكائن الوحيد الذي تحتوي خلاياه على مادة الكلوروفيل التي تقوم بعملية التمثيل الضوئي؛ لتكوين الغذاء، ويختلف حجم النبات من وحيد خلية: كالطحالب إلى الأشجار الشاهقة؛ كالصنوبريات، وكذلك النباتات التي تعيش في المياه المالحة؛ كالبحار، والمحيطات، والبحيرات المائية؛ كالطحالب بأنواعها، وكذلك النباتات الطافية، والعالقة، والقاعية وهي التي تنتج الأكسجين للأسماك، والقشريات وخلافه، وكذلك تعتبر مصدر الغذاء لهذه الكائنات أيضًا، أو النباتات البرية كالمراعي والغابات، أو من الزراعات التي يقوم بها الإنسان، ومن آياته:

التمثيل الضوئي في النبات وعلاقته بالماء

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾ [النبأ: ١٣-١٦]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا .. ﴾ [الأنعام: ٩٩].

والجنات الألفاف هي الغابات الاستوائية، والمدارية، والصنوبرية، والحب: هو النباتات ذات الفلقة الواحدة كالقمح، والشعير، والأرز، والنخيل، والنباتات ذات الفلقتين تكون الفواكه، والبذور، والثمار، وخلافه، وكذلك المراعي سواء مرعى ماء، أو أراض: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: ٤-٥]، ﴿ أَمَّنْ

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ [طه: ٥٣].

ويذكر الله -سبحانه وتعالى- النباتات بأنها كريمة، وذلك للأكل أو بهيجة وهي نباتات الزينة: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [ق: ٧]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٧]، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾ [فاطر: ٢٧].

أما باقي الآيات التي تتكلم عن علاقة الماء بتغذية الإنسان، سنذكرها عند علاقة الماء بالإنسان.

٢- علاقة الماء بالدواب

خلق الله -سبحانه وتعالى- الماء، والمراعى، والنباتات وهي مصدر تغذية الدواب سواء العشبية، أو آكلة اللحوم وقد خلق -سبحانه- في الأرض من كل دابة من البكتيريا إلى الديناصورات بمختلف أشكالها، وأحجامها، وحركاتها، وألوانها، ووظائفها سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور: ٤٥]، ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

٣- الماء والإنسان

أ- خلق الإنسان: الإنسان خليفة الله في الأرض مخلوق أيضًا من الماء، كما سخر له الماء في الكون؛ لتسير البواخر فيه، وليستخدمه في الزراعة، وإنتاج طعامه وشرابه

ولبسه، وفي حياته ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٤] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحجر: ٢٦] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الصافات: ١١].

الطين اللازب: هو الطين المضاف إليه الماء بكمية أكبر من قدرته التشبعية؛ وبذلك يلتصق باليد عند حمله.

والصلصال من حمأ مسنون: وهو طين الصلصال عندما يضاف إليه الماء مع التخمر فينتفخ، ولذلك جعل الله -سبحانه وتعالى- مصدر الصلصال الذي يخلق منه الإنسان في نطفة الرجل، بل خاطبه الله -سبحانه وتعالى- قال: سلالة من ماء بمعنى نوع معين من الماء: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٨]، ومصدر هذه السلالة من الماء يخرج من بين الصلب والترائب ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق: ٦-٧].

وفي آية علمية واحدة فريدة ذكر الله -سبحانه وتعالى- منظومة خلق الإنسان وتكوينه في بطن أمه، وعلاقته بالماء، والنبات، والأرض فهذه النطفة؛ لكي تكون علقة، ثم مضغة، ثم طفلًا، لا بدَّ من إمدادها بالغذاء، وقد جمع هذه العوامل جميعها في آية علمية واحدة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج:٥].

يلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله -سبحانه وتعالى- قال: الأرض الهامدة، وليس الأرض الميتة وذلك؛ لأن في الآية مقارنة بين الأرض الهامدة ورحم الأنثى فكلاهما متشابهان، وكما قال الله -سبحانه وتعالى- في عملية الجماع بين المرأة والرجل: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

ولذلك نجد الآية بها علاقتان بين الأم والأرض.

أولًا: علاقة ظاهرية: حيث ينزل الماء على الأرض الهامدة؛ فتغلف جزيئات الماء حبات الأرض؛ حيث ينتفخ الطين، ومكوناته، وتهتز الأرض، وتتخمر، وتربو، وكذلك تملأ الفراغات الهوائية الصغرى والكبرى بالماء مما يجعل الماء في متناول البذور الموجودة في التربة؛ حيث تمتص الماء، وتهتز، وتربو، وتنمو، ثم يخرج الجُذير والريشة مخترقة الأرض مما يجعلها أيضًا تزداد في الاهتزاز، وتخرج من كل زوج بهيج يسر الناظرين، ولم يقل: كريم؛ حيث المقارنة هنا بين ما تنتجه الأرض عند نزول الماء بها، وما تنتجه الأنثى عند الولادة من الأولاد ذكرانًا أو إناثًا.

وترى أيضًا أنه عندما يُسقى رحم الأنثى وهو في شكله مثل الأرض الزراعية مخططة بماء الرجل المهين الحامل للنطفة، أو البذرة؛ حيث تلقح البويضة، وتتكون العلقة التي تلتصق بجدار الرحم، ثم تتكاثر؛ لكي تنتج مضغة، ثم هيكله العظمي؛ حيث تُكْسَى باللحم وغيره، حتى يكتمل فينفخ الله -سبحانه وتعالى- من روحه فيه؛ فيكون سميعًا بصيرًا، أو لا يكتمل الخلق، ويحدث سقطًا وكل شيء بإذن الله - سبحانه- وهنا تربو الأنثى أيضًا كما ترى، ثم تضع طفلًا ذكرًا أو أنثى بهيج الطلعة.

ثانيًا: علاقة فسيولوجية: وذلك لكي يتم تكوين النطفة، والعلقة، والمضغة، إلى آخر المراحل فلا بدَّ من إمداد هذه التكوينات بالغذاء، وهذا الغذاء مصدره دم الأم بما يحتويه من أحجار البناء من: سكر جلوكوز، وأحماض أمينية، وفيتامينات، وهرمونات وخلافه؛ لتكوين الكربوهيدرات، والبروتينات الخاصة بأجزاء الجسم المختلفة عن طريق إعادة تكوين هذه المكونات بناءً على الشفرة الوراثية التي تحتويها العلقة؛ حتى يتكون الجنين، وعندما يولد الطفل فإنه يحصل على غذائه من لبن الأم؛ حيث ينمو ويربو، حتى يعتمد على نفسه في غذائه المكون أيضًا من الألبان، واللحوم، والفواكه، والنشويات، وهكذا؛ لتكوين الجسم.

وقد ذُكر أن الإنسان ينقض في اليوم ثلاثين ألف خلية، حيث تُجدد من الغذاء، وعندما يصل الإنسان إلى الكبر يجدد فقط خمسة وعشرين ألفًا، ثم عشرين ألفًا بدلًا

من الثلاثين؛ حيث يظهر على الإنسان الكبر حتى الموت، وجميع مصادر الغذاء سواء ألبانًا، أو لحومًا، أو فواكه، وخضارًا هو النبات، فهل يمكن لإنسان مهما كان عالمًا أن يكتب جملة واحدة بها هذه العلاقات المعقدة، ويقول: إنه مؤلف من عند محمد.

يلاحظ أن اللبن مختف بين الفرث والدم سبحانه، ولذلك قال: في بطونه، وليس في بطونها: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦].

ب- تسخير الماء للإنسان

لما كان الإنسان هو خليفة الله في الأرض فقد سخر له الماء؛ ليتغذى به النبات، والأنعام؛ ليأكل لحومها، ويشرب ألبانها، ولركوبها و... سخر الله الماء كالآتي:

١- حمل الإنسان في الفلك في البحار والأنهار

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الجاثية:١٢]، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ [الشورى: ٣٢]، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ [إبراهيم:٣٢].

٢- تسخير الماء في إنتاج طعامه وشرابه

ومن آيات الله العلمية تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كيميائية مختزنة في صورة كربوهيدرات، وبروتينات وهي طاقة تخرج على دفعات وهي اللازمة لحياة الإنسان، ومن النباتات أيضًا ما نستخدمه للحصول على الطاقة مباشرة من حرق الأشجار، أو من الفحم، وهو أيضًا ناتج من الأشجار، أو من البترول، وهو أيضًا من النباتات -سبحانه-.

أ- اللحوم والألبان

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ ﴾ [فاطر:١٢]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣]، ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦].

ب- النباتات (خضار/فاكهة/زينة)

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]، ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ ﴾ [الرعد: ٤].

٤- الماء والطاقة

الماء هو أمل البشرية في الحصول على الطاقة اللازمة كوقود عندما ينضب البترول من الأرض بجانب الطاقة الشمسية، علاوة على الحصول على الطاقة اللازمة لنمو الإنسان من النبات، وكذلك لحصول الإنسان على الطاقة للتدفئة، ولطهي الطعام وللإنارة، وغير ذلك: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس: ٨٠].

وعندما يتحول الشجر الأخضر في الأزمان السحيقة تحت الضغوط الهائلة إلى البترول، ومن البترول نحصل على الطاقة اللازمة للصناعة، والسيارات، والطائرات، وكذلك في تكوين البوليمرات المستخدمة في صناعات النسيج ...

كما يحاول الإنسان أيضًا أن يحصل على الطاقة من هيدروجين الماء كما استخدم الأكسجين الناتج أيضًا من الماء في تكسير الغذاء؛ للحصول على الطاقة اللازمة للنمو الإنساني وحركته في الكون.

٥- الماء وطهارة الإنسان

أمرنا الله -سبحانه وتعالى- أن نتطهر بالماء الجاري، فيستخدم الإنسان الماء في طهارة الجسم في الوضوء، والاستحمام، وطهارة الملبس بالغسيل، كما جعل الله الماء الجاري سواء مالحًا أو عذبًا ماءً طهورًا: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[الأنفال:١١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[المائدة:٦].

٦- الماء والعذاب في الدنيا

عذَّب الله -سبحانه وتعالى- الأقوام المكذبة لأنبياء الله ورسله بصوره المختلفة؛ منهم من عُذِّب بالسيل العرم، ومنهم عُذِّب بالطوفان، وبالغرق، أو بالعطش:

أ- **الغرق**: وهم قوم نوح وفرعون وجنوده: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفرقان:٣٧]، ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٠].

ب- **الطوفان**: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

جـ- **الصواعق**: وهي النار التي تنتج من السحب وهي مصاحبة للأمطار والسيول: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٤].

د- الجفاف: جفاف الآبار، والأنهار، وقلة نزول الأمطار: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ [الكهف:٤١].

هـ- تلوث الماء: بمياه المجاري، أو مخلفات المصانع مما يجعلها غير صالحة للاستهلاك الآدمي: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١].

٧- الماء والأمثال في القرآن

الأمثال: هي المقولات التي تتناقلها الشعوب خلال العصور المختلفة وهي مملوءة بالحكم، وتجارب البشرية؛ لذلك كثر ذكر الأمثال في القرآن حتى تكون قريبة من الناس.

أ- الماء كالمعادن: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد:١٧].

ب- الماء والحياة الدنيا: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

جـ- أعمال الكافرين كسراب: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ [النور: ٣٩].

د- أعمال الكافرين كالماء بين الأصابع: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾ [الرعد: ١٤].

هـ- الماء والبعث: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

و- الماء وكلمات الله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٩]، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان: ٢٧].

٨- الماء ويوم القيامة

من مظاهر يوم القيامة: تفجير البحار، والمحيطات، وتخرج النار من باطن المحيطات والبحار إلى سطح الماء فيصبح بحرًا مسجورًا، أو يتحلل الماء إلى أكسجين وهيدروجين وكلاهما غازات مشتعلة، أو يتحلل ملح الطعام (ص كل) إلى كل من الصوديوم، والكلور، وعند ملامسة الصوديوم الماء يحدث نارًا أيضًا، أو جميع هذه العوامل مجتمعة:

أ- **البحار**: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦]، ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٣].

ب- **السماء**: وتكون السماء كالمهل وهو الغازات السائلة، وهكذا يكون مظهرها: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ [المعارج: ٨].

جـ- **الأرض**: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق:٣، ٤].

د- الجنة: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان: ١٠]، ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١]، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥].

هـ- النار: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ

نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان:٤٦]، ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ... ﴾ [إبراهيم: ١٦].

فكيف لإنسان أن يجمع هذه المواضع كلها في كتاب في جمل على هذه الصورة من الدقة العلمية؟!

٩- وجود كائنات في الفضاء

في كل حين يخرج علينا العلماء بنظريات وتفسيرات عن بعض الظواهر التي يراها الإنسان في الفضاء؛ كالأطباق الطائرة، وعن المخلوقات التي تصل إلينا من الفضاء، ويحاول العلماء جاهدين البحث عن وجود حياة، أو أثر لها في الفضاء الخارجي على القمر، والمريخ مثلًا، أو في الكواكب التي تحت الدراسة، ولكن هذا المؤلف الذي من عند محمد -كما يدعون- قد ذكر منذ أربعة عشر قرنًا أن الله قد خلق دوابًّا في السماوات وفي الأرض: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٩]، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩].

وكلٌّ من الدواب التي ذكرها الله في كتابه سواء دواب السماوات، أو دواب الأرض تدب فيها الروح، أو الحياة وقد تكون هذه الدواب كائنات حية دقيقة مثلًا، أو كائنات راقية وذكية؛ كالإنسان ولكن كافرة بالله: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

وقد علَّمنا الله -سبحانه وتعالى- أنه سيجمع كلًّا من دواب الأرض والسماء في يوم الحشر -إن شاء الله- بقدرته وبعلمه، فمن أين علم محمد أن السماوات بها دواب كالأرض؟ إنه علم من عند الله الذي خلق كلًّا من دواب السماوات والأرض -سبحانه.

ثالثًا

علم التاريخ

سأورد هنا نموذجًا لما ذكره القرآن وعلاقته بعلم التاريخ؛ حيث بيَّن لنا الحقيقة فيما ورد في كل من العهدين: القديم، والجديد، والقرآن المجيد.

ففي صدر الإسلام غلبت الفرس الروم، وفرح مشركو قريش لذلك، وحزن المسلمون؛ لأن الروم من أهل الكتاب، بينما الفرس كانوا يعبدون النار، وقد عيَّر المشركون في مكة المسلمين بذلك، وقد أعلم الله -سبحانه وتعالى- رسوله محمدًا بأمر غيبي؛ ليبين صدق نبوته أنه بعد بضع سنين -من ثلاث إلى تسع سنوات- سيغلب الروم الفرس وفي هذا الوقت؛ سيفرح المؤمنون بنصر الله: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم:١-٥].

وانتصر الروم فعلًا على الفرس بعد هذه الحادثة بتسع سنين؛ حيث حدَّد الرسول لسيدنا أبي بكر معنى بضع سنين، ويلاحظ هنا أن المسلمين يفرحون لانتصار المؤمنين -حتى من خالفهم في العقيدة- على من لا يؤمنون بالله كالملحدين مثلًا، أو عبدة النار، أو الأوثان، أو البقر، فلا يعلم الغيب إلا الله.

أما في قصة سيدنا يوسف فهو مثل رائع على صدق القرآن فعندما تحدث عن حاكم مصر في عهده، قال القرآن: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف: ٥٤].

بينما ذُكر في العهد القديم لنفس القصة في كتاب التكوين **الإصحاح (٤١)** قال فرعون: استدعوا يوسف فأسرعوا وأتوا به من السجن.

فلو كان محمد ناقلًا من العهد القديم، لكتب في قصة يوسف قال فرعون

وليس قال الملك، وكرر كلمة فرعون مرات عديدة في قصة يوسف؛ ليؤكد أن الحاكم كان يسمى فرعون ولم يقل الملك.

بينما في قصة موسى فقد ذكر القرآن أن حاكم مصر يُسمَّى فرعون: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:١٣]، ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص:٣]

وبعد حلَّ شمبليون ما جاء في حجر رشيد؛ وعرفت اللغة الهيروغليفية -المصرية القديمة- عُرف أنه في عهد يوسف كان الهكسوس يحتلون مصر، وكان الحاكم ملكًا، ولكن في عهد سيدنا موسى كان الحاكم مصريًّا وسُمِّي فرعون.

فمن أين جاء بهذه المعلومة التاريخية التي لم تُعرف إلا في القرن العشرين؟ ومع ذلك يقال عن القرآن: إنه كتاب مؤلف، أو مأخوذ من العهد القديم أو الجديد.

رابعًا

القصص في القرآن

لم يكن ذكر القصص في القرآن الكريم للتسلية، أو مجرد سرد حكم وأخبار الأقوام السابقة لنزول القرآن، ولكن كانت القصص في القرآن إخبارًا بالغيب لتفاصيل أحداث لم تُذكر في كتب الله السابقة: في التوراة، أو الإنجيل، وبعض القصص التي سألها اليهود لمحمد على سبيل اختبار نبوته كسؤالهم عن أهل الكهف مثلًا، وقد أبلغهم بهم وبحقيقتهم، وقد دعمت القصة بآيات علمية من عند الله -عزَّ وجلَّ- ولم تعرف هذه الآية إلا في القرن العشرين ولقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- هدف القصص في القرآن فهو هدى، وموعظة، وذكر بعض الحقائق عن بعض القصص التي ذكرت في العهد القديم، والتي ذكرت أنبياء ورسل الله في صفات لا يمكن أن يوصف بها إنسان فما بالك بالنبي أو الرسول: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

وفي قصة أهل الكهف على سبيل المثال أوحى اليهود لمشركي قريش أن يسألوا محمدًا ﷺ عن أهل الكهف لمعرفة إن كان صادقًا أم كاذبًا، والقصة ببساطة هي مجموعة من الفتية المؤمنين بالله هربوا بدينهم من ملك كافر طاغية ومتسلط؛ خوفًا من القتل، فأنامهم الله في الكهف لمدة ثلاثمائة سنة، ثم أيقظهم بقدرته، وجعلهم آية للناس على مر العصور تشهد بقدرة الله -سبحانه وتعالى- وجاءت القصة في القرآن لا تسرد هذه الحكاية فقط، ولكن احتوت على العديد من الآيات العلمية التي لا يمكن أن يصوغها بشر بهذه الكيفية.

فقد ذكر في القصة العوامل التي تؤثر على الإنسان النائم الحي وليس الميت، وهذه العوامل هي أثر الصوت -وليس الضوء- على النائم، والتهوية الجيدة،

والتعقيم وقتل الميكروبات التي تحلل الجسم، وتقليب جسم الإنسان، وأخيرًا الفرق بين السنة الشمسية والقمرية حسابيًا وهذه الآيات هي:

١- أثر الصوت على الإنسان النائم

﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠، ١١].

أول أثر على النائم لإيقاظه هو الصوت، وليس الضوء، ولذلك أول آية في هذه القصة ذكر فيها أنه ضرب على آذانهم بمعنى جعلهم صمًّا لا يحسون بأية أصوات خارج الكهف؛ كصوت الريح، الرعد، وخلافه؛ حتى لا يستيقظوا من نومهم؛ فالإنسان لا يستيقظ عند إنارة النور وهو نائم، ولكن يستيقظ عند حدوث صوت كجرس الساعة مثلًا، أو النداء عليه بصوت مرتفع، أو أية ضوضاء خارجية، ولذلك قال الله -سبحانه وتعالى- في آية علمية: (فضربنا على آذانهم).

٢- أثر التهوية وأشعة الشمس على تنظيف الكهف من الميكروبات

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٧].

سبحان الله لإثبات أيضًا أن الضوء لا يؤثر على النائم ذكر الله -سبحانه وتعالى- أن الشمس تدخل الكهف في الشروق ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت ﴾، وتمر عليهم عند الغروب ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾ أي: تمر عليهم، مبينًا عدم تأثير الضوء على النائم.

وكما نعلم في علم الميكروبيولوجيا أن أشعة الشمس في الشروق، وفي الغروب تحتوي على الأشعة فوق البنفسجية التي تؤدي إلى قتل الميكروبات ليس هذا فحسب وقد فتح الله -سبحانه وتعالى- طاقة أو فجوة في الكهف للآتي:

أ- إحداث تيار هوائي؛ لتجديد الهواء الملاصق لهم وهم نائمون.

ب- دخول أشعة الشمس في الشروق والغروب؛ لقتل الميكروبات وتعقيمهم.

ومما يدعونا إلى تهوية المساكن، وتعريض الفرش لأشعة الشمس علاوة على أثر أشعة الشمس على الإنسان؛ حيث إنها مفيدة في تكوين فيتامين (د) للجلد، وكذلك حتى يتقي الإنسان كثيرًا من الأمراض، وأشد الأمراض اتصالًا بالتهوية والشمس هو مرض السل مثلًا: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧] سبحان الله! ذكر التهوية، ودخول أشعة الشمس من آيات الله فعلًا فهي من آيات الله العلمية في القرآن الدالة على صدق رسوله وأنه مبلغ هذا الكتاب وليس مؤلفًا، فكيف عرف أثر أشعة الشمس عند الشروق، وعند الغروب في التعقيم، وقتل الميكروبات، وكذلك أثر التهوية على صحة الإنسان؟ حيث إنهم نيام وليسوا أمواتًا.

٣- تقليب أجسادهم حتى لا يصابوا بقرحة الفراش

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨].

لاحظ: (نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) مع الآية رقم ١٧؛ حيث ذكر أن (الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) حتى يتعرض الجانب من الجسم الملاصق للأرض أثناء الليل ذات اليمين إلى أشعة الشمس التي تزاور عن كهفهم ذات اليمين؛ فيحدث تهوية، وتعقيم لهذا الجانب، ثم يقلبهم الله -سبحانه- بقدرته إلى الشمال عند الغروب؛ حتى يتعرض جانب الجسم الملاصق للأرض أثناء النهار إلى أشعة الشمس التي تقرضهم ذات الشمال عند الغروب، وكذلك للتهوية حتى لا يحدث لهم التقرحات في أجسامهم؛ نتيجة نمو الميكروبات اللاهوائية عند عدم تقليب الجسد وهو ما عُرف حديثًا بقرحة الفراش والتي لم تعرف من قبل، وحتى منتصف الخمسينيات من القرن العشرين.

فكيف عرف هذه المعلومات من أثر التهوية، وأشعة الشمس، وقرحة الفراش على الإنسان النائم منذ هذا الزمن -أربعة عشر قرنًا- وفي بيئة صحراوية، وحتى لو كان أعلم علماء عصره، وقرأ العهد القديم والجديد، وجمع جميع المعلومات الموجودة في عصره وكلها آيات علمية في قصة واحدة؟!

٤- الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥].

عندما نكتب مثلًا ٣٠٩ سنة بالحروف عربيًّا تكون ثلاثمائة وتسع سنين، ولكن أن يكتب ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا شيء آخر؛ لأنه ربط السنين الشمسية بالسنين القمرية فإذا أردت أن تحسب زمن نومهم بالسنين الشمسية فهي ثلاثمائة سنة شمسية وعند حساب نفس المدة بالسنين القمرية تكون ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعًا؛ لأن الفرق بين السنة الشمسية والقمرية أحد عشر يومًا تقريبًا فعندما نضربها في عدد ٣٠٠ سنة نجد الفرق هو تسع سنوات بالضبط؛ وبالتالي يصبح محمد ﷺ عالمًا في الصوتيات، والطب، وفي الفلك، ويضع هذه العوامل جميعها أثناء كتابة قصة مجموعة من الفتيان نامت مدة ثلاثمائة سنة، ثم أيقظهم الله.

٥- اختلاف عدد الفتية

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف آية: ٢٢].

فإذا عرفت أن السائلين هم اليهود وهم أهل جدال، وقد عرف الله -سبحانه- أنهم سيكذبون رسوله مهما قال لهم الحقيقة فقال: أبلغهم الله بما كانوا متفقين عليه، ولذلك قال -سبحانه-: (سيقولون ...) ويختلفون في أعدادهم؛ لأنهم لا يعرفون الحقيقة، فقالوا: إن قال محمدٌ (ثلاثة ورابعهم كلبهم) نقول: لا ليس صحيحًا هم خمسة وسادسهم كلبهم وهكذا، ولذلك أمر الله رسوله أن لا يجادلهم إلا فيما قالوا

هم، ولا يدخل في التفاصيل، ولا يناقش ولا يسأل أحدًا منهم.

٦- ختام القصة

مما يدل على أن هذه القصة من عند الله، وليست من تأليف محمد، أو نقلها علاوة على ما جاء فيها من آيات علمية كثيرة إلا أنها أيضًا احتوت على عتاب لرسوله الكريم، وذلك عندما سأله المشركون عن قصة أهل الكهف قال لهم: سآتي بخبرها باكرًا، ولم يقل: إن شاء الله؛ ولذلك انقطع عنه الوحي لمدة أربعين يومًا، حتى ظن أن الوحي لن ينزل إليه مرة أخرى، وظلّ حزينًا وكل يوم يأتون إليه، ولم يخبرهم عن القصة فلو كان مؤلفًا أو ناقلًا -كما يدعون- فكان أولى به أنه خلال يوم كما قال، أو يومين، أو أسبوع ... أن يأتيهم بها رفعًا للحرج، ولكن الله عاتبه وأمره بألا يقول: إني فاعل كذا إلا بعد أن يقدِّم مشيئة الله؛ لأنه يمكن أن يموت قبل إخبارهم، وهل هو ضامن لحياته لمدة دقيقة أو حتى ثانية؟ ولذلك جاءت الآية: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، وأمره أن يذكر ربه إذا نسي فهل يكتب لنفسه: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله...)؟

وتختم القصة بأنها ليست من عند محمد، ولكن هي من عند الله منزلة عليه، وأن يتلو ما جاءه من كتاب ربه؛ حيث لا تبديل لكلماته: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٧]، ولا مغيرَ لأوامره ولأحكامه وهو الملجأ والحصن الذي يلجأ إليه الإنسان عند الرخاء والشدة، وهناك أيضًا موضوعات كثيرة في القرآن وقصص لم تُذكر في العهد القديم ولا الحديث وقد عقب عليها الله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ

قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٤-٤٦]

ويذكر القرآن في قصص عديدة أنبياء الله ورسله بصورة تفصيلية إما مكملة، أو مصححة بما جاءت بها الكتب الأخرى، ويذكر لمحمد أن الله ينبئه بالغيب وحيًا، ويقول لرسوله: قل لهم: إنك لم تكن موجودًا عندما عملوا قرعة لمن يكفل مريم؟ وما كنت حاضرًا، ولا شاهدًا كلام الله لسيدنا موسى، وما حدث لموسى مع أهل مدين و...و... ما هو إلا وحي يوحى.

خامسًا

الجنة في القرآن

قبل أن نتكلم أو نرد على الاتهامات الخاصة بما ورد من صفات الجنة في القرآن نريد أن نذكر في عجالة بعض المواضيع حتى تستكمل الصورة وهي:

أ- قيام الساعة (وقت الآخرة)

الساعة أسماؤها عديدة في القرآن فهي: يوم القيامة، الحاقة، الواقعة، القارعة، الغاشية، الجاثية، والزلزلة، يوم الساعة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن ميعادها عنده هو وحده.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣].

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥].

ب. مظاهر يوم القيامة

ومن مظاهر يوم القيامة هذا اليوم العظيم وأول شيء في هذا اليوم هو:

١- النفخ في الصور: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧]، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٣-١٦]، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ

﴿ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

٢- **شكل السموات:** ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١]، ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ [الطور: ٩].

٣- **النجوم:** ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار: ٢]، ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١]، ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [القيامة: ٩] تشقق السماوات، وتكور، وتلف، وتصدع، وتطوى، ويتغير تركيبها وتتناثر النجوم، وتجمع الشمس والقمر على الرغم أن كلًّا منهما في فلك يسبحون وقد وصف السماء: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٤] وتصبح السماء كوردة كالدهان لونها أحمر قانٍ: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧].

٤- **الأرض:** لما كانت الجبال آخر حلقة في تكوين خلق الأرض، (وإذا الجبال أرساها)، (والجبال أوتادا)، ولذلك تكون أول مظاهر يوم القيامة على الأرض هو نسف الجبال.

أ- **الجبال:** ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ [المرسلات: ١٠]، ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥]، وتُسيَّر الجبال مثل السحاب، وتكون كالسراب عندئذ تميد الأرض، وتُدك، وتُسجر المياه بالنار، والعهن المنفوش هو وبر الجمل.

ب- **الأرض:** ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة:١-٢]،﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١]، ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق: ٣-٤].

جـ- **البحار:** ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦]، ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٣].

جـ- علاقة يوم القيامة بالجنة والنار

﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾ [الطور: ٩-١٥]، ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ [التكوير: ١١- ١٣]، ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر:٢١- ٢٣]، ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٣- ١٧]، ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٤]، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٣].

يقولون: جنة عرضها السموات والأرض. فأين طولها وأين الجنات الأخرى والكرسي والعرش؟

وقد يثير البعض بعض الأسئلة عن: أين هذه الجنات؟ وأين النار؟ وكذلك أين الكرسي؟ وأين العرش؟ حيث يقول الله في القرآن العظيم: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود: ٧].

وكل شيء أحصاه في كتاب وهو اللوح المحفوظ: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾ [النبأ: ٢٩].

وخلق كل شيء في الوجود من عدم: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٨٢- ٨٣]. أما حجم الكرسي كما أعلمنا الله به: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أما العرش فهو أكبر وأعظم من الكرسي؛ حيث يقول الرسول ﷺ: إن العلاقة بين الكرسي والعرش كمثل حلقة في فلاة (حلقة وهي أقطار والفلاة: هي الصحراء الشاسعة) وقد وصف الله -سبحانه- الخالق للسماوات والأرض بأن لها أقطارًا أي: إنها كروية، وبالتالي يكون محيط السماوات والأرض كحلقة، والعرش هو ملكوت الله الأعظم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر: ٧].

وقد وصف السماوات والأرض بأن لها أقطارًا وهو وصف لا يصفه إلا من خلق السماوات والأرض، إن من صعد خارج الأرض حتى يراها من أعلى كما صورتها الأقمار الصناعية: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]، ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٥] كيف عرف الفيلسوف محمد، ومن أين جاء بأن السماوات والأرض أشكالهما كروية وأن لهما أقطارًا؟ وقد سجلت صورة الأرض من الفضاء فكانت كرة معلقة في الفضاء، وهناك آية أخرى أن من يحاول اختراق السماوات والأرض سوف يجابه بأجسام من نار، ونحاس وهي الشهب وقد ثبت حديثًا أن حجم الشهب تصل إلى كتل ضخمة؛ أو تكون صغيرة كحبة الرمل، ولكن تسير بسرعة فائقة فتصبح كالرصاصة، أليست هذه الشهب التي تقابل سفن الفضاء؟! فمن أين جاء بهذه المعلومات والتي لم تكن تُعرف حتى منتصف القرن العشرين؟!

فإذا خرجت من أقطار السماوات والأرض، ولن تستطيع إلا بسلطان الله وأمره -سبحانه- وليس بالعلم كالمحاولات التي يمر فيها العلماء الآن، فجميع هذه المحاولات لم تصل إلا أن تكون أجرامًا من المجموعة الشمسية. وهذه المجموعة ضمن ملايين الملايين من المجموعات المماثلة لها في السماوات.

وقد حددت أقطار السماوات والأرض في القرآن في الآية الكريمة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥].



يلاحظ أن الملائكة التي تنزل من السماء إلى الأرض، وكذلك الملائكة التي تعرج من الأرض إلى السماء مخترقين أقطار السماوات والأرض وهم مخلوقات نورانية تسير بسرعة الضوء في وقت قدَّره الله بألف سنة مما نعد من أيامنا وفي سورة المعارج ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤].

وكما سبق أن ذكرت أن الملائكة -وكذلك الروح- كائنات نورانية، ولذلك تكون حركتها بسرعة الضوء، ولذلك يحدد الله -سبحانه- أن هذا اليوم الذي حدده في الآية السابقة بألف سنة مما نعد حدده في المعارج بخمسين ألف سنة؛ وبالتالي السنة هنا سنة ضوئية، وبمعنى آخر حتى تستطيع أن تخترق أقطار السماوات والأرض تحتاج إلى مركبة فضائية تسير بسرعة الضوء، وهذا لم يحدث حتى الآن وبزمن قدره خمسمائة سنة مما نعد من سنين عمرنا فهذا الأمر مستحيل، ولذلك قال الله: لا تنفذون إلا بسلطان أي: بقدرته هو.

وبالتالي يكون العرش والكرسي والجنات المختلفة، والنار خارج أقطار السماوات والأرض فإذا قال الله -سبحانه: (جنة عرضها السماوات والأرض) نعم فهي خارج نطاق السماوات والأرض في ملكوت الله الأعظم؛ حيث لا نهاية، ولا أقطار ولا حدود.

يقولون: إن الجنة في القرآن نساء وولدان وخمر...!

انفرد القرآن عن باقي الكتب الأخرى كالعهد القديم، والعهد الجديد، وكتب الديانات الأخرى بوصف حالة الإنسان بعد الموت والنشور ليوم القيامة، ولا يمكن لبشر أن يكتب هذه الأوصاف من خياله؛ لأن وصف الجنات فوق خيال البشر وخصوصًا أنها لم تُذكر من قبل كما سبق أن قلنا، وبذلك تكون أوصاف الجنة من الله -سبحانه- هو الذي خلقها ولذلك جاء وصفه للجنات متماشيًا مع احتياجات خلقه، فالله الذي خلقنا في الدنيا، وسخَّر لنا احتياجاتنا، هو الله الذي سيبعثنا في الآخرة، وليوفي أيضًا لنا احتياجاتنا في الجنات للمصدقين، والعذاب للمكذبين بوجود الله؛ ولذلك نقول لهم: اقرءوا أيضًا القرآن فقد وصف الله

الإنسان وهو خليفته في الأرض بالآتي:

أ- **من الناس**: الملوك، والأمراء، والأغنياء واحتياجاتهم وشهواتهم ذكرها الله في الآية الآتية: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

فهم يحبون النساء (الحور العين)، والبنين (الولدان المخلدون) والذهب، والفضة (أباريق وأكواب وأساور)، والأنعام، والحرث، والأكل، والشرب.. وهذا متاع الحياة الدنيا، ثم قال لهم الله: ولكن ما عند الله أحسن من ذلك.

ب- **ومن الناس**: المساكين، والفقراء المعدمون، ومتوسطو الحال، وهؤلاء الناس يقولون يوم القيامة: يا رب نحن كنا مستضعفين: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٦]، ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقد ذكر الله -سبحانه- أن هؤلاء الفقراء والمساكين، قد سخَّرهم للأغنياء، وقسم المعيشة في الحياة الدنيا، وقد رفع بعض خلقه على بعض؛ حتى يسيِّر الكون بأن يكون هناك سيد والآخر يعمل عنده، ولكن تذكر أن رحمة ربك أفضل ليس هذا فحسب، وقد أعلمنا أن هذا الرزق الذي أعطاك إياه هو من عنده ومكتوب عنده في الكتاب، وليس لك فضل فيه إلا أن تسعى إليه، ولذلك أمرنا ألا نحزن عند الخسارة، ولا نفرح عند المكسب؛ حيث نحن مستخلفون فيه.

فهل الخطاب الذي سيوجهه الله للمؤمنين من عباده، ويبشرهم به الأغنياء مثل الفقراء؟ هل من عاش معيشة راضية متمتعًا في الدنيا مثل من لم يجد قوت يومه؟ هل النفس البشرية واحدة؟

فكما نعلم أن الله خلق النفس البشرية، وألهمها الفسوق والتقوى، واختلفت نفوس الناس فمنهم:

١- **النفوس المادية**: وهم الذين يحبون أن يجمعوا المال بأية وسيلة، ويحبون الشهوات، وكل ما هو مادي ملموس، ويقيِّمون الناس حسب درجة ثرائهم مثل: اليهود والعلمانيين والكافرين.

٢- **النفوس الروحانية**: وهم الذين يحبون الله، ويجتنبون ما يغضبه مثل: الأحبار في اليهودية، والقديسين والرهبان في المسيحية، والصوفية في الإسلام.

٣- **النفوس المعتدلة**: وهم الذين يجمعون بين الدين في حب الله، ويجتنبون ما يغضبه، وأيضًا يعملون في إعمار الدنيا، وهو منهج الإسلام في الوسطية.

وبالتالي بشَّر الله عباده المؤمنين: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبقضاء الله خيره وشرِّه، والذين يتقون الله، ويتقون النار، ويحاربون الشيطان الرجيم، والذين يعملون الصالحات من ذكر وأنثى أغنياء كانوا أم فقراء بجنات الخلد، خالدين فيها أبدًا، وأنذر المكذبين والكافرين والمشركين والمنافقين وأولياء الشياطين بالنار خالدين فيها أبدًا.

وقد وصف الرسول محمد ﷺ أن الجنات بها أشياء لا يمكن وصفها في الدنيا، وفي وصف جميل ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا جال على قلب بشر، فيكون وصف الجنات في القرآن وصفًا ماديًّا؛ ليقربه إلى عقول البشر، وهذا الوصف من عند الذي خلق الجنات، ولا يمكن لبشر اختلاقه، ولقد ذكرت هذه الجنات في القرآن من حيث:

١) من هم الداخلون جنات الله؟

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

[البقرة: ٢٨٥]، ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٢) صفاتها

﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ [الفرقان: ١٦].

ومن هذه المتع:

أ- اللباس: لباسهم فيها حرير – ثياب خضر سندس وإستبرق.

ب- الزينة : أساور من الذهب واللؤلؤ.

جـ- الأواني: من ذهب ومن فضة، وأكواب، وأباريق، وكئوس من ذهب.

د- الطعام:

١- فاكهة مما يتخيرون، فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، قطوفها دانية ذُلِّلت قطوفها تذليلًا.

٢- الماء: غير آسن.

٣- اللبن: لم يتغير طعمه.

٤- الخمرة: لذة للشاربين، بيضاء لا غول فيها، ولا هم عنها ينزفون، ولا يصدَّعون (لا صداع، ولا طعم لاذع، ولا تسأم شرابها).

٥- اللحم: مما يشتهون، ولحم طير أيضًا مما يشتهون.

هـ- المعيشة:

١- حجرات مرتفعة وقصور تجري من تحتها الأنهار.

٢- السُّرُر: مرفوعة ومتقابلة.

٣- المجالس: متكئين على الأرائك، ورفرف خضر، وإستبرق، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة.

٤- لباسهم: فيها حرير، وأساور من ذهب ولؤلؤ.

٥- البيئة: ظل ممدود، وماء مسكوب، لا شمس ولا زمهرير، دانية عليهم ظلالها.

أما عباد الله الروحانيون، ومن يعبدون الله حبًّا في ذاته، وابتغاء مرضاته، وليس طمعًا في جناته، أو خوفًا من عذابه، فكل ما يتمنونه هو صحبة حبيب الله المصطفى محمد ﷺ عند جنة المأوى، والغاية الكبرى هي النظر إلى نور وجه الله -سبحانه- حيث يكشف الغطاء، ويكون الأجر الأعظم: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢،٢٣].

وهي أعظم نعمة ينعم الله بها على عباده يوم الدين برؤية نوره بلا حجاب وقد ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:«إنّكم سترَون ربَّكم عَيانًا كما ترون القمرَ»، وفي صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ: «فيُكشفُ الحجابُ فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم تباركَ وتعالى».

ونلاحظ أن هذه الصفات السالفة الذكر لم تُذكَر في أي من الكتب السماوية؛ كالتوراة، والإنجيل، أو العهد القديم والعهد الحديث، وبالتالي نسألهم: هذا الرسول وصف الجنات بالتفصيل، ماذا عندكم أنتم لنرى منزلة القديسين في يوم القيامة؟ فماذا تريدون أن تبشروا في الآخرة؟ وماذا تريدون أنتم من وصف الجنة جزاء لمن آمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر؟ ليتكم تجيبون؛ حتى نستطيع أن نرى الفرق، بدلًا من الاستهجان والتجريح فقط؟

وقد وردت هذه الصفات للجنات، وما ذكر فيها من نعيم؛ لكي يتلاءم مع نفوس البشر: فمنهم المادي، ومنهم الروحاني وكذلك نفوس عباده الذين عبدوا الله حبًّا، وهم الذين حُرموا من متاع الدنيا: من مسكن ملائم، ومأكل، وملبس حسن، وكذلك للذين تركوا شهواتهم؛ ابتغاء مرضاة الله من عدم شرب الخمر، وحرمان البعض من الأولاد، والذين ماتوا ولم يتزوجوا.... إلخ.

فجاء وصف الجنات وما بها من نعيم؛ لكي تلائم جميع نفوس خلق الله أجمعين، الذين كانوا في رغد من العيش وآمنوا بالله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

أما الفقراء، والماديون من خلقه، والذين آمنوا بالله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُون فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ يَتَنَـٰزَعُون ﴿٢٣﴾ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوف عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:١٧ – ٢٨].

ومن الناس من حرَّموا على أنفسهم استعمال الذهب والفضة والحرير؛ ابتغاء مرضاة الله، وكذلك الفقراء الذين حُرموا من هذه الأشياء أصلًا:

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٣١].

ومن حرم نفسه شرب الخمر؛ ابتغاء مرضاة الله:

﴿ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور:٢٣– ٢٤].

وعمومًا يتمتع المؤمنون بعطاء الله في جناته:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية:٨– ١٦].

٣) مكانها:

ذكر الله -سبحانه وتعالى- أن الجنة عرضها السماوات والأرض، ولم تكن جنة واحدة، ولكن هناك أربع جنات، وكذلك الكرسي، والعرش، والنار وهي خارج أقطار السموات والأرض كما سبق أن بينا سابقًا. الكرسي والعرش والجنان والجنتان المدهماتان والنار.

﴿ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الرحمن: ٤٣]، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٢ : ٦٤] .

٤) درجات الجنات:

توجد درجات للجنات حسب منزلة العبد من ربه، وعلاقته مع: نفسه، وأسرته، وجيرانه، وقريته، ومجتمعه القريب، والمجتمع البشري بأسره؛ فالله لم يخلق الإنسان عبثًا سبحانه، ولذلك نجد أولى العزم من الرسل، ثم الأنبياء والعلماء الصادقين، والصديقين، والقديسين، والشهداء، وكذلك خَلْقه المؤمنين به، وبملائكته، وبرسله، وبكتبه، وباليوم الآخر، ولم يشركوا بالله أحدًا، وهذه الدرجات هي:

أ- المقربون

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴾ [الواقعة:١١- ٢٦].

ب- أصحاب اليمين وهم أقل درجة

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ [الواقعة:٢٧- ٤٠].

٥) أنواع الجنات:

١- جنة المأوى وهي أرفع درجات الجنة، وهي عند سدرة المنتهى

﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٥]، ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٩].

٢- جنة النعيم

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢].

٣- جنة الفردوس

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف:١٧- ١٨].

٤- جنة عدن

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (٦٠) جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم:٦٠- ٦١].

٥- جنة الخلد، وهي تشمل صفة جميع الجنات؛ حيث يخلد فيها أصحابها فيها أبداً:

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا (١٥) لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ [الفرقان:١٥- ١٦].

سادسًا: يقولون
ما فرطنا في الكتاب من شيء!
فأين طريقة صناعة الخبز في القرآن؟

لقد سأل الفرنسيون الإمام محمد عبده عندما كان في باريس هذا السؤال: أين طريقة صناعة الخبز في القرآن؟ وكان رد فضيلته أن القرآن أخبرنا أن نسأل أهل الذكر وهم أهل تخصص إذا لم نعرف الإجابة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

أما (ما فرطنا في الكتاب من شيء) فجزء من آية علمية عن علم تقسيم الكائنات الحية: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال المفسرون: إذا قيل: (الكتاب) فقط في آية من آيات القرآن يكون معناه القرآن، ولكن بدراسة هذه الآية الكريمة بما جاء فيها من علم نجد أن الكتاب هنا ليس القرآن، ولكن هو الكتاب الشامل للوجود كله، وهو كتاب الله المحفوظ، والمسمى باللوح المحفوظ؛ حيث يمكن أن نسأل: أين اسمي في القرآن؟! حيث يذكر فيه جميع المخلوقات ورزقهم وأعمارهم و... و... وكذلك الصناعات، وكل شيء يظهر إلى الوجود بعلمه موجود في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ.

ولكن ما يذكر في القرآن هو رءوس المواضيع، أو الأسس العلمية فعلى سبيل المثال في الآية السابقة: (ما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) تعرفنا أن الكائنات الحية جميعها تتبع نظامًا واحدًا في الممالك والأمم والشعوب والقبائل، حتى تصل إلى الأفراد؛ كمملكة النمل، ومملكة النحل داخل المملكة الحيوانية، وكذلك المملكة النباتية، وحديثًا وفي منتصف الخمسينيات من القرن العشرين أُضيفت مملكة ثالثة هي مملكة الأَوَّلِيَّات التي شملت البكتيريا،

وبذلك تكون كل دابة في الأرض من: بكتيريا، وفطريات، وبروتوزوا، وديدان، وحشرات، وما على الأرض من دواب وأنعام، ونباتات، وطحالب بحرية، ونباتات بحرية، والأسماك، والقشريات، والرخويات، والثدييات كلها تتبع ممالك أمم أمثالنا، وهو أسس علم التقسيم أما ما هي هذه الأفراد: وجودها، رزقها، عمرها، موتها، وتحللها؟! فمذكورة أيضًا في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

وفي آية شاملة لجميع الكائنات على الأرض، علمها أيضًا في اللوح المحفوظ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

لاحظ: (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها)؛ لأنها سقطت بأمر من الله وعلمه ومذكورة في كتابه وهو اللوح المحفوظ؛ لأنها غذاء البلايين من الكائنات الحية الدقيقة وغير الدقيقة حتى تصل إلى مكوناتها الأساسية من ك أ، وطاقة، وعناصر تكون أيضًا مصدرًا لغذاء النباتات الأخرى، أو النباتات التي سقطت منها الورقة في موسم النمو، وليس الكائنات الحية فقط، ولكن أيضًا العناصر والجمادات، وكذلك السحب في السماء كل ذلك في اللوح المحفوظ.

وحتى الإنسان أيضًا: خلقه، ورزقه، وعمره، وعمله أيضًا في كتاب الله، اللوح المحفوظ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

ومثل آخر يؤكد هذا الافتراض، أو هذا الاتجاه وهو آية علمية أيضًا: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].

يذكرنا الله -سبحانه- أن العدل والميزان، والحكم بالقسط بما جاء في القرآن يحتاج إلى القوة، وبيّن لنا القوة في عنصر الحديد، وذكر لنا فوائد الحديد عمومًا فيه:

أ- **بأس شديد**: وتدخل صناعة الحديد في تصنيع الدروع والسيوف قديمًا، والمدرعات والموانع وغيرها من وسائل النقل... وهي الصناعات الحربية: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال آية: ٦٠]، وبالتالي رباط الخيل حديثًا هو المدرعات.

ب- **ومنافع للناس**: علاوة على الصناعات المختلفة؛ كالثلاجات، والسيارات، ووسائل المواصلات في البر والبحر، والعمارات الشاهقة و...و... فهو مكون أساسي في تركيب الهيموجلوبين (الدم) في الإنسان والحيوانات ذات الدم الحار، وكذلك يدخل في تركيب السيتوكروم وهو الناقل للطاقة داخل جميع خلايا الكائنات الحية من البكتيريا إلى الديناصورات، ومن الطحلب الوحيد الخلية إلى الأشجار الباسقات، حتى هذه التفصيلات الدقيقة التي تدخل في تكوين العضيات داخل خلايا الكائنات الحية، وحتى الذرات وتكوين هذه الذرات أيضًا قد ذكرها الله -سبحانه- أنها في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣٢].

فجميع الذرات المكوِّنة لعناصر الجزيئات تركيبها من النواة والإلكترونات، حتى ما وصل إليه أ.د/ زويل من تركيب الذرة ذكرها الله -سبحانه وتعالى- أنها مدونة في كتاب الله اللوح المحفوظ، ولا أكبر من ذلك، أي: من الذرة إلى المجرة ما فيهما، وما بينهما، وما تحت الثرى، الجميع في كتاب الله اللوح المحفوظ، ومن آيات الله في هذا القرآن العظيم يعلمنا أيضًا، ويعطينا مثلًا، وليس صدفة أن رقم سورة الحديد في مسلسل ذكرها في القرآن رقم ٥٧ وهو نفس الرقم الذري للحديد، سبحان الله، حتى ما جاء في القرآن من آيات هي أم الكتاب لم تتغير، وهناك آيات

نسخها الله، أنزلها الله في فترة ثم نسخها لحكمة من عنده أيضًا مذكورة في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩].

وقد وصف الله -سبحانه وتعالى- اللوح المحفوظ، وأسماه (أم الكتاب)، ثم بيَّن لنا وضع القرآن الكريم بالنسبة للوح المحفوظ ومكانته الخاصة بين كتب الله الأخرى؛ كالتوراة، والإنجيل على الرغم من أن جميع كتب الله نور من عنده، وكما ذكر لا نفرق بين أحد من رسله في الدعوة، إلا أنه ذكر أن بعض الرسل قد فضلهم على بعض من حيث منزلتهم عند الله؛ فأولي العزم من الرسل ليسوا كبقية الرسل وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وكذلك كتب الله لا يفرق بين أحد من كتبه؛ فالكتب كلها نور وكلها هدى وكلها فرقان، إلا أنه وضع القرآن في منزله خاصة حيث قال -سبحانه-:﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٣- ٤].

الخلق كله في السماوات وفي الأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى مخلوق بقدر، وبقدرة، وبميزان، ولا يوجد في الخلق عشوائيات، بل كل شيء مكتوب ومدون في كتاب الله (أم الكتاب) وهو اللوح المحفوظ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]، ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥].

وكل شيء في كتاب، وعندما يريد الله -سبحانه وتعالى- أن يظهر ما في الكتاب في الوجود يأتي بأمره: (كن) فيكون بإذن الله: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣].

ملكوت كل شيء بيد الله -سبحانه-، فهل بعد كل ما ذكرناه في آيات علمية وعلاقات من تكوين الذرة إلى المجرة، والكائنات الحية وغيرها من موضوعات شديدة التعقد لم يظهر تفسيرها إلا حديثًا، نقول: إن هذا الكتاب مؤلف من أربعة عشر قرنًا في بيئة بدوية صحراوية لم تشهد أي نوع من أنواع الحضارات، أو إنه منقول من العهد القديم، أو الجديد؟ ولم نقرأ عن هذه العلاقات في العهدين، ثم

نقول: إنه كتاب مفترى أو... أو... نقول لهم كما قال الله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وأقول لهم أيضًا كما قال الله -سبحانه-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]. فعلى سبيل المثال:

أ. **صناعة الفلك**: ذكر الله سبحانه وتعالى أن أول صناعة في الوجود وهي صناعة سفينة نوح -عليه السلام- كانت بوحي من عند الله وذلك موجود في كتاب الله: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [هود: ٣٧].

ب- كما أن تعليم الإنسان للجوارح كالصقور أو الكلاب -كلاب الصيد- أيضًا من عند الله وحيًا: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤].

ج- صناعة الحديد: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سبأ: ١٠]، ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وبالتالي فجميع الصناعات والاختراعات أو المكتشفات قديمًا وحديثًا وحتى قيام الساعة هي علم من عند الله يعطيه إلى من يشاء من عباده، والعلم كالرزق يعطيه لمن يسعى إليه مؤمنًا كان أم كافرًا.

سابعًا

هل الله في العهد القديم والجديد كما في القرآن المجيد؟

بدراسة كل من العهد القديم والعهد الجديد، وما جاء فيهما من صفات الله سبحانه وتعالى، وبمقارنة هذه الصفات بما جاء في القرآن المجيد الذي يدَّعون أنه من إنشاء محمد، وأنه ناتج ثقافي، أو منقول من العهدين القديم والجديد؛ نجد أن هناك اختلافًا كبيرًا في وصف الله -سبحانه وتعالى- في الكتب الثلاثة.

١- الله في العهد القديم

لله أشكال متعددة في العهد القديم فهو في شكل سحاب، ودخان، ونار، ورعد، وإنسان، وكذلك قدراته محدودة وقريبة من قدرة الإنسان في بعض الأحيان؛ فعلى سبيل المثال، وليس الحصر:

أ- الله سحاب ودخان ونار ورعد

ففي سفر التكوين **الإصحاح** (١٣): (كان الرب يتقدمهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلًا في عمود نار يضيء لهم، ولم يبرح عمود السحاب وعمود النار ليلًا من أمام الشعب).

وفي **الإصحاح** (١٤): (وقبل طلوع الصباح أشرق الرب في عمود نار، والسحاب على عسكر المصريين فأربكهم).

وفي **الإصحاح** (١٩): (قال الرب لموسى: ها أنا مقبل عليك في هيئة سحاب مظلم فيسمعني الشعب حينما أخاطبك فيثقون فيك دائمًا، وكان جبل سيناء كله مغطى بدخان؛ لأن الرب نزل عليه في هيئة نار، وتصاعد دخانه كدخان أتون، واهتز الجبل كله بعنف، وإذا دوي السيوف أكثر، وفيما كان موسى يتكلم والرب يجيبه برعد.

ب- الله في صورة إنسان وبقدراته

وقد ظهر الرب بصورة إنسان وبقدراته المحدودة في الإصحاحات التالية:

في سفر التكوين **الإصحاح** (٩): (فأسفك دم الإنسان يحكم عليه بسفك دمه؛ لأن الله خلق الإنسان على صورته).

وفي **الإصحاح** (٦): (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل قصور فكر قلبه يتسم بالإثم فملأ قلبه الأسف والحزن؛ لأنه خلق الإنسان).

وفي **الإصحاح** (٨): (قال الله في نفسه: لن ألعن الأرض مرة أخرى من أجل الإنسان؛ لأن أهواء قلب الإنسان شريرة منذ حداثته، ولن أقدم على هلاك كل حي كما فعلت).

جـ- الله يظهر لإبراهيم كرجل يمشي، ويستريح، ويأكل الطعام

وفي **الإصحاح** (١٨): (ظهر الرب لإبراهيم وهو جالس عند بلوطات ممرا وقت اشتداد حر النهار، فرفع عينيه، وإذ به يرى ثلاثة رجال ماثلين لديه فأسرع في استقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض، وقال يا سيدي: إن كنت قد حظيت رضاك فلا تعبر عن عبدك، بل دعني أقدم لكم بعض الماء تغتسلون به أرجلكم، وتتكئون تحت الشجرة، ثم آتي لكم بلقمة خبز تسندون بها قلوبكم، وبعد ذلك تواصلون سيركم؛ لأنكم قد ملتم إلى بيت عبدكم، فأجابوه: حسنًا ليكن ما قلت.

ثم اختار إبراهيم عجلًا رخصًا طيبًا، وأعطاه لغلام كي يجهزه، ثم أخذ زبدًا ولبنًا والعجل الذي طبخه، ومدها أمامهم، وبقي واقفًا في خدمتهم تحت الشجرة، وهم يأكلون، ثم نهض الرجال وتطلعوا نحو سدوم فمشى إبراهيم معهم ليودعهم، فقال الرب: أكتم على إبراهيم ما أنا فاعله. وانطلق الرجلان من هناك نحو سدوم، وبقي إبراهيم ماثلًا أمام الرب.

وفي **الإصحاح** (٣١): (هو بيني وبين بني إسرائيل علامة عهد إلى الأبد، يوم

السبت؛ لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع فرغ من العمل واستراح).

وفي **الإصحاح** (٢٥): (أما التقدمات التي تأخذونها منهم فهي: ذهب، وفضة، ونحاس، وأقمشة زرقاء، وبنفسجية، وحمراء، ومنسوجات كتانية، وشعر معزى، وجلود كباش مصبغة بالحمرة، وجلود دلافين، وخشب سقط، وزيت للمنارة، وأطياب الدهن، والمسحة، والبخور العطر، وحجارة جزع كريمة، وحجارة كريمة أخرى لترصيع رداء الكاهن وصورته، فيصفون لي مقدسًا حيث أقيم فيه بينهم، ونضع فوق التابوت الذي يُحفظ بداخله لوح الشهادة التي أعطيتك، وهناك أجتمع بك وأكلمك بكل ما أوصيك به؛ لتبلغه لبني إسرائيل من على الغطاء).

وفي سفر (٢٤): (ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ بني إسرائيل، ورأوا إله بني إسرائيل وتحت قدميه أرضية كأنها مصنوعة من الياقوت الأزرق الشفاف تماثل السماء في النقاء، ولكن الله لم يمد يديه ليهلك أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا.

د- يعقوب يصارع الله وهو في هيئة إنسان

في سفر التكوين **الإصحاح** (٣٢): (وبقي وحده وصارعه إنسان حتى مطلع الفجر، وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب ضربه على حق فخذه فانخلع مفصل فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال له أطلقني فقد طلع الفجر، فأجاب يعقوب: لا أطلقك حتى تباركني. فسأله: ما اسمك؟ فأجاب يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل (ومعناه مجاهد مع الله)؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت).

هل يعقل أن يعرف يعقوب الله، والله بنفسه لا يعرف اسم يعقوب! ولذلك سأله: ما اسمك؟!

هـ- الله ينزل إلى الأرض بنفسه ليتحقق من المظالم؟

ففي سفر التكوين **الإصحاح** (١٨): (قال الرب: لأن الشكوى ضد مظالم سدوم وعمورة قد كثرت، وخطيئتهم قد عظمت جدًّا أنزل لأرى إن كانت أعمالهم مطابقة للشكوى ضدهم).

و- الله يحتاج إلى علامات توضع على منازل بني إسرائيل؛ ليميزها عن منازل المصريين فلا يضرهم؟

وفي سفر التكوين **الإصحاح** (١١): (يقوم جمهور إسرائيل بذبح الحملان عند المساء، ويأخذون الدم، ويضعونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلون فيها، ففي هذه الليلة أجتاز في بلاد مصر، وأقتل كل بكر فيها من الناس والبهائم، وأجري قضاء فيها ومنها، تكون العلامة التي تميزكم فأرى الدم وأعبر عنكم فلا تنزل بكم بلية الهلاك حتى أبتلي بها أرض مصر).

تكاليف الرب لأنبيائه

في كتاب الخروج **الإصحاح** (٤): (فاحتدم غضب الرب على موسى، وقال: أليس هارون اللاوي أخاك؟ أنا أعلم أنه يحسن الكلام، وها هو أيضًا قادم للقائك، وكلما يراك يبتهج قلبه فتحدثه تلقن فمه الكلام فأعينكما على القول، أعلمكما ماذا تفعلان، فيخاطب هذا الشعب عنك، ويكون لك بمثابة فم، وأنت تكون له بمثابة إله).

وفي **الإصحاح** (٧): (قال الرب لموسى: أنا جعلتك كإله لفرعون وهارون أخوك نبي لك).

وفي كتاب أرميا **الإصحاح** (١): (قلت: آه أيها السيد الرب، إني لا أعرف ماذا أقول لأني ما زلت ولدًا. مد الرب يده، ولمس فمي، وقال: ها أنا أضع كلماتي في فمك. ها أنا قد وليتك على أمم شعوب لتستأصل وتهدم وتبدد وتقلب وتبني وتغرس).

وفي كتاب يوشع **الإصحاح** (١): (وأول ما خاطب الرب به هو يوشع أنه قال له: اذهب، وتزوج من عاهرة فتنجب لك أبناء لأن الأرض ذلت إذ تركت الرب).

عندما يغضب الرب في العهد القديم

في كتاب صموئيل الثاني **الإصحاح** (٢٢): (دعا داود الرب: يا إلهي أستغيث فسمع صوتي من هيكله، وبلغ صراخي أذنيه عندئذ ارتجت الأرض وتزلزلت وارتجفت أساس السماوات، واهتزت؛ لأن الرب غضب نفث أنفه دخانًا، واندلعت نار آكلة من فمه، وأرسل بروقه فأزعجهم، وظهرت مجاري المياه العميقة، وانكشفت أسس المسكونة من زجر الرب، ومن ريح أنفه اللافحة مد الرب يده من العلى، وأمسكني وانتشلني من السيول الغامرة).

وفي سفر الخروج **الإصحاح** (٣٢): (ابتهل موسى، أمر الرب موسى: قم وانزل فإن الشعب الذي أخرجته من ديار مصر قد فسد إذ انحرفوا سريعًا عن الطريق الذي أمرتهم به فصاغوا عجلًا وعبدوه، وذبحوا له الذبائح هاتفين هذا هو إلهك يا إسرائيل الذي أخرجك من ديار مصر، وقال الرب لموسى: لقد تأملت في هذا الشعب وإذ به شعب عنيد متصلب القلب، والآن دعني وغضبي المحتدم فأفنيهم، ثم أجعلك أنت شعبًا عظيمًا، فابتهل موسى إلى الرب، وقال: لماذا يحتدم غضبك على شعبك الذي أخرجته من ديار مصر بقوة عظيمة وذراع قوية؟ لماذا تشمت المصريين فينا قائلين: لقد احتال عليهم إلههم فأخرجهم من ههنا ليهلكهم في الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن حمو غضبك، ولا توقع هذا العقاب بشعبك).

وفي سفر الخروج **الإصحاح** (٣٣): (أما أنا أسير وسطكم لأنكم شعب متصلب القلب لئلا أفنيكم في الطريق، وكان الرب قال لموسى: قل لبني إسرائيل: أنتم شعب متصلب القلب؛ لهذا إن بقيت لحظة واحدة في وسطكم أفنيكم).

مما سبق وعلى الرغم من هذه الصفات غير اللائقة لإله بني إسرائيل -كما هو

مذكور في العهد القديم- لا يتوافق بالمرة مع أوصاف الله في القرآن الكريم؛ لأن الحق قد ظهر بين سطور هذا العهد الحقيقة في سفر الخروج **الإصحاح** (٣٣): (قال موسى أرني مجدك، فقال الرب: أجيز حسناتي، وأذيع اسمي الرب أمامك. أغدق رأفتي على من أساء ورحمتي على من أريد، وأضاف ولكنك لن ترى وجهي؛ لأن الإنسان الذي يراني لا يعيش).

وفي هذا الإصحاح السابق ينسف كل ما جاء في وصف الله -سبحانه وتعالى- في صورة الإنسان حيث إنه قابل إبراهيم، وصارع يعقوب، وتكلم مع يوشع وأرميا، كما أن شعب بني إسرائيل رأوه جهرة، وأكلوا وشربوا أمامه، وهو يتعارض كلية مع **الإصحاح** (٣٣) وقد صحح القرآن الكريم هذه القصص جميعها في الآيات التالية:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ... ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ ﴾ [النساء: ١٥٣]

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

ولما عبد الإسرائيليون العجل أخذ سيدنا موسى سبعين رجل من بني إسرائيل لم يعبدوا العجل لميقات ربه؛ ليعتذروا عن قومهم، وكما سبق أن طلب الإسرائيليون من سيدنا موسى أن يروا الله جهرة:

وهذا يدل على أن السبعين رجلًا من بني إسرائيل قد صُعقوا، ولم يروا الله كما ادَّعوا، ولم يأكلوا أمامه كما هو مذكور في سفر التكوين **الإصحاح** (٢٤).

وعلى سبيل المثال أيضا نجد في القرآن تحقيق قصة سيدنا إبراهيم مع ضيوفه الملائكة نجد في العهد القديم أن أحد الثلاثة الضيوف هو الله نفسه وغسل قدمه واستراح تحت الشجرة وأكل وشرب بينما في القرآن القصة مذكورة في سورة هود:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود: ٦٩-٧٠].

وهذا مخالف لما جاء في العهد القديم؛ فالملائكة لم يأكلوا ولم يشربوا، وهم الذين بشروا سيدنا إبراهيم ليس بإسحاق فقط، ولكن بُشِّر أن بعد إسحاق يعقوب، وهذا تحقيق لا يمكن لبشر أن يدعيه.

٢- الله في العهد الجديد

ذُكر في العهد الجديد في الأناجيل الأربعة لوقا ويوحنا ومرقص ومتى أن سيدنا المسيح -عليه الصلاة والسلام- عيسى ابن مريم:

أ- الله الآب وروح القدس والمسيح إله واحد.

ب- ابن الله.

ج- رسول الله.

ولو كان محمد قد أخذ من العهد الجديد صفة المسيح -عليه السلام- كما يدعون لأخذ مقولة: إنه الله، أو ابن الله مثلًا، ولكن القرآن أكد أنه رسول الله إلى بني إسرائيل، وقد صحح معظم القصص التي تناولت هذه الادعاءات بالتفصيل وستذكر في حينها وقد ذُكر في العهد الجديد أن:

أ- الله هو المسيح

ففي الإنجيل كما كتبه يوحنا **الإصحاح** (١٠): (يسوع يعلن أنا والآب واحد)، وفي الإنجيل كما كتبه يوحنا **الإصحاح** (١٤): (كيف تقول أرنا الآب؟ ألا تؤمن أنا في الآب وأن الآب فيَّ).

وفي الإنجيل كما كتبه متى **الإصحاح** (١٦): (يقول بطرس، أنت المسيح ابن الله الحي).

فهل سيدنا المسيح هو مسيح الله المرسل من عند الله، أم قال: أنا المسيح ابن الله الحي؟

ب- المسيح ابن الله

في الإنجيل كما كتبه يوحنا **الإصحاح** (١): (ما من أحد رأى الله قَطُّ، ولكن الابن الوحيد الذي في حضنه الآن هو الذي كشف عنه فإذا شاهدت ذلك اشهد أنه هو ابن الله).

وفي الإنجيل كما كتبه متى **الإصحاح** (٢٨): (فاذهبوا إذن وتلمزوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس.

وفكرة تجسيد الله في صورة مادية أيضًا في الإنجيل كما كتبه متى **الإصحاح** (٢٦): (في عشاء الفصح أخذ يسوع رغيفًا وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس وسكر وأعطاهم قليلًا، واشربوا منها كلكم فإن هذا هو دمي الذي للعهد والذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا).

بالله عليك، كيف أتصور أن آكل لحم إلهي، وأشرب من دمه، أي صورة بشعة، وأي خطايا من البشر! فقد خلق الله الإنسان خطاءً، ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

جـ- المسيح نبيًا ورسولاً

وكان السائد في عهد سيدنا المسيح أنه نبي ورسول بني إسرائيل وقد ذكر ذلك.

١- ففي إنجيل مرقص **الإصحاح** (١٢) في الوصية العظمى يقول سيدنا المسيح: (أولى الوصايا جميعًا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد!!)

فقال له الكاتب: صحيح يا معلم حسب الحق تكلمت فإن الله واحد وليس آخر سواه.

٢- في إنجيل متى **الإصحاح** (٢١): (هذا هو يسوع النبي الذي جاء بالناصرة الجليل).

٣- في إنجيل لوقا **الإصحاح** (٢٤): (يسوع يظهر لتلميذين فقالا: ما حدث ليسوع الناصري الذي كان نبيًّا مقتدرًا في العقل والقول أمام الله والشعب).

٤- في إنجيل لوقا **الإصحاح** (٢٠): قال لهم: كيف يكون المسيح ابن الله فيما يقول داود: لقد قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك.

إذن داود يدعوه ربًّا، فكيف يكون ابنه؟

إنجيل مرقص (١٢): يقول يسوع الرب إلهنا رب واحد.

فإذا كان اليسوع دعاه ربًّا، فكيف يكون ابن الله، وهو نفس منطق سيدنا المسيح.

إنجيل مرقص (١٢): أول مرة يذكر سيدنا جبرائيل كوحي من عند الله.

وفي إنجيل متى (١٢): كنت بروح الله أطرد الشياطين، ولتمجيد روح القدس وتعريف روح الله في الأديان هو الوحي "سيدنا جبريل".

ولم يذكر سيدنا المسيح أنني أحيي الموتى بقدرتي، ولماذا يوحى إليه من الله وهو الله نفسه أو ابنه؟!

وفي إنجيل مرقص (١٣): أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد إلا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب.

فكيف لا يعرف الساعة وهو في إنجيل يوحنا: يسوع يعلن: أنا والآب واحد.

بمعنى هو الله واحد إله واحد فكيف لا يعرف الساعة؟

هذا هو الله في المسيحية فماذا قال الله في القرآن عن هذه الادعاءات جميعها، أو ماذا قال محمد في كتابه إن كان مدعيًا، أو نقل من العهد القديم والعهد الجديد، وألَّف القرآن بمعنى أن القرآن نسخة منقحة من العهدين القديم والجديد كما يدَّعون.

أولًا: في أعمال الرسل **الإصحاح (٧)**: يقول سيدنا موسى هذا الذي قال لبني إسرائيل سيبعث الله لكم من بين إخوتكم نبيًّا مثلي وهو الذي كان يقود جماعة الشعب في الصحراء.

هذا في العهد الجديد، أما في العهد القديم في كتاب ملاخي **الإصحاح (٤)**: يوم الرب يقول الرب القدير: اذكروا شريعة موسى عبدي وسرائر فرائضي وأحكامي التي أعطيتها في جبل حوريب لجميع شعب إسرائيل ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي قبل أن يجيء يوم قضاء الرب الرهيب العظيم فيعطف قلب الآباء على أبنائهم وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي (إن لم يتوبوا) وأصيب الأرض باللعنة.

وهنا نجد بشارة وصول سيدنا محمد نبيًّا في الصحراء قاد الشعب إلى عبادة الإله الواحد وهي شريعة موسى وهو مثل سيدنا موسى يتيمًا طرد من مصر ونزلت عليه التوراة، ودعا إلى عبادة الإله الواحد وكذلك محمد يتيمٌ طُرد من مكة وأُنزل عليه القرآن، ودعا إلى عبادة الإله الواحد، ومؤكدًا على التوراة والإنجيل مع وحي واحد هو سيدنا جبريل.

وأجمل ما جاء في القرآن من قصص قصة ميلاد سيدنا المسيح، وعلى الرغم أنه لم يذكر في أي من الأناجيل الأربعة إلا القليل، ولم يذكر إلا في إنجيل كما كتبه متى في الإصحاح الأول يقول **الإصحاح**: (يا يوسف بن داود لا تخف أن تأتي بمريم عروسك إلى بيتك؛ لأن الذي هي حبلى منه إنما هو روح القدس، فستلد ابنًا وأنت تسميه يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم، حدث هذا كله ليتم ما قاله الرب بلسان النبي: القائل ها أن العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعي [عمانوئيل] أي: الله معنا، ولما نهض يوسف من نومه فعل ما أمره به الملاك الذي من الرب فأتى بعروسه إلى بيته ولكن لم يدخل بها حتى ولدت ابنًا فسماه يسوع).

هذا كل ما ذكر في الأناجيل الأربعة، أما أناجيل مرقص ويوحنا ولوقا فلم يذكروا شيئًا عن ميلاد سيدنا المسيح أو يسوع، ولم يذكر إلا في الجمل السابقة في إنجيل متى: فأين قصة إكفال مريم؟ من الذي رباها وهي يتيمة؟ ولماذا اختار الله -سبحانه- سيدتنا مريم لهذا الحدث العظيم؟

كل هذه الأسئلة قد ذكرها القرآن بالتفصيل في أجمل الآيات المذكورة في القرآن، فهل يعقل أن إنسان تصل به القدرة والجرأة بها يخص الله ورسوله أو ابنه -كما يدعون- بهذه الدقة وفي تسلسل تاريخي، وكذلك ما قاله سيدنا عيسى المسيح وهو طفل رضيع وما حدث معه مع اليهود وكذلك قصة المائدة والإعجازات التي وردت مع سيدنا المسيح كإحياء الموتى، وشفاء المرضى، وعلمه الغيب، وكله بأمر الله وبإذنه.

والآيات الآتية من القرآن تبيِّن هنا أن هذا الكلام ليس مؤلفًا، ولكن من عند الله:

١- ميلاد سيدتنا مريم

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦].

وعندما نذرت امرأة عمران ما تلده إلى المعبد؛ حتى يكون في خدمة الرب لم تكن تعلم أنها ستلد أنثى، وعندما وضعتها سمتها مريم، وكانت التقاليد أن الولد فقط هو الذي يوهب إلى المعبد، ولكن الله -سبحانه وتعالى- تقبل منها مريم بدلًا من الولد، وقد دعت لها أن يعيذها الله من الشيطان الرجيم.

٢- إكفال (تربية) سيدتنا مريم لسيدنا زكريا لرعايتها

وعندما وهبتها إلى المعبد فقد اختلف الأقرباء والمسئولون عن المعبد من يكفل

مريم، ويربيها وقد رضوا بإجراء القرعة بالأقلام وكانت القرعة من نصيب سيدنا زكريا:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا... ﴾ [آل عمران: ٣٧].

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

٣- اصطفاء سيدتنا مريم للمهمة الكبرى ميلاد سيدنا المسيح

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٨].

٤- قصة ميلاد سيدنا المسيح

وفي سورة مريم أعطى لنا صورة كاملة لميلاد سيدنا المسيح:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي

وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ١٦-٢٦].

فولدت سيدنا المسيح كما تلد النساء الأطفال بمخاض، وقد بيَّن الله لنا حكمة أكل البلح في حالة الولادة، وإعجاز طرح جذع النخل الميت للبلح؟

٥- آية سيدنا المسيح كلامه في المهد وإعلانه أنه عبد الله ورسوله

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم: ٢٩- ٣٧].

٦- إن سيدنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله إلى بني إسرائيل

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٩-٥٢].

ونلاحظ أن جميع الآيات التي أرسل بها سيدنا عيسى من إحياء الموتى وشفاء المرضى وإبصار الأعمى وخلق الطيور كلها آيات بإذن الله، وإنه نزل عليه التوراة أيضًا، كما نزلت على سيدنا موسى وزيادة عليه الإنجيل فهو رسول الله الوحيد

الذي أُنزل إليه كتابان: التوراة، والإنجيل على الرغم من ذلك اتهموا أمه السيدة مريم البتول الشريفة فرية بالزنى، وألغوا عقولهم تمامًا كما يحدث الآن.

إحياء الموتى معجزة سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام هي مماثلة لإحياء الميت مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهي قصة قتيل بني إسرائيل، ليس هذا فحسب، فمعجزة عصا موسى وهي تحويل العصا الميت وهي من أصل نباتي إلى حية تسعى تلقف جميع عصا وحبال السحرة جميعهم ثم تحويل هذا الحيوان الحي إلى عصا مرة أخرى كل ذلك بقدرة الله ولم نقل أن سيدنا موسى هو ابن الله؛ لأنه أحيى موتى أو أتى بمعجزة إحياء الموتى، كذلك إحياء الموت لسيدنا إبراهيم حيث أحيى الله سبحانه وتعالى الطيور التي قطعها وخلطها ثم أحياها الله سبحانه وتعالى، كلها من آيات الله سبحانه.

الآيات واضحة جلية بصدق القرآن ثم يقال: إنه مؤلف؟! ونفس المجادلة بالباطل ويحسبون أنهم يصنعون خيرًا.

ظهرت هذه الآيات جميعها وعمره ثلاثون سنة، ولم تظهر عليه من صغره حتى هذا العمر؛ حيث أرسل الله جبريل ليكون رسولًا لله في سن الثلاثين وكانت رسالته قصيرة حيث مكث فقط أربع سنين ثم رُفع.

٧- آية المائدة

وعلى الرغم من الآيات البينات التي سبق أن ذكرت في القرآن كإحياء الموتى وشفاء المرضى... و... إلا أنه رسول إلى بني إسرائيل المعروف عنهم الجدال بالحق والباطل، ألم يقولوا لسيدنا موسى من قبل على الرغم أيضًا من الآيات التي شاهدوها معه: ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤].

قالوا أيضًا لسيدنا عيسى: هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء كأن رب سيدنا عيسى، أو رب سيدنا موسى ليس ربهم وعلى الرغم من الآيات

الواضحة الدامغة إلا أنهم أرادوا آية مادية خاصة بهم يأكلون منها، وتطمئن قلوبهم... على ماذا؟

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١١-١١٥].

٨- رفعه إلى السماء

وبعد حادثة المائدة ومحاولة تسليمه إلى الرومان؛ لقتله فقد أبلغه الله -سبحانه وتعالى- بذلك ورفعه إليه بدون أن يصيبه أذى سواء من اليهود أو الرومان.

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٨].

٩- حادثة الصلب في الأناجيل تثبت صحة ما جاء في القرآن

وبمناقشة حادثة الصلب في الأناجيل الأربعة: لوقا، ومتى، ومرقص، ويوحنا نجد قول المصلوب يختلف من إنجيل لآخر، وكان المفروض وهي حادثة أن يكون اللفظ واحدًا وموثقًا من الذين سمعوه، ولسنا هنا بصدد التشكيك، أو الخوض في هذه المسألة، ولكن مناقشة ما جاء في هذه الأناجيل؛ لكي نؤكد لهم صحة ما جاء في القرآن، وأنه ليس مؤلفًا، وإلا لأخذ أحد المقولات وذكرها في القرآن أو في كتابه كما يدَّعون، ولكن القرآن كرم رسول الله عيسى ورفعه إلى السماء بصحبة أجداده: آدم،

ونوح، وإبراهيم، وموسى أولي العزم من الرسل، وإن حادثة الصلب حادثة مشكوك في صحتها، وإن يتبعون إلا الظن، وما قتلوه يقينا، وبمناقشة حادثة الصلب في الأناجيل نجد الآتي:

أ- في الإنجيل كما كتبه لوقا **الإصحاح (٢٣)**: (يا أبت إني في يدك أستودع روحي).

ب- في الإنجيل كما كتبه متى **الإصحاح (٢٧)**: (إيلي إيلي لمَ شبقتني).

ج- في الإنجيل كما كتبه مرقص **الإصحاح (١٥)**: (الوي الوي لم شبقتني).

د- في الإنجيل كما كتبه يوحنا **الإصحاح (١٩)**: (أما يسوع فلما وصلوا إليه وجدوه قد مات لم يكسروا ساقيه، وإنما طعنه الجنود بحربة ولم يتكلم).

فهل قال: يا أبت. أم قال: يا إلهي لم تركتني؟ أم لم يقل شيئًا ومات؟ وقد قال عنه القرآن: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧]، وإنهم في شك منه وليس عندهم علم الحقيقة، ولكن ما يتبعون إلا الظن. فنحن كمسلمين نبجله، ونقول: إنه رفع، والآخرون مصممون على أنهم قتلوه وصلبوه: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٤-٥٥].

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

١٠- المسلمون ينتظرون نزول سيدنا المسيح لاتباعه

وهي من علامات يوم القيامة.

سيدنا المسيح عيسى ابن مريم وأمه سيدتنا مريم العذراء البتول مكرمان في القرآن بصورة مكثفة، ونؤمن بهما إيمانًا قويًّا لا شك فيه:

أ- سيدتنا مريم خير نساء العالمين: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١١-١٢].

ب- وفي آية من آيات القرآن العظيم يخبرنا الله بنُزُول سيدنا المسيح عيسى ابن مريم، ويأمرنا باتباعه وهي في العقيدة الإسلامية حيث سينْزِل ويحكم العالم وهي من علامات يوم القيامة:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩].

يلاحظ في الآية: ليؤمنن به قبل موته مؤكدًا أنه لم يقتل وأنه رُفع حيًّا:

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٨].

ما سبق كان مثالًا لعدم نقل محمد ﷺ لأي شيء من العهد القديم أو الجديد، كما أن الأسلوب الذي ذكرت به هذه الآيات لا يمكن أن يكون أسلوب بشر، وكذلك حديث الملائكة لسيدتنا مريم والرد عليهم، والتسلسل التاريخي لهذه القصة لا يمكن أن يؤلف بهذه الدقة، وخصوصًا أن مواد القصة غير معروفة للكاتب وهو محمد ﷺ؛ لأنها غير مدونة لا في العهد القديم ولا الجديد، ولا أي كتاب آخر قبل القرآن المجيد.

٣- الله في القرآن الكريم

جاء ذكر الله في القرآن مخالفًا تمامًا ما جاء في العهد القديم والعهد الجديد، فإذا كان محمد ﷺ ناقلًا عن العهدين أو كان القرآن نسخة منقحة من العهدين لكانت صفات الله المذكورة في العهدين هي هي التي ذكرت في القرآن، ولكن حدث العكس أن صفات الله في القرآن لا يمكن لبشر مهما أوتي من علم وبلاغة ومكر أن

يذكرها، أو حتى يتصورها وإن هذه الصفات جميعها من عند الله فهو وحده القادر على وصف ذاته وصفاته وقدراته وليس الإنسان، ومن صفات الله العديدة في القرآن هي:

١- الله نور

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩].

٢- ليس كمثله شيء

لا يوجد في الوجود شيء مثله، ليس كمثله شيء -سبحانه-:

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

٣- قل يا محمد: إن الله واحد أحد

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٣].

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [طه: ٥-٧].

٤- الله لا يُرَى ولا يمكن مشاهدته

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

٥- لا يكلم الله بشراً مباشرة إلا وحياً، أو من وراء حجاب

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾ [الشورى: ٥١].

وهذه الآية تنفي أي كلام عن حديث الله مباشرة، حتى كليم الله موسى كلمه الله من وراء حجاب، وحين طلب من الله أن يراه صعقه ثم أحياه الله ولم يُرَ الله قط.

٦- علم الله في القرآن

أ- علم الغيب

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]، ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ب- علم الساعة

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٧]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

جـ- علم الله في كتاب «اللوح المحفوظ»

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢-٣]، ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]، ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

د- علم الله المطلق

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠]، ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[طه: ٩٨]، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣]، ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس: ٧٦]، ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧]، ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ [الأعلى: ٧]، ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

يعلم السر والجهر وما يخفون، كذلك خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ حتى يعلم وساوس النفس -سبحانه.

هـ- العلم من عند الله

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]، ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥]، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٤]،﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧]، ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [المائدة: ٤]، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٥-١٦]، ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩-٨٠]، ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٧].

٧- أسماء الله في القرآن العظيم

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨]، ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾

[الإسراء: ١١٠]، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤].

أسماء الله الحسنى

هذه الأسماء المتداولة بين المسلمين لم ترد في الكتاب أو السنة ولكن هي اجتهاد العديد من العلماء؛ حيث قال رسول الله ﷺ في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**إن لله تسع وتسعون اسمًا -مائة إلّا واحدًا- من أحصاها دخل الجنة**» وهكذا انتهى الحديث دون أي إشارة أو تلميح بهذه الأسماء ولكن الذي حدث أن ثلاثة من الرواة حاولوا في نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الهجري، جمع هذه الأسماء باجتهاداتهم إما استنباطًا من القرآن، والسنة أو نقلًا عن اجتهاد الآخرين وكان أشهرهم الوليد بن مسلم مولى بني أمية وقد جمع ثمانية وتسعين اسمًا بالإضافة إلى لفظ الجلالة. في أغلب الأحيان كان الوليد يحدث الناس بحديث أبي هريرة السابق الإشارة إليه فيظن الناس أنها نص من كلام الرسول ﷺ وقد نبه الإمام الترمذي إلى غرابة بعض الأسماء المذكورة أي ضعفها وانعدام ثبوتها في حديث. كما نجد الطبراني قد وضع اسمي القائم والدائم بدلًا من القابض والباسط وهكذا.

وحديثًا توصل الباحث الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق الأستاذ بكلية الشريعة وأصول الدين باستخدم الكمبيوتر واعتمد على محض جمع النصوص القرآنية وكذلك الأحاديث النبوية الصحيحة إلى أن المعروف أن أسماء الله الحسنى توقيفية فلابد أن تكون موثقة بالقرآن أو الأحاديث النبوية الشريفة وأن تكون الأسماء نصًا دون زيادة أو نقصان.

(يقول ابن حزم: لا يجوز أن يسمى الله تعالى ولا أن يخبر عنه إلى بما سمى به نفسه أو أخبر عن نفسه في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ ... فالله سبحانه وتعالى سقانا الغيث ومياه الأرض ولا يسمى سقَّاءً ولا ساقيًا ...).

ومن الأسماء المشهورة -ولكنها غير صحيحة؛ لأنها مشتقة من أفعال أو أوصاف لا يصح الاجتهاد فيها وهذه الأسماء هي:

الخافض - المعز - المذل - العدل - الجليل - الباعث - المعطي - المبدئ - المعيد - المميت - الواجد - الماجد - الوالي - ذو الجلال والإكرام - المقسط - المغني - المانع - الضار - النافع - الباقي - الرشيد - الصبور.

والأسماء التي أحصيت من القرآن والسنة هي:

الرحمن - الرحيم - الملك - القدوس - السلام - المؤمن - المهيمن - العزيز - الجبار - المتكبر - الخالق - البارئ - المصور - الأول - الآخر - الظاهر - الباطن - السميع - البصير - المولى - النصير - العفو - القدير - اللطيف - الخبير - الوتر - الجميل - الحي - الستير - الكبير - المتعال - الواحد - القهار - الحق - المبين - القوي - المتين - الحي - القيوم - العلي - العظيم - الشكور - الحليم - الواسع - العليم - التواب - الحكيم - الغني - الكريم - الأحد - الصمد - القريب - المجيب - الغفور - الودود - الولي - الحميد - الحفيظ - المجيد - الفتاح - الشهيد - المقدم - المؤخر - المليك - المقتدر - المعز - القابض - الباسط - الرزاق - القاهر - الديان - الشاكر - المنان - القادر - الخلاق - المالك - الرزاق - الوكيل - الرقيب - المحسن - الحسيب - الشافي - الرفيق - المعطي - المقيت - السيد - الطيب - الحكيم - الأكرم - البر - الغفار - الرءوف - الوهاب - الجواد - السبوح - الوارث - الرب - الأعلى - الله.

٨- صفات الله المضافة

أ- رب: رب العالمين – رب العرش العظيم – رب السموات السبع – رب السماء والأرض – رب السموات ورب الأرض – رب المشارق والمغارب – رب المشرق والمغرب – رب المشرقين – رب المغربين – رب كل شيء – رب العزة – رب الفلق – رب الشعرى – رب الناس – رب

هذه البلدة – رب هذا البيت – رب آبائكم الأولين.

ب- **ذو**: ذو الفضل العظيم – ذو العرش – ذو القوة – ذو الفضل – ذو مرة – ذو رحمة واسعة – ذو رحمة – ذو الطول – ذو مغفرة – ذو الجلال والإكرام – ذو انتقام – ذو عقاب أليم – ذو المعارج.

جـ- **خير**: خير المنزلين – خير الفاتحين – خير الراحمين – خير الغافرين – خير الحاكمين – خير الفاصلين – خير الناصرين – خير الماكرين – خير الرازقين – خير الوارثين – خير حافظ.

د- **مالك**: مالك الملك – مالك يوم الدين.

هـ- **عالم**: عالم الغيب والشهادة – عالم غيب السموات والأرض – علام الغيوب.

و- **فاطر**: فاطر السموات والأرض.

ز- **فالق**: فالق الحب والنوى – فالق الإصباح.

حـ- **غافر**: غافر الذنب.

ط- **قابل**: قابل التوب.

ي- **واسع**: واسع المغفرة.

ك- **شديد**: شديد العذاب – شديد العقاب – شديد المحال – شديد القوى.

ل- **بديع**: بديع السموات والأرض.

م- **رفيع**: رفيع الدرجات.

ن- **سريع**: سريع الحساب – أسرع الحاسبين – سريع العقاب.

س- **سميع**: سميع الدعاء.

ع- **أهل**: أهل التقوى – أهل المغفرة.

ليس كمثله شيء سبحانه

٩- قدرتـــه

علمه جل جلاله – انفراده بالأمر والحكم – إرادته – مشيئته – تنْزِيهه عن الظلم – غناه وافتقار الناس إليه – حمده وتسبيحه – رحمته – رضاه – غضبه –

خشيته وتقواه – حلمه – حبه – التوكل عليه – نعمه والأمر بالتحدث بها – إليه ترجع الأمور – يحيي ويميت.

مما سبق يتبين لنا أنه ليس بمقدور شخص مهما أوتي من علم أن يأتي بهذه الصفات من عنده، وغير مسبوق في أي كتاب من قبل أنها من عند الله الواحد الأحد.

ثامنًا

أسلوب الكتابة في القرآن

يكاد يجمع المستشرقون على الرغم مما في القرآن من آيات علمية وأسلوب فريد في منهجه وألفاظه وآياته، ويتركون كل هذه الحقائق، ويتحدثون عن أسلوب القرآن، وأنه من إنشاء محمد؛ حيث يدَّعون أن عبارات القرآن مختلفة في العهد المكي عن العهد المدني؛ ففي السور المكية العبارات قصيرة واللهجة شديدة ويوجد تكرار في الآيات، بينما في العهد المدني هدوء النغمات، ورواية القصص، ومجادلة اليهود والنصارى بما جاء في العهد القديم.

وللرد عليهم سنتخذ من أسلوبنا في النقاش نفس الأسلوب السابق، ونذهب مع فرضيتهم على جمود ألفاظ القرآن، وأنه ليس وحيًا، ولكننا سنبين وندحض افتراءاتهم من تعابير القرآن نفسها:

١) احتفظ القرآن بالتعابير الدالة على حرفيته

احتوى الكثير من آيات سور القرآن على كلمات: قل، وأبشر، وأنذر، وألم تر، ولم نعلم في أية لغة من لغات العالم الأسلوب الذي يقول فيه المُرسِل للرسول مثلًا: "اذهب إلى أحمد وأخبره أنني سأزوره غدًا الساعة الثامنة مساء" فيذهب المرسل ويقول لأحمد: "اذهب إلى أحمد وأخبره أنني سأزوره غدًا الساعة الثامنة مساء"!!

وقد ورد لفظ (قل) في القرآن مكثفًا فنجد أن جميع السور في القرآن خلال ثلاثة وعشرين جزءًا تحتوي على كلمة (قل) في بعض آياته، وبأعداد مختلفة تتراوح من (قل) مرة واحدة إلى ٤٥ مرة لكلمة (قل) كما جاء في سورة الأنعام، كما اختلفت أعداد كلمة (قل) في الآيات فتراوحت بين كلمة (قل) واحدة إلى عدد خمس مرات في الآية الأخيرة كما في الآية رقم ١٦ في سورة الرعد:

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦].

كما أنه لا يعقل أيضًا أن كاتبًا يكتب في أسلوب كتابته عن نفسه يسألونك عن، وقد ذُكرت في سورة البقرة خمس مرات في آيات: ١٨٩ – ٢١٧ – ٢١٩ – ٢٢٠ – ٢٢٢، ويسألونك ماذا؟ ويسألونك عن الساعة، فاسأل:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

ويكتب أيضًا عن نفسه ألم تر، ألم نشرح ... و...: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [الفيل: ١]، ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

هذه الصيغ التي لا يمكن لأحد أن يكتبها على لسانه، وإن كان هو كاتبه لقال أو كتب: إن الله كره لكم، إن الله يقول لكم، وكذلك أوصاني ربي، وأمرني ربي، ولكن الرسول بلَّغ بما يوحى إليه حرفيًّا؛ فالقرآن رسالة نصية من الله مباشرة إلى الناس؛ ليطلق على القرآن أنه: كلام الله ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦]، وهذه شهادة من الله والملائكة أن القرآن نزل من عند الله.

٢) نصوص العتاب، والمن، والتحذير من الله إلى رسوله محمد ﷺ.

أ- نصوص عتاب

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ [عبس: ١-٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ

لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم: ١].

ب- نصوص مَنٍّ الله على رسوله، والمؤمنين، وعلى المشركين

١- الرسول ﷺ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

٢- المؤمنون: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

٣- المشركون: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧].

ج- نصوص تحذير

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٢-٧٥].

والعمى هنا عمى القلب وعدم التفكر، وليس عمى البصر؛ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، أما بقية الآية: قال المفسرون: حاول المشركون محاولات عديدة؛ ليثنوا رسول الله ﷺ عن المضي في دعوته منها:

أ- مساومتهم له أن يعبدوا إلهه مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم.

ب- مساومته أن يجعل أرضهم حرامًا كالبيت العتيق.

ج- طلب الكبراء والأغنياء منهم أن يجعل لهم مجلسًا مخالفًا لمجلس الفقراء، وجميعها أمور دنيا، فما المانع أن يكون لهم مجلس وللفقراء مجلس مثلًا وهذا لا يؤثر على الدعوة، أو لا يندد بآلهتهم في هذه المرحلة؟ ولكنها أمور تمس العقيدة فلا فرق بين غني وفقير في الدعوة، ولا يستطيع أن يصمت إزاء عبادة الأصنام؛ ولذلك يقول له -سبحانه-: لولا أن ثبتناك لفكرت مجرد التفكير في الركون إليهم ولضاعفنا لك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ لأن الذنب كبير، والغرض من الآية بيان فضل الله على رسوله، ولتثبيته على الحق، وعصمته من الفتن، ولولا هنا: حرف امتناع فلم يحدث منه ذلك، أي: امتنع عن الركون إليهم، وأبلغنا الله -سبحانه- إذا فعل الرسول ذلك يكون عذابه كذا وكذا، فما بال المشركين؟! وتحذير للمؤمنين أن يركنوا إلى الكافرين، ويسايروهم في بعض مطالبهم:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

مما سبق لو كان محمد هو كاتب هذا الكلام لخفف الصيغ، أو حذفها فلا يكتب عن نفسه: لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، أو يقطع شريانه ... أو ... إلخ.

د- تعقيبات الله على بعض القصص التي ذكرت في القرآن

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

الآية السابقة خاصة بسيدنا نوح أما الآية التالية خاصة بقصة عبادة العجل، وتصنيع العجل بواسطة السامري، وليس بواسطة سيدنا هارون كما ذُكر في العهد القديم، والقصة مخالفة لما جاء في العهد القديم؛ ولذلك قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ [طه: ٩٩-١٠٠].

وفي قصة يوسف وهي القصة الوحيدة في القرآن التي نزلت كاملة: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

ونلاحظ في الآية أن الله -سبحانه وتعالى- قال أحسن القصص؛ لأن هناك فرقًا في اللغة العربية بين كلمة القصة وهو ما كتب من الخيال لأشخاص غير موجودين من خيال الكاتب، أما القصص هو سرد للحقيقة بأشخاص موجودين حدث معهم هذا الحدث.

هـ- تعابير خطابية تدل على أخبار الأمم السابقة

كإعجاز غَيْبي للقرآن قصة كفالة سيدنا زكريا لسيدتنا مريم وهي طفلة؛ لتربيتها، وقصة ميلاد سيدنا المسيح -عليه السلام- وأخبار أهل مدين، وأخبار سيدنا موسى بكل تفصيل، وجميعها غير مذكورة لا في العهد القديم، ولا في العهد الجديد: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

و- تعابير زجرية

﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [يونس: ٩٤-٩٥].

يقول ابن عباس: لم يشكُ الرسول ﷺ، ولم يسأل، وقال الزمخشري: هذا على الفرض والتمثيل كأنه قيل: إذا وقع شكٌّ مثلًا، وهناك فرق بين ما قاله الله للمشركين: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [هود: ١١٠] بإثبات الشك على سبيل التأكيد والتحقيق، وقوله -سبحانه-: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ ﴾ [يونس: ٩٥]. بمعنى الفرض والتمثيل، وقال البعض: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره من المسلمين وغيرهم:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٩-١٠٠].

فالإيمان هنا إيمان عقل، ويقول الله -سبحانه وتعالى- لا تجهد نفسك في الدعوة فمن أراد أن يؤمن فليعمل عقله، ومن ألغى عقله يكن كافرًا.

وأخيرًا وليس آخرًا هذه التعابير الزجرية، أو العتاب ... إلخ، تدل على أن هذا الرسول لم يكتبها، ولكن بلَّغ ما أُوحي إليه بأمانة، وقد بيَّن الله لنا إن حدث ولم يبلِّغ الرسول ما أنزل إليه حرفيًّا لأذاقه ضعف الحياة وضعف الممات، ولقطع منه الوتين... ولم يحدث؛ لأنه رسول صادق أمين كما أن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ولا تعتبر هذه الآيات الزجرية والعتابية منقصة لهذا النبي الكريم، بل هو تجميل وتكميل: إنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة؛ لأنه هو المتلقي من الله، نعم عبد من عباد الله، ولكن من خير عباد الله أجمعين، ولكن الله -سبحانه وتعالى- لا يخافهم ولا يرجوهم:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

٣) القرآن عربي نزل بلسان عربي مبين

علاوة على ما قد سبق فقد دأب العديد من المستشرقين وبعض المسلمين بحجة البحث العلمي أن يقولوا: إن هذا الكتاب ليس عربيًّا بالكامل، ولكن يحتوي على ألفاظ حبشية، وفارسية، وغيرها؛ تحقيقًا لشبهة النقل من الثقافات السابقة، ونقول لهم أيضًا: إن اللغة العربية التي كُتب بها القرآن لغة غنية جدًّا بحروفها، وبكلماتها، وألفاظها، ومعانيها ولا يمكن للمستشرقين ولا للمتربصين بالقرآن أن يلموا إلمامًا

جامعًا بها؛ حيث وُجد أن الحرف الواحد في اللغة العربية له اثنتا عشرة حركة صوتية نتيجة التشكيل الذي يوضع على الحرف؛ كالفتحة، والضمة، والكسرة، والشدة، والسكون...،بينما في اللغات الأخرى؛ كاللاتينية، والإنجليزية، والفرنسية.... فالحرف له حركة صوتية واحدة.

وعلى سبيل المثال: أي تغيير في تشكيل الحرف في الكلمة الواحدة تُغيِّر معناها بالكامل، ونأخذ في الآية التالية مثالًا لذلك:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

فتشكيل لفظ الجلالة في الآية اللهَ بفتحة على الهاء في لفظ الجلالة، فإن استبدلت هذه الفتحة بالضمة كما يقرؤها البعض –خطأً–، ويقول: اللهُ يتغير المعنى بالكامل؛ فوجود الفتحة على اسم الجلالة اللهَ معناه أن العلماء يخشون الله، أما العكس:اللهُ يعني أن الله هو الذي يخشى العلماء؛ فالأولى إيمان بالله، والأخرى كفر بالله.

وإن ما يدَّعونه من أنه يحتوي على ألفاظ حبشية، أو رومية، أو فارسية، فكان المفروض أن أول من اعترضوا عليه هم العرب أنفسهم وهم أهل اللغة والبلاغة، وقالوا: إن هذه الكلمة أو خلافها ليست عربية، وأنت كاذب وخصوصًا أن الله كرر أكثر من مرة أنه قرآن عربي: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، - ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣]، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

لعلكم تعقلون، اعقلوا ما تقولون، لقوم يعلمون لغتهم وهي العربية، ولسان عربي مبين.

أما ما يدَّعونه أن القرآن يحتوي على أعلام أعجمية مثل: نوح، ولوط، وإسرائيل فهذه الأعلام توضع كما هي في أية لغة، وليس في اللغة العربية فقط؛

فاسم محمد عربي فعندما نكتبه بالإنجليزية فيكتب أيضًا محمدًا، وبدراسة أسماء الأنبياء والرسل في القرآن نجد اسم سيدنا إبراهيم مثالًا للرد عليهم؛ فاسم سيدنا إبراهيم مكتوب في جميع سور القرآن [إبراهيم] ما عدا في سورة البقرة وهي أول سورة نزلت في المدينة المنورة التي كانت تعج باليهود، فنزل اسم سيدنا إبراهيم في جميع آيات هذه السورة فقط [إبراهم] بدون حرف الياء بين الهاء والميم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

بينما في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وبدراسة العهد القديم فقد وُجد أن سيدنا إبراهيم له اسمان: كُتب الأول إِبْرَامَ وهو ما ذكر في سورة البقرة (ومعناه الأب الرفيع)، وبعد ذلك سمَّاه الله إبراهيم (ومعناه أب الجمهور) وهو ما ذكر في جميع آيات القرآن الكريم.

ففي العهد القديم في سفر التكوين **الإصحاح** (١٧): "العهد والختان" وعندما كان إبرام في التاسعة والتسعين من عمره ظهر له الرب قائلًا: أنا هو الله القدير سِرْ أمامي وكن كاملًا، فاجعل عهدي وعهدك بيني وبينك، وأكثر من نسلك جدًّا فسقط إبرام على وجهه، فخاطبه الله قائلًا: ها أنا أقطع لك عهدي فتكون أبًا لأمم كثيرة، ولن يدعى اسمك بعد الآن إبرام (ومعناه: الأب الرفيع) بل يكون اسمك إبراهيم (ومعناه: أب الجمهور) لأني أجعلك أبًا لجمهور الأمم ...

ويكون اختلاف كتابة اسم سيدنا إبراهيم في القرآن كله مخالفًا لما كتب في سورة البقرة (إبراهم) دلالة على أن كتابة هذه الأعلام هي من عند الله مقروءة ومسموعة، وأن كل ما جاء في هذا الكتاب عربي -كلماتٍ وأعلامًا-.

٤) لم يذكر أي سيرة من سير أهله وأصحابه

يلاحظ في العهدين القديم والجديد أن سير الأنبياء والرسل مذكورة بالتفصيل أولادهم وزوجاتهم وعمومتهم وأصحابهم فلو كان هذا القرآن من إنشاء محمد كما يدَّعون لذكر أسماء زوجاته، وأولاده، وأصدقائه كسيرة ذاتية، ولكن لم يحدث قَطُّ في أي من آيات القرآن، حتى إن أقرب أصدقائه وهو سيدنا أبو بكر لم يُذكر اسمه إلا في حادثة الهجرة، ولكن ذُكر بأنه ثاني اثنين إذ هما في الغار: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

ولم يذكر زوج ابنتيه سيدنا عثمان بن عفان، ولا ابن عمه أول من أسلم وزوج ابنته فاطمة سيدنا علي بن أبي طالب و... و... و....، والوحيد الذي ذكر اسمه من أصحابه هو خادمه وابنه بالتبني سيدنا زيد؛ حيث أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يلغي التبني في الإسلام، ولما كان زيد بن حارثة خادمًا عند رسول الله، وكان عبدًا عنده، ورفض أن يذهب مع والده، فضل أن يكون عبدًا عند رسول الله بدلًا من أن يكون حرًا مع والده وطلب البقاء مع الرسول ﷺ فقد أعتقه النبي، وسُمِّي زيد بن محمد، وزوَّجه من بنت عمته وهي سيدتنا زينب بنت جحش، ولما أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يلغي التبني أرسل رسوله الأمين سيدنا جبريل، وأمر الرسول أن يتزوج سيدتنا زينب بنت جحش امرأة زيد، بعد طلاقها منه وكان هذا عارًا عند العرب، وكانت هناك مشاكل زوجية مع زوجها، وقد طلب سيدنا زيد من الرسول ﷺ أن يطلقها، فقال له الرسول ﷺ: أمسك عليك زوجك، أي: لا تطلقها، ونزل عتاب من الله لرسوله حيث قال له: أتخشى الناس، والله أحق أن تخشاه، وهذه القصة في الآية التالية:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا

لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وتغيَّر اسم زيد بن محمد إلى زيد اسمه الأصلي زيد بن حارثة نسبة إلى أبيه الحقيقي، ولا يكون للرسول ﷺ أبناء بعد وفاته؛ حيث إنه خاتم النبيين: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن المعروف أن هذا الكتاب أُنزل إليه في فترة زمنية في ثلاث وعشرين سنة؛ حيث نزلت الآيات مفردة أو مجمعة، وليست سورًا كاملة، وقد نزل ملفوظًا لا مكتوبًا، وكان الرسول ﷺ يمليه على كتبة الوحي، وكانت تُكتب على سعف النخيل، والجلود، والفخار، وخلافه، وقد تم ترتيب القرآن في آخر أيام رسول الله عن طريق سيدنا جبريل؛ حيث سمَّع له القرآن، وبهذا الترتيب الذي هو موجود الآن، وقد ترتبت الآيات في سورها، والسور مع بعضها، وقسمت مكية ومدنية، وقد راجع سيدنا جبريل مع الرسول، وسَمَّعه القرآن ثلاث مرات بهذه الصورة مصداقًا لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[القيامة: ١٧-١٨].

وتعتبر الآية السابقة معجزة في حد ذاتها؛ حيث لم يتغير في القرآن أية آية، أو أي حرف منذ نزوله حتى الآن.

تاسعًا

آيات الله العلمية في إعجاز ترتيب السور في القرآن الكريم

واستكمالًا لدراسة هذا القرآن العظيم، وهل هو مؤلف أم منزل من عند الله سبحانه؟ وبدراستي لترتيب سور القرآن من الفاتحة حتى المعوذتين لعدد ١١٤ سورة فقد أظهر الله -سبحانه وتعالى- بعلمه وقدرته دليلًا دامغًا لدحض هذه الافتراءات على رسوله ﷺ وقرآنه العظيم تبعًا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فمن المعروف أن هناك اختلافًا بين مسلسل النزول لسور القرآن، ومسلسل المصحف فعلى سبيل المثال: مسلسل نزول سورة العلق رقم (١) بينما مسلسلها في المصحف ٩٦، وسورة البقرة مسلسل نزولها ٩٨ بينما مسلسلها في المصحف رقم (٢).

وقد لوحظ أن هناك ثلاث سور فقط من سور القرآن وهي: سور ص، ونوح، والانفطار مسلسل نزولهم هو مسلسل المصحف، ومن دراستي للحروف فقد وُجد أن السور التي تحتوي على حروف مقطعة تبدأ بحرف (ص) تحتوي على سجدة مثل سور: الأعراف المص، مريم كهيعص، وسورة ص (ص)، والثلاث سور السابقة بها سجدات أرقام: ٢٠٦، ٥٨، ٢٤.

وبدراسة هذه المجموعة بالنسبة لتسلسل سور القرآن فقد وُجد الآتي:

١- أن سورة ص وهي ضمن السور الثلاث مسلسل نزولها هو مسلسل ترتيبها في المصحف رقمها ٣٨.

وعند قسمة هذا الرقم (٣٨) على ١١٤ وهي عدد سور القرآن نجدها تمثل القرآن بالضبط ٣٨ ÷ ١١٤ = $\frac{1}{3}$ **القرآن**.

٢- أن سورة مريم وهي أيضًا حروف مقطعة، وتحتوي على حرف (ص)

رقمها في المصحف ١٩.

وبقسمة هذا الرقم (١٩) على عدد سور القرآن ١١٤، وكانت النتيجة سدس القرآن ١٩ ÷ ١١٤ = $\frac{1}{6}$ القرآن، وبالتالي فإن ثلث القرآن وسدسه سورتان كلتاهما تبدأ بالحروف المقطعة، وكلتاهما تحتويان على حرف مقطع (ص)، وكلتاهما تحتويان على سجدة، وبالتالي فإن هاتين السورتين ستعملان كعامل ربط مشترك لدراسة كل من ترتيب، وتوزيع السور التي تحتوي على الحروف المقطعة في القرآن وعددها تسع وعشرين سورة؛ تبدأ بسورة البقرة "الم" رقم (٢) في مسلسل ترتيب المصحف، وتنتهي بسورة القلم (ن)، ومسلسل نزولها رقم (٢) أيضًا، وربط ذلك بسور القرآن بالمصحف كله، وكذلك ربط هذه السور الخاصة بالحروف المقطعة بالسور المحتوية على سجدات في القرآن التي تبدأ من سورة الأعراف رقم (٧) في مسلسل المصحف، والسورة رقم (٩٦) ومسلسل نزولها الأولى في القرآن وهي سورة العلق، وكذلك بالسورة الوحيدة في القرآن التي تحتوي على سجدتين وهي سورة الحج، وبذلك تم ربط مسلسل النزول بمسلسل الترتيب في المصحف من قبل الله - سبحانه وتعالى-:

أولاً: آية ترتيب السور التي تحتوي على الحروف المقطعة

يعتبر ترتيب سور القرآن المحتوية على الحروف المقطعة التسع والعشرين في مسلسل المصحف آية من آيات الله، فقد وجد الآتي:

أولًا: عندما نطرح من ٢٩ وهي عدد سور الحروف المقطعة عدد (٢) وهي سورتا الربط ص ومريم، حيث إن كلتيهما حروف متقطعة وتحتوي على ص وبها سجدة كما ذكرنا سابقًا فيكون الناتج ٢٧ سبعًا وعشرين سورة (٢٩ – ٢ = ٢٧ سورة).

موزعة في ثلاث مجموعات؛ المجموعة الأولى مكونة من تسع سور تبدأ بالحروف المقطعة موزعة من أول القرآن حتى سورة الربط الأولى مريم في القرآن

والمجموعة الثانية في تسع سورة تبدأ بالحروف المقطعة من سورة مريم حتى سورة الربط الثانية (ص) في $\frac{1}{3}$ القرآن، والمجموعة الثالثة والأخيرة وهي تسع سور تبدأ بالحروف المقطعة حتى نهاية القرآن وهذه المجاميع هي:

(١) **المجموعة الأولى:** من أول الفاتحة حتى سورة مريم (كهيعص)، وتشمل تسع سور هي:

المجموعة الأولى: والتي تبدأ بسورة البقرة حتى قبل سورة مريم (كهيعص).
١- ألم سورة البقرة.
٢- ألم سورة آل عمران.
٣- المص سورة الأعراف.
٤- المر سورة الرعد.
(٥-٩) الر وهي سورة هود، يوسف، يونس، إبراهيم والحجر؛ ليكون المجموع تسع سور تبدأ بالحروف المقطعة.

المجموعة الثانية: والتي تبدأ بعد سورة مريم (كهيعص) من سورة طه حتى قبل سورة ص، وهي أيضًا تسع سور تبدأ بالحروف المقطعة وهي.
١- طه: سورة طه.
٢- يس: سورة يس.
٣- طس: سورة النمل.
(٤-٥) طسم: سورتا الشعراء والقصص.
(٦-٩) الم: سور العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة؛ ليكون المجموع تسع سور تبدأ بالحروف المقطعة.

المجموعة الثالثة: والتي تبدأ من بعد سورة ص وهي سورة غافر (حم) حتى آخر المصحف بسورة القلم (ن) وهي أيضًا تسع سور تبدأ بالحروف المقطعة.
(١-٦) حم: سور غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.
٧- حم. عسق: سورة الشورى.

٨- ق: سورة ق.

٩- ن: سورة القلم، وهي السورة الثانية في مسلسل النزول؛ ليكون مجموع هذه المجموعة أيضًا تسع سور تبدأ بالحروف المقطعة.

ويلاحظ أن كل من سورتي البقرة -وهي السورة الثانية في ترتيب المصحف- وسورة القلم -وهي السورة الثانية في ترتيب النزول- كلتاهما تبدأ بالحروف المقطعة (ألم، ن) ليربط أيضًا بين مسلسل النزول ومسلسل المصحف.

ثانيًا: آية ترتيب السور التي تحتوي على السجدات

وُجد أيضًا أن ترتيب آيات القرآن المحتوية على السجدات آية من الله، وقد أخذ في الاعتبار أيضًا أسس توزيع السور حول سور الربط الأولى كهيعص مريم رقم ١٩، وهي تمثل سدس القرآن، وسورة الربط الثانية ص رقم ٣٨، وهي تمثل ثلث القرآن، عدد السور التي تحتوي على السجدات ١٤ سورة يُطرح منها سورتا الربط مريم، ص وهما سورتان بهما سجدتان = عدد سور القرآن التي تحتوي على سجدات ١٤ سورة - سورتا الربط = ١٢

نجدها موزعة توزيعًا إلهيًّا حول سورتي الربط كالتالي إلى ثلاثة أقسام أيضًا مماثلة لتوزيع الحروف المقطعة، وهي أيضًا متساوية كل قسم أربع سور بها سجدات وهي موزعة كالآتي:

المجموعة الأولى: من أول الفاتحة حتى سورة الربط الأولى كهيعص وتكون أربع سور بها سجدات.

١- سورة الأعراف (المص). ٢- سورة الرعد (المر).

٣- سورة النمل. ٤- سورة الإسراء.

المجموع أربع سور بها سجدات.

المجموعة الثانية: من سورة الربط الأولى كهيعص (مريم) حتى سورة الربط

الثانية ص، وتكون أيضًا أربع سور تحتوي على سجدات:

١- سورة الحج. ٢- سورة الفرقان.
٣- سورة النمل (طس). ٤- سورة السجدة (الم) بها.
المجموع أربع سور بها سجدات.

المجموعة الثالثة: من سورة الربط الثانية ص حتى نهاية سور القرآن، وتكون أيضًا من أربع سور بها سجدات.

١- سورة فصلت (حم). ٢- سورة النجم.
٣- سورة الانشقاق. ٤- سورة العلق.
المجموع أربع سور بها سجدات.

ويلاحظ أن سورة العلق هي أول السجدات نزولًا وهي أيضًا آخر السجدات ترتيبًا ليكون الربط بين مسلسل النزول ومسلسل الترتيب أيضًا -سبحان الله-.

ثالثًا: من آيات الله توزيع آيات السجدات في القرآن بالنسبة لسجدتي سورة الحج

مما يبين من آيات الله في توزيع آيات السجدات في القرآن العظيم هي:

أولًا: أن السجدتين في سورة الحج موزعة داخل سورة الحج في آيتين: الأولى آية رقم ١٨، والثانية هي الآية رقم ٧٧.

وأريد أن أنوه هنا أن الآية رقم ٧٧ في سورة الحج هي آخر سجدة نزلت في القرآن الكريم؛ حيث إن مسلسل نزول سورة الحج هو ١٠٣ من سور القرآن.

وسنة نزولها سنة تسع من الهجرة، ويلاحظ من توزيع السجدات داخل السور في القرآن العظيم وجدتُ أنها آية من آيات الله في توزيعها فهي كالآتي:

١- أن جميع السور التي تحتوي على سجدات بها سجدة واحدة إلا سورة الحج حيث تحتوي على سجدتين أرقام ١٨، ٧٧.

٢- من المعروف أن أسماء الله الحسنى ٩٩ اسمًا لم يشترك في السجدات كلها إلا ثلاثة أسماء فقط من أسماء (الله الحسنى) وهي: الله، ورب، والرحمن أو بدون ذكر اسم الله كأمر الله لرسوله بالسجود وهو أمر مباشر: اسجد واقترب.

وبدراسة معدل تكرار الأسماء الثلاثة في ذكرها في السجدات وُجد أن اسم الجلالة الله ظهر في سبع سور من أربع عشرة سورة ويوضع هذا الرقم في الاعتبار عند توزيع آيات السجدات في سور القرآن عامة.

٣- الجدول التالي يبين لنا العلاقة بين مسلسل المصحف، واسم السورة التي تحتوي على السجدة، ورقم آية السجدة، وكذلك اسم الجلالة المذكور في هذه السجدة:

مسلسل المصحف	اسم السورة المحتوية على سجدة	اسم الجلالة في السجدة	رقم آية السجود	ملاحظات
٧	الأعراف	ربك	٢٠٦	تبدأ بـ المص
١٣	الرعد	والله	١٥	تبدأ بـ المر
١٦	النحل	ولله	٥٠	
١٧	الإسراء	ربنا	١٠٩	
١٩	مريم	الله الرحمن	٥٨	تبدأ بـ كهيعص
٢٢	الحج	الله ربكم	١٨ ٧٧	المجموع ٤٥٦
٢٥	الفرقان	الرحمن	٦٠	
٢٧	النمل	لله	٢٦	تبدأ بـ طس
٣٢	السجدة	ربهم	١٥	تبدأ بـ ألم
٣٨	ص	ربه	٢٤	تبدأ بـ ص
٤١	فصلت	لله	٣٨	حم
٥٣	النجم	لله	٦٢	
٨٤	الانشقاق	-	٢١	
٩٦	العلق	-	٢٩	
				المجموع ٣٤٢

ومن الجدول السابق نجد أيضًا آية من آيات الله الدالة على صدق الرسول، وأنَّ هذا الكتاب منـزَّل من عند الله وليس مؤلفًا وذلك في وضع السجدتين في سورة الحج وهما السجدة في آية رقم ١٨، والسجدة الأخرى في آية رقم ٧٧؛ حيث نجد السجدات موزعة بينهما بأسلوب إلهي بديع كالآتي:

أولاً : تقسم السجدات إلى قسمين

أ- من الآية رقم ١٨ في سورة الحج صعودًا حتى الآية رقم ٢٠٦ في سورة الأعراف وهي أول سجدة في القرآن ترتيبًا وهي آخر سجدة نزولًا.

ب- من الآية رقم ٧٧ في سورة الحج نزولًا حتى الآية رقم ١٩ في سورة العلق وهي رقم (١) وهي أول سجدة في النزول (آخر سجدة ترتيبًا).

ثانيًا: وُجد أن اسم الجلالة الله قُسِّم أيضًا إلى نفس المجموعتين السابقتين كالتالي

أ- عدد اسم الجلالة الله، ولله أربع سور هي: (الرعد – النحل – مريم – الحج).

ب- عدد اسم الجلالة في هذه المجموعة ولله ثلاث سور هي: (النمل – فصلت – النجم).

ثالثًا : عدد أرقام آيات السجدات في المجموعتين كالتالي

أ- الأعراف – الرعد – النحل – الإسراء – مريم – الحج
٢٠٦ + ١٥ + ٥٠ + ١٠٩ + ١٩ + ١٨ = ٤٥٦

ب- الحج – الفرقان – النمل – السجدة – ص – فصلت – النجم – الانشقاق – العلق
٧٧ + ٦٠ + ٢٦ + ١٥ + ٢٤ + ٣٨ + ٦٢ + ٢١ + ١٩ = ٣٤٢

رابعًا : بقسمة كل مجموعة على اسم الجلالة الله الخاصة بها نجد الآتي

تحتوي المجموعة (أ) على عدد ٤ اسم الجلالة الله، لله بينما تحتوي المجموعة (ب) على عدد ٣ اسم الجلالة جميعهم لله، ولذلك يتكون الآتي:

أ- ٤٥٦ ÷ ٤ عدد اسم الجلالة بالمجموعة = ١١٤ وهي عدد سور القرآن.

ب- ٣٤٢ ÷ ٣ عدد اسم الجلالة بالمجموعة = ١١٤ وهي عدد سور القرآن.

المجموع ٧٩٨ ÷ ٧ عن السم الجلالة الله في السجدات = ١١٤ وهي عدد سور القرآن.

خامسًا: نلاحظ أيضًا توزيع الحروف مقطعة بين المجموعتين كالتالي

أ- اشتملت على المجموعة الرباعية (المص - المر) والخماسية كهيعص.
ب- اشتملت على المجاميع الثلاثية (الم) الثنائية (طس - حم) والفردية (ص).

سادسًا: وُزعت السجدات حسب نزولها، وكذلك حسب ترتيبها في المصحف على المجموعتين كالتالي

(أ) شملت أول سجدة في المصحف وهي في سورة الأعراف (٧)، ورقم آياتها (٢٠٦).

(ب) شملت أول سجدة في مسلسل النزول وهي سورة العلق (١)، ورقم آياتها (١٩) وهي أيضًا آخر سجدة في القرآن، وكذلك آخر سجدة في مسلسل النزول وهي سورة الحج ٢٢، ورقم آياتها ٧٧.

سابعًا: ومن آيات الله الكبرى في ترتيب آيات السجدات من المجموعتين ظهرت رابطة فريدة وهي:

أول سجدة في مسلسل النزول وهي سورة العلق رقمها ١٩ وهي مماثلة لرقم سورة مريم (١٩) أيضًا ولكن لا تصح المقارنة بين رقم آية، ورقم سورة، ولكن وجدت آية السجدة في سورة مريم رقمها ٥٨.

وبجمع رقمي الآيتين في سورتي العلق ومريم ١٩ + ٥٨ كان الناتج هو ٧٧ وهو رقم آخر آية السجدة في سورة الحج، وبالنظر إلى الثلاث آيات السابقة نجد آية من آيات الله في هذا الترتيب بالنسبة لأوامر السجدات، السجدة الأولى: رقم ١٩ في

سورة العلق أمر للرسول ﷺ بالسجود: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩].

السجدة الثانية: رقم ٥٨ في سورة مريم أمر بالسجود لجميع الأنبياء والرسل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ [مريم: ٥٨].

السجدة الثالثة: رقم ٧٧ في سورة الحج هي أمر بالسجود للمؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

وبالتالي فقد ربط الله -سبحانه وتعالى- أول سجدة في النزول وهي سورة العلق رقم ١٩ بآخر سجدة في النزول في سورة الحج وهي رقم ٧٧ ليس هذا فحسب بل ربط -سبحانه وتعالى- أمر السجدات بالرسول وبالمؤمنين كافة، وبجميع الأنبياء والرسل؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

كما شملت الثلاث آيات الخاصة بالسجدات أسماء الله الحسنى المشتركة في جميع السجدات وهي: الله، والرحمن، ورب وكذلك أمر الله بالسجود للرسول (اسجد واقترب).

ثامنًا: ومن آيات الله أيضًا في ترتيب سور القرآن الخاصة بسور السجدات عند جمع أرقام السور التي تحتوي على سجدات من سورة الأعراف رقم ٧ حتى آخر المصحف سورة العلق رقم ٩٦ نجد العدد ٤٩٠.

وعند قسمة هذا الرقم ٤٩٠ على عدد السور التي تحتوي على اسم الجلالة الله الذي شملته هذه السجدات كما اتبع سابقًا كان الناتج ٤٩٠ ÷ ٧ = ٧٠.

وهذا الرقم هو حاصل جمع مسلسل ترتيب سورتي الإسراء (١٧)، والنجم

(وهي ممثلة لواقعة المعراج) ومسلسل ترتيبها ٥٣: ١٧ + ٥٣ = ٧٠ ليكون الناتج ٧٠ أيضًا.

وكما هو معروف أن واقعة الإسراء والمعراج هي من آيات الله المؤيدة لرسوله محمد ﷺ حيث أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث صلَّى إمامًا بجميع الأنبياء والرسل، ثم عُرج به حتى وصل ﷺ إلى سدرة المنتهى حيث قابل الله -سبحانه وتعالى- حبيبه مباشرة، وكان الرسول ﷺ بصورته النورانية حيث وصفه الله -سبحانه وتعالى- بأنه سراجٌ منيرٌ وليس سراجًا وهاجًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥- ٤٦]، وهنا تم فرض الصلوات الخمس على المسلمين.

فما هذه الآيات كلها الدالة على صدق ما جاء به هذا النبي ﷺ، وأن هذا القرآن ليس من إنشائه كما يدَّعون فكيف لمؤلف أن يرتب أثناء تأليفه كتابًا يشمل أكثر من ٦٢٣٤ آية أو جملة، وينوِّع خلالها، ويرتِّب الموضوعات بهذه الدقة، وأن يربط أول سجدة في النزول مع آخر سجدة في النزول، وأن يربط أمر السجدة للرسول مع الأنبياء والرسل ومع المؤمنين كافة في هذا المنظومة، وأن تكون أرقام الآيات المحتوية على سجدات وعلاقتها باسم الجلالة الله تعطي عدد سور القرآن، وأن تتوزع هذه الآيات حول سورة واحدة وهي سورة الحج بحيث لو تغير وضع أية آية من هذه الآيات يظهر الزيف والبهتان ونحن مُتَحَدُّون أيضًا -كما تحدى الله سبحانه إنسه وجِنَّه أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقد قرر-سبحانه وتعالى- أنهم لم ولن يقدروا ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا -سبحان الله.

وأخيرًا من الإعجاز الظاهر لهذا الكتاب العظيم أنه:

١- لم يتغير حرفٌ واحدٌ من هذه الكتب منذ أُنزل على رسول الله ﷺ وحتى الآن إلى يوم القيامة مِصْدَاقًا لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فأين التوراة المباركة التي نزلت في الألواح على سيدنا رسول الله موسى؟! وأين الإنجيل الذي نزل على سيدنا رسول الله عيسى ابن مريم والمفروض أن يكون مكتوبًا بالعبرية وليس اليونانية؟ ولكن هذا هو القرآن الكتاب لم يتغير منه حرف واحد حتى الآن.

٢- لم يقدر إنسان حتى الآن أن يحاكي مثل هذا الكتاب على الرغم من المحاولات العديدة التي قام بها العديد من النَّاس، ومن وجود التكنولوجيا المتطورة والآلات الحديثة: كمبيوتر وخلافه ولم ولن يستطيع أن يأتي أحدٌ بمثل هذا القرآن، وهذا ما قاله الله -سبحانه وتعالى- أيضًا في القرآن متحدِّيًا مخلوقاته من الإنس والجن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

٣- هذا القرآن العظيم محفوظ في صدور المسلمين، وليس في الكتب فقط وقد وُصف في التوراة والإنجيل: أن أصحاب هذا الكتاب يحفظونه في الصدور؛ حيث قيل: أناجيلُهم في صدورهم؛ ولذلك نجد القرآن محفوظًا عند صغار المسلمين بينما نجد الكتب السماوية الأخرى غير محفوظة، وتُقرأ بواسطة أهل الدين في الديانة اليهودية والمسيحية.

٤- علاوة على ما سبق وما أُثِر فهو يحتوي على آيات علمية لم تُفسر إلا حديثًا مبينةً صدق القرآن، وكذلك ما ذكره من حقائق تاريخية لم تكن معروفة في حينها.

هل بعد ما سقناه من هذه العلاقات من الآيات داخل السور المختلفة، والآيات العلمية، والبراهين التي ترفض نظرية أن هذا الكتاب من كتابة بشر؟! ثم تستمر في عنادك، ومقولتك، وادِّعائك؛ فأنت بذلك تكون خرجت عن المناقشة العلمية، واتبعت هواك وشيطانك؛ وتكون من الذين حقَّ عليهم كلمات الله، رَانَ على قلوبهم؛ فهم صمٌّ وبكمٌ وعميٌ لا يفقهون: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الجاثية: ٨].

الباب الثاني

يقولون عن محمد

أولاً : كيف يصلي الله على محمد؟

ثانيًا : محمد رجل مزواج شهواني متعدد الزوجات، ولا همَّ له إلا الجنس.

ثالثًا : يقولون: إن محمدًا يحن للوثنية في عبادته.

رابعًا : لو أُنزل على محمد الملك ميكائيل لكنَّا اتبعناه، ولكن لا نتبعه؛ لأن الملك صاحبه هو جبريل.

أولاً

كيف يصلي الله وملائكته على محمد؟ هل يسجد له؟

تعالوا معًا نتدبر أولًا ما قيل عن الصلاة في القرآن العظيم: فقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- أن جميع مخلوقاته تسجد، وتسبِّح، وتصلِّي، كما علَّمها الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ١٨]، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١]، نلاحظ في الآيتين الخاصتين بالصلاة والسجود لمن في السموات والأرض تبدأ بألم تر؛ للتأكيد.

فكيف تسجد وتصلي هذه المخلوقات جميعًا؛ شمس، وقمر، ونجوم، وجبال، وشجر، وسماوات، وأرض، وبشر؟ كلٌّ علم صلاته وتسبيحه حسبما علَّمه الله -سبحانه وتعالى- إذن ليست الصلاة لها شكل واحد، بل هي متعددة بتعدد مخلوقاته.

وكانت صلاة أهل الكتاب من النصارى، واليهود ركوعًا فقط، كما بيَّن ذلك في القرآن أيضًا فكان النداء لبني إسرائيل: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

ولما كانت سيدتنا مريم البتول من بني إسرائيل أيضًا فكان الأمر لها من الله: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وحتى يومنا هذا فالصلاة عند المسيحيين ركوعٌ فقط أمام تماثيل سيدتنا مريم، وسيدنا المسيح، ثم الدعاء لله.

وكيف كانت صلاة العرب الكافرين قبل الإسلام؟ فقد كانت صلاتهم صفيرًا

وتصفيقًا: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٥].

وعند بدء الإسلام وحتى فرض الصلاة في الإسراء والمعراج كانت مثل صلاة أهل الكتاب ركوعًا فقط كما في سورة المرسلات (مسلسل نزولها ٣٣)، ومسلسل نزولها قبل سورة الإسراء (مسلسل نزولها ٥٠) حيث قال الله: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ [المرسلات:٤٧- ٤٨]، وهو نفس النداء لبني إسرائيل؛ لأن الناموس واحد، والآمر هو الله سبحانه وتعالى.

أما بعد الإسراء والمعراج كانت الصلاة المفروضة على المسلمين لها شكل خاص تميزت به، وهي أخذ حركة الملائكة المسبحين والمصلين عند الله، فكان الوقوف، والركوع، والسجود، والجلوس بين يدي الله -سبحانه وتعالى- وكما علَّمنا الرسول ﷺ أن نقول في كل حركة في الصلاة؛ فلا صلاة بلا فاتحة، وهي تُقرأ في كل ركعة عند الوقوف، والفاتحة تسمى أيضًا السبع المثاني، وهي حديثٌ بينك، وبين الله مباشرة بلا وسيط أن تقول: الحمد لله رب العالمين، يقول الله سبحانه: حمدني عبدي، تقول: الرحمن الرحيم، يقول الله سبحانه: مجدني عبدي، تقول: مالك يوم الدين، يقول الله سبحانه: أثنى عليَّ عبدي، تقول: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله سبحانه: قسمتها بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.

وتسبِّح في الركوع، وتقول: سبحان ربي العظيم، وتسبح في السجود، وتقول: سبحان ربي الأعلى.

فالصلاة في الإسلام بصورتها هي تسبيح لله -سبحانه وتعالى- ومحادثة بينك وبين الله -سبحانه وتعالى- ثم الدعاء بما تريد من الله -سبحانه وتعالى- بلا وساطة من أحد من خلقه؛ عبوديةً كاملةً لله لا شريك له.

وفي المجتمع المدني أمر الله -سبحانه وتعالى- رسوله بالصلاة على المؤمنين حيث قال: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣] فكيف يصلي الرسول على المؤمنين؟ هو أن يدعو لهم عند الله بالرحمة والمغفرة.

ثم قال الله -سبحانه وتعالى: إن الله وملائكته يصلون أيضًا على الذين آمنوا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فكيف يصلي الله -سبحانه وتعالى- وملائكته على المؤمنين؟

وفي سورة غافر نجد الملائكة أيضًا تستغفر للذين آمنوا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

ونجد أيضًا أن الله وملائكته يصلون على النبي، وأمرنا أن نصلي عليه أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فهل هنا أيضًا الله والملائكة يصلون على النبي أي: يسجدون له؟

مما سبق نجد أن كلمة الصلاة هنا تختلف باختلاف الذي يصلي فلها ثلاثة معانٍ مختلفة.

صلاة الله	رحمة
صلاة الملائكة	استغفار
صلاة الرسول	دعاء لله
صلاة المؤمنين	دعاء لله

وقد سأل رسولَ الله ﷺ كعبُ بن عجرة، قلنا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قولوا اللهمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ» (حاشية الصاوي والجلالين).

وهنا أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلي أيضًا على جده الأكبر، وهو أبو الأنبياء والرسل؛ فالصلاة تسبيحٌ، وذكرٌ، وسجودٌ كما أخبرنا الله -سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١].

فإذا كانت صلاتنا للرسول سجودًا له فكان الأولى أن نسجد أمامه، وهو حيٌّ عندما نزلت هذه الآية؛ ولكن لم يحدث أن سجد أحدٌ أمام الرسول ﷺ في حياته قطُّ، هذا ولم يحدث أن سجد أو ركع مسلمٌ قطُّ أمام قبر الرسول كما يفعل أهل الكتاب من المسيحيين الذين يركعون أمام تماثيل سيدتنا مريم وسيدنا المسيح مثلًا؛ بل هو محرَّم علينا حتى أن نتمسح بالمقصورة المحيطة بقبره، ولكن أن نقف أمام قبره فقط في أدبٍ كأنه موجود، ونصلي عليه لفظًا كما أمرنا الله -سبحانه وتعالى- ونقول فقط: اللهمَّ صلِّ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ.

ثم ندعو له: اللهمَّ آتِ سيدَنا محمدًا الوسيلة، والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه اللهمَّ مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك أنت الوهَّاب، ونشهد الله -سبحانه وتعالى- أنه أدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين.

وأن ندعو أن نكون برفقته في البرزخ، وأن يسقينا الله يوم القيامة من حوض سيدنا محمد وهو (الكوثر) شربةً هنيئةً مريئةً لا نظمأ بعدها أبدًا، عند سدرة المنتهى ويمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم، وأن يكون الرسول الكريم والقرآن العظيم شفيعًا لنا يوم القيامة يا رب العالمين!!

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

فأين السجود هنا؟! فصلاة الله سبحانه وتعالى: رحمة، وصلاة الملائكة: استغفار للمؤمنين، وصلاة الرسول: دعاء لله تعالى كما سبق أن بيَّنَّا سابقًا.

ثانيًا

يقولون: محمد رجل مزواج شهواني متعدد الزوجات ولا همَّ له إلا الجنس والزواج

عجبًا لقولهم! ونسألهم: من هو أشهر نبي ورسول في بني إسرائيل؟

سيدنا المسيح هو آخر أنبياء بني إسرائيل، وهو أحد أولى العزم من الرسل، وعلى الرغم مما جاء به من آيات ومعجزات دالة على صدقه، وكلامه في المهد... إلا أنَّ الإسرائيليين لم يصدقوه، وحاولوا قتله، وقد رفعه الله إليه في سن ٣٤ سنة ولم يتزوج، ونحن المسلمين في انتظار نزوله، وقد تبين لنا في العهد القديم أن أنبياء الله كانوا متعددو الزوجات كالتالي:

وفي كتاب صموئيل الثاني **الإصحاح** (٣): تزوج سيدنا إبراهيم من سيدتنا سارة، وهاجر، ثم قطورة، وتزوج سيدنا يعقوب من ليئة، وراحيل، ثم بلهة جارية راحيل.

وفي صموئيل الثاني (٣): أخيتو عم اليزرعيلية، وأبيرايل معكه، ثم حجيت، ثم أميطال، وعجلة ثم ميكال.

إصحاح (٥): وبعد أن انتقل داود من صيرون إلى أورشليم اتخذ لنفسه زوجات، ومحظيات، وأنجب أبناءً وبناتٍ...

أما سيدنا سليمان وكتاب ملوك الأول **الإصحاح** (١١):

أولع سليمان بنساء غربيات كثيرات فضلًا عن ابنة فرعون فتزوج موآبيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحيثيات، وكانت له سبعمائة زوجة، وثلاثمائة محظية.

ويكون سيدنا داود هو أشهر نبي ورسول لبني إسرائيل؛ حيث كان نبيًّا، ورسولًا، وقاضيًا، وحاكمًا، وملكًا، فكم كان عدد أزواجه؟

هم يقولون: إنه كان له تسع وتسعون زوجة فهل اتهموه بهذه الفرية؟

فلم تكن زوجات سيدنا محمد إلا تسع زوجات، لم يصل حتى إلى ١٠٪ من عدد زوجات سيدنا داود، ولم تمنع زوجات سيدنا داود إياه من التسبيح حتى إن الجبال والطيور كانت تسبح معه: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ١٧ - ٢٠].

فإن كان هذا النبي متزوجًا بتسع وتسعين زوجةً لم يمنعه ذلك من الحكم، والتسبيح، وهذا سيدنا سليمان له سبعمائة زوجة وعندما يكون الرسولُ محمدٌ متزوجًا تسع زوجات يصبح شهوانيًّا ومزواجًا... و... هذا الرد من كتابهم عن أنبيائهم، ورسلهم، أما عن ردنا عليهم فنقول:

أولاً: محمد عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وتعدد الزوجات

محمدًا قبل أن يبعث لم يتزوج إلا امرأة واحدة، وهي سيدتنا خديجة بنت خويلد، وكان عمره خمسةً وعشرين عامًا، وكانت تكبره بخمس عشرة سنة؛ حيث كان عمرها أربعين عامًا، واستمر زواجه بها خمسةً وعشرين عامًا؛ حيث توفاها الله عند عمر ٦٥ عامًا، وأنجب منها البنين: ولدين، وأربع إناث، وعندما ماتت قبل الهجرة حزن عليها حزنًا شديدًا، وسمَّى عام وفاتها بعام الحزن، ولم يجمع معها قطُّ زوجةً أخرى، وكان قد وثق رباطَ هذا الزواج الحبُّ، والإخلاصُ، والوفاءُ، والتضحيةُ، ولم تكن الشهوة هي شاغله، وهو في عز شبابه حيث كان جميل الخلقة، ومن أشرف قبائل قريش، ومن أشرف رجالها نسبًا، وكان التعدد في الزوجات من سمة هذا المجتمع بلا حساسية لزوجته الأولى أم أولاده، ومكث معها حتى بلغ الخمسين من عمره، وبعد عشر سنوات من بعثه رسولًا ولم يجمع معها امرأةً قطُّ.

وكانت -رضوان الله عليها- أوَّلَ من آمنت به من البشر، وأوَّل من آمنت به من النساء، وكانت جنديًّا مجهولًا تنجب له الأولاد، وتواسيه، وتمسحُ أحزانه عندما كذَّبه أهل عشيرته، وآذوه فكانت الزوجة، والأخت، والأم؛ حيث كان يتيمًا وعمره ست سنوات.

وظلَّ رسول الله ﷺ وفيًّا لها ولذكراها حتى بعد موتها، وقد ضرب لنا أروع الأمثلة للوفاء؛ حيث كانت سيدتنا عائشة -رضي الله عنها- تغار منها حتى من ذكراها؛ فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما غرت من أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت من خديجة وما رأيتها؛ ولكن النبي ﷺ يكثر ذكرها فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول ﷺ: «آمنت بي إذْ كفرَ الناسُ، وصدقتني إذ كذَّبني الناسُ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء».

بالله عليكم إن كان هذا النبي مزواجًا شهوانيًّا هل يكون هذا بعد سن الخمسين؟! وأين هذه الصفات وهو في سنِّ الفحولة والشباب، وقبل أن يكون نبيًّا، وحتى سنِّ الأربعين، وهو القادر ماديًّا -حيث كان تاجرًا موسرًا- وجسديًّا حيث كان رجلًا متكاملًا يمكنه أن يتزوج من البنات الأبكار الحسان؛ حيث كانت النساء والبنات تُورَّث قبل الإسلام كالمتاع والأنعام، على الرغم من أن سيدنا محمدًا ﷺ تزوج سيدتنا خديجة ليست كبيرة في السن فقط، بل كانت أيضًا ثيبًا أي، سبق لها الزواج من غيره.

ثانيًا: محمد عليه الصلاة والسلام بعد البعثة، وتعدد الزوجات

لم يتزوج الرسول ﷺ بعد بعثته امرأة أخرى على سيدتنا خديجة إلا بعد وفاتها، ومرور عشر سنوات على بعثته، ولم يكن تعدد الزوجات للرسول من أجل شهوة أو جنس فقد كان مشغولًا بالوحي، والدعوة، وإبلاغ ما يرسل إليه من قرآن، والسعي بين القبائل والحجاج إلى بيت الله الحرام؛ لتوصيل الدعوة إلى الناس.

وكانت جميع زوجاته ما عدا السيدة عائشة -رضوان الله عليهن أجمعين- ثيبات، وقد تزوج من بنت صديقه أبي بكر سيدتنا عائشة، وبنت صديقه عمر سيدتنا حفصة، وعددًا من الأرامل **اللاتي** مات عنهن أزواجهن في الحرب أو في الهجرة، وتزوَّج بنت زعيم يهود خيبر، وبنت سيد قبائل بني المصطلق، وبنت رأس الكفر في قريش أبي سفيان بن حرب الأموى، وبنت حُيي بن أخطب من ذرية نبي الله هارون أخي موسى من يهود بني النضير، وبنت الحارث الهلالية، وبنت عمته سيدتنا زينب بنت جحش، وكنَّ جميعًا من الحرائر الميسوريات الحال في حياتهن، ومن أكارم أقوامهن.

وكان النبي ﷺ المثل الأعلى في حسن معاملاتهن، ومعاشرتهن؛ سئلت عائشة -رضي الله عنها- كيف كان الرسول ﷺ إذا خلا في بيته؟

فقالت: كان ألين الناس، بسَّامًا، ضاحكًا، لم يُر قطُّ مادًّا رجليه بين أصحابه. كما سُئلت أيضًا عن خلقه في أهله؟

فقالت: كان أحسن الناس خلقًا لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا صخَّابًا في الأسواق، ولا يجازي السيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح.

وكان الأب الحاني لزوجاته، والأخ العطوف، والمعلم، والمربي تعلمن عنه شئون العلم، والأسرة، وفقه النساء، وسياسة المرأة، وسائر الأمور، والأحوال الخاصة بالمرأة في الإسلام الداخلية، والخارجية فكانت بيوتهن موضع احترام للمؤمنين وللمؤمنات في حياته وبعد وفاته فكانت بيوتهن منارًا للفتوى، ورواية للحديث، وإرشادًا للناس، وكأن الوحي لم ينقطع، ولهذا كانت وظائف زوجات النبي ﷺ حيث قال الله في كتابه: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

ولقد روي عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- حوالي ربع الأحاديث المنقولة عن رسول الله ﷺ والخاصة بالسنة، حتى إن أقرب أصحاب رسول الله ﷺ، وهم:

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم من كبار الصحابة كثيرًا ما كانوا يسألون زوجات الرسول ﷺ عن دقائق المسائل.

وعاشت زوجات الرسول ﷺ في حجرات بسيطة جدًّا مفروشة بالنخيل، وعشن في شظف من العيش حياةً خشنةً قاسيةً، وحين طلبن مزيدًا من النفقة، والمتعة والتيسير في حياتهن؛ غضب رسول الله ﷺ غضبًا شديدًا فكان الخطاب من الله أن خيرهن الله –سبحانه وتعالى –وليس الرسول ﷺ– بين الحياة مع الرسول كما هي أو الطلاق، واستبدالهن بنساءٍ خيرٍ منهن أبكارًا، ولسن ثيبات؛ فاخترن اللهَ ورسولَه فكافأهم الله بأن أسماهن أمهات المؤمنين، وجعلهن مثالًا للتقوى، وللإيمان، وحرم عليه الزواج بعدهن كما حرم عليهن الزواج بعد موت رسول الله ﷺ كما هو مذكور في الآيات الآتية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢٨- ٣٤]، فقلن: اخترنا الله ورسوله فكان الرد: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وهنا ما ملكت يمينه كانت سيدتنا مارية القبطية؛ حيث أهداها المقوقس عظيم القبط (مصر) للنبيِّ ﷺ حيث أعتقها عندما أنجبت منه ابنه إبراهيم، وقد توفي ابنه في الثانية من عمره، وهو آخر أولاده من الذكور.

وزوجات النبي ﷺ وهنَّ حسب الترتيب:

١- سيدتنا خديجة بنت خويلد

كان عمرها عند الزواج من الرسول ﷺ أربعين سنة، وقد رُزقت منه الذكور: عبد الله، والقاسم، والإناث: فاطمة، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، وكانت -رضوان الله عليها- ثيبًا، ولم يتزوج عليها واحدة قطُّ، وهي أول من آمنت به، وصدَّقته، وأعانته في كلِّ أموره فكانت الزوجة، والأخت، والأم، وقد توفيت -رضوان الله عليها- عن سن خمسة وستين عامًا؛ حيث توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهي مدفونة في مقبرة الحجون أو المعلا مع أعمامه، وأجداده في مكة وسمى عام وفاتها بعام الحزن.

٢- سيدتنا سودة بنت زمعة

أول من تزوجها بعد موت سيدتنا خديجة -رضي الله عنها- وكانت قد أسلمت، وهاجرت إلى الحبشة مرتين، ولما مات زوجها وكانت كبيرة السن حيث وصلت إلى سن السبعين عامًا؛ فقد تزوجها النبي ﷺ؛ ليعولها، وليقدر جهادها وصبرها على عذاب الكفار لها، ولِوَهَنِهَا وكبرها في السن، وكانت ضخمة الجسد لا تستطيع الحركة، فهل الزواج من امرأة ضخمة الجسد جدًّا وفي سن سبعين سنة زواج شهوة؟

٣- سيدتنا عائشة بنت أبي بكر

هي بنت سيدنا أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- صاحب ورفيق وخليفة رسول الله ﷺ، وكان زواجه ﷺ تكريمًا لسيدنا أبي بكر.

ولكن كان لهذا الزواج حكمة أخرى من الله -سبحانه وتعالى- حيث كانت صغيرة في السن وهي الوحيدة من زوجات الرسول ﷺ التي كانت بكرًا، ولم يسبق لها الزواج، وكانت لها ذاكرة قوية حافظة لأحاديثه، ومراقبة لأفعاله ﷺ في منزله وبين أصحابه والمؤمنين، وكانت حكمة الله -سبحانه وتعالى- أن تتربى هذه الفتاة

في بيت النبوة؛ حيث لم يشُبْها وثنية قريش؛ حيث ولدت في بيت أفضل بيوت المسلمين بعد الرسول ﷺ.

وكان عقلها متوقدًا بالذكاء، والقدرة على الحفظ والنَّقل لا مثيل لها بين زوجات الرسول ﷺ فكانت أكثر زوجات الرسول حفظًا لأحاديثه، فقد رُوي عنها فقط ٢٥٪ من الأحاديث النبوية التي تناولها المؤرخون عن أفعال، وأخلاق النبيِّ، وماذا كان يجري في بيت النبوة، وسلوك النبي ﷺ مع أصحابه وزوجاته في منزله وخارجه.

وكانت أحب زوجات الرسول ﷺ لقلبه وقد عاشت السيدة عائشة -رضي الله عنها- مع الرسول ﷺ، وعاشت بعده قرابة الخمسين عامًا، وكانت مرجعًا للفتوى في الشئون العامة والخاصة، وفي العبادات، والمعاملات، وكانت أعلم من أكثر الرجال من صحابة رسول الله ﷺ، وكانت ترشد الصحابة إلى الصواب في كثير من المسائل، وماتت في خلافة معاوية، ودُفنت في البقيع بالمدينة المنورة عن عُمْرٍ قدره سبعة وسبعين عامًا.

٤- سيدتنا زينب بنت خزيمة

كانت زينب زوجة عبيدة بن الحارث أول شهيد في غزوة بدر، فأراد الرسول ﷺ **إكرامها وتخفيف آلامها بالزواج منها، وما لبث أن ماتت بعد الزواج بفترة قصيرة.**

٥- سيدتنا حفصة بنت عمر بن الخطاب

وهي بنت سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- وكانت زوجة لحسن بن حذافة وهو من شهداء غزوة بدر، أول غزوة في الإسلام وقد عرض سيدنا عمر زواجها على كلٍّ من أبي بكر وعثمان صديقيه؛ إلا أنهما رفضا، وقد خطبها رسول الله ﷺ؛ إكرامًا لوالدها سيدنا عمر وما له من مواقف مشرفة في الإسلام، وصديقه،

وهو الذي دعا الله -سبحانه وتعالى- أن يُعزَّ الإسلام به كما أنها زوجة شهيد في أول غزوة في الإسلام، وقد حُفظ عندها المصحف بعد تجميعه مباشرة من كتبة الوحي في عهدي سيدنا أبي بكر وعمر -رضي الله عنهم أجمعين- وهي أمانة كبيرة قامت بها سيدتنا حفصة، وقد دُفنت أيضًا في البقيع.

٦- سيدتنا أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية القرشية

كان أبوها من أجواد العرب، تزوجت ابن عمها وهو من السابقين في الإسلام ومات شهيدًا في غزوة أحد، ثاني غزوة في الإسلام وترك لها أولادًا، فقال لها النبيُّ ﷺ قولي: «اللهمَّ أجرني في مصيبتي وعوضني خيرًا منها ...فقالت في نفسها ومن يكون أفضل من أبي سلمة؟! فخطبها النبيُّ ﷺ وتزوجها، وكانت -رضوان الله عليها- راوية للحديث معروفة بالعقل، وحسن المشورة، وقد أشارت على النبيِّ ﷺ في صُلح الحديبية بأن يتحلل النبيُّ بنفسه أمام المسلمين؛ حيث كان البعض من الصحابة غير راضٍ عن صُلح الحديبية، وقد أخذ ﷺ برأيها، وعندما رأى المسلمون ذلك؛ تسابقوا في الاقتداء بالرسول ﷺ ووئدت الفتنة، ويلاحظ أن أم سلمة عند زواجها من رسول الله ﷺ كانت في الستين من عمرها.

٧- سيدتنا جويرية بنت الحارث الخزاعية

أبوها سيد بني المصطلق، وقد وقعت في الأسر وأعتقها الرسول ﷺ لنسبها بين قومها، وطلب منها الزواج بعد عتقها؛ فوافقت وتزوجها؛ ومن أجل ذلك أعتق جميع الصحابة أسرى بني المصطلق، وقالوا: لا نسترِقُّ أصهار رسول الله ﷺ، وقد أسلم أهلها وكانوا عونًا للرسول في الدعوة، وقد كانت من أعبد أمهات المؤمنين.

٨- سيدتنا أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية

أسلمت أم حبيبة -رضوان الله عليها- بمكة في صدر الإسلام، وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى الحبشة فتنصَّر زوجها وفارقها؛ وحتى لا ترجع إلى أبيها رأس الكفر وسيد مكة أبي سفيان؛ فأرسل رسول الله ﷺ إلى النجاشي في

الحبشة، وخطبها له وأصدقها عنه أربعمائة دينار، وأعطاها هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة تزوجها رسول الله ﷺ سنة ٧ هجرية، تكريمًا لها ولصبرها.

٩- سيدتنا زينب بنت جحش الأسدية

أمها السيدة أميمة بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله ﷺ، وقد رُبيت سيدتنا زينب في بيت رسول الله ﷺ وبعنايته، وكانت بمنزلة أخته الصغرى، وقد خطبها النبيُّ ﷺ لعتيقه ومتبنِّيه زيدِ بن حارثة؛ حيث رفض أن يذهب مع أبيه مفضِّلًا العبودية عند رسول الله ﷺ عن الحرية مع أبيه وأهله؛ وعندما أمر الله -سبحانه وتعالى- بإلغاء التبني أمره الله -سبحانه وتعالى- أن يتزوج سَيِّدَتَنا زينب وهي بنت ابنه بالتبني؛ حتى يكون قدوة للمؤمنين في اتباعه؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٣٧- ٤٠].

وكانت سيدتُنا زينب تباهي أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أولياؤكن وأنا زوجني الله من فوق سبع سماوات. وهو زواجٌ خاص بتشريع إلغاء التبني في الإسلام.

١٠- سيدتنا صفية بنت حُيي بن أخطب الإسرائيلية

وهي من ذرية سيدنا هارون نبي الله، وكانت من يهود بني النضير، وسُبيت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، وأعتقها رسول الله ﷺ لإكرامها ولنسبها وتزوجها لتشريع زواج الكتابيات.

١١- سيدتنا ميمونة بنت الحارث الهلالية

وكان اسمها برة فغيَّر رسول الله ﷺ اسمها وسمَّاها ميمونة وهي آخر أمهات

المؤمنين زواجًا وموتًا.

وقد أوضح الله لنا في كتابه أن زواج الرسول ﷺ جميعَه وحي من الله سبحانه، وليس لمتعة دنيوية، وكانت زوجات الرسول اللاتي جمعهن قبل أن تضاف إليهن سيدتُنا ماريةُ القبطية بعد عتقها بمثابة عدد أصحابه المبشرين بالجنة من الرجال وكان عددهم عشرة أيضًا، وكنَّ عونًا للرسول ﷺ في انتشار الإسلام بين القبائل والعشائر والمدن كلٍّ واحدة بلغتها وبطريقتها.

١٢- سيدتنا مارية القبطية

وكانت جارية عن رسول الله ﷺ أعتقها عندما أنجبت له الولد وسماه إبراهيم على اسم جده الأكبر وهي الوحيد التي أنجبت له أطفالًا بعد سيدتنا خديجة وزواجه بها أيضًا لتشريع زواج الكتابيات أيضًا حيث كانت نصرانية.

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، والحكمة هنا هي التفسير خصوصًا للأشياء الخاصة بالنساء؛ حتى لا يتحرج الرسول ﷺ عند الكلام عنها، وكان يُعَلِّم زوجاته؛ حيث ينقلن الآيات وتفسيرها إلى النساء الأخريات وهذه هي الحكمة من تعدد أزواج الرسول ﷺ وقد كرَّمهن الله -سبحانه وتعالى- حيث جعلهنَّ أمهاتٍ للمؤمنين: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

ويُلاحظ أنَّ هناك مصلحةً معينةً، أو حكمةً معينةً في اختيار كلِّ زوجة من زوجاته في التشريع كالزواج كفالةً للأرامل والأيتام: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ [النساء: ٣].

ومصاهرة كبار القبائل وأصحاب الأنساب؛ حتى لا يُهانوا، وإكرامًا لهن ولأنسابهن ووضعهن الاجتماعي؛ فدخل العديدُ من هذه القبائل الإسلام كما هو الحال مع بني المصطلق، وزواجه من اليهوديات إكرامًا لليهود والنصرانيات إكرامًا

للنصارى الذين دخلوا في دين الله فتكون مناقشتهم من خلفية دينية واحدة؛ فزواج رسول الله محمد ﷺ ليس متعة جنسية كما يدَّعون، ولكنه أمر الله -سبحانه وتعالى- لأحكام ذكرناها في حينها.

وعشن جميعًا في شظف من العيش وما كان عند رسول الله من طعام إلى الأسودين الماء والتمر على الرغم من أن جميعهن كنَّ أيسر حالًا قبل الإسلام.

ثالثًا

يقولون: إن محمدًا يحن للوثنية في عبادته

يدَّعي المستشرقون، والمنافقون، والكافرون، والمتأسلمون، والذين في قلوبهم مرضٌ بحجة البحث العلمي واستقراء التاريخ أن محمد يحن للوثنية.

ونقول لهم: لم يُذكر قطُّ في التاريخ، أو كتب السيرة أن محمدًا سجد لصنم قطُّ في الجاهلية، وكان يتعبد لله في غار حراء، وهو في أعلى بقعة في جبل جنوب مكّة في شهر رمضان من كلِّ عام، وهو لا يتسع إلا لرجلين فقط منقطعًا عن أهل مكة في حياتهم وفجورهم وذلك قبل أن يبعث.

وقد ثبت أيضًا أنه هو الذي حطَّم الأصنام، وأزالها من حول الكعبة إلى يوم الدين مرددًا: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

وهناك مقولة في التاريخ أيضًا: إنَّ سيدنا عمر قال قولته المشهورة عند تقبيله الحجر الأسود بالكعبة قائلًا: "والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله قبَّلك ما قبَّلتك"، وهو كان من أعتى الكفار قبل الإسلام، وكان يجلس مع أصحابه وهو أمير المؤمنين فضحك فقال له أصحابه: لِمَ تضحك يا أمير المؤمنين؟ فقال: كنت أعبد صنمًا من العجوة، وكنت أعكف عليه طوال الليل، وعندما يشتد عليَّ الجوعُ آكله!!

ولكني هنا أقول عندما نتكلم عن الحجارة وتقبيل الرسول هذا الحجر، وكذلك تقبيلنا له ليس بالصورة التي يراها المدَّعون؛ فعند دراسة الحجارة في القرآن الكريم نجد الله -سبحانه وتعالى- يعاملها كالإنسان حيث أرسله الله رحمة للعالمين فهي من مخلوقات الله المُسَبِّحة: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وما الأرض إلا صخور، وجبال، ويابسة، وأنهار، مخلوقات الله ليست مسبحة ومصلية فقط ولكن ساجدة أيضًا؛ حيث يقول الله في قرآنه العظيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

وكانت الجبال -وهي حجارة- تسبح مع داود في الصباح وفي المساء: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: ١٧-١٨].

وعندما قالت اليهود عن عزير: ابن الله، وقالت النصارى: عيسى ابن الله قال الله -سبحانه وتعالى- في قرآنه العظيم: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٠-٩١].

يتفطرن (أي: يتفتتن) وتندك الجبال من هذا القول الظالم على الله.

ألم يعلمها الله -سبحانه وتعالى- كيفية خلقه المسبحة بذاتها، وعرض عليها الأمانة مع الإنسان فهل هي صخور وجبال؟ أم هي مخلوقات مسبحة ساجدة شاكرة لله؟ عرضت عليها الأمانة قبل الإنسان وأبت أن تحملها لمعرفتها تبعاتها، وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا لنفسه جهولًا بتبعاتها.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

كما وصف الله -سبحانه وتعالى- الحجارة في القرآن كالإنسان: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

كما دُكَّت الجبال عندما تجلى نور الله عليها: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد يتصدع الجبل إذا نزل عليه القرآن العظيم من خشوعه وثقله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

كما خرجت من الجبل ناقة صالح وهي آية من آيات الله، قد ظهرت الحجارة كجنود لله -سبحانه وتعالى- يرسلها كعذاب للأقوام المكذبة: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ٣-٥]، والعصف المأكول هو: روث البهائم.

وأرسل على قوم لوط حجارة من سِجِّيل مسومة ومعلمة فهي حجارة عذاب: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٣-٣٤].

كما كانت الجبال تسبح مع داود كان جبل أُحد يحب الرسول محمدًا ﷺ، وكان الرسول يحبه، وهناك قصة مشهورة عن الرسول ﷺ عندما كان واقفًا على جبل أحد فاهتز اهتزازًا شديدًا، فقال له الرسول ﷺ: «اهدأْ أحدُ، اهدأْ أحدُ فعليك رسولٌ وصِدِّيقٌ وشهيدان» وكان يقف بجوار سيدنا أبي بكر الصديق، وسيدنا عمر، وسيدنا علي، وكلاهما قتلا وأصبحا شهيدين، فالرسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فكيف علم بمقتل صديقيه عمر وعلي؟!

ولما كان هناك بشرٌ مفضلون عند الله كالأنبياء، والرسل، ورسلٌ مفضلون على

بعض مثلُ أولى العزم من الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد.

والمفضلون من الملائكة، وهم الملائكة المقربون: جبريل، وميكال، وإسرافيل، وعزرائيل، ومن الجبال المفضلة جبل الطور؛ حيث أقسم الله به:﴿ وَٱلطُّورِ﴾ [الطور: ١]

فهناك أيضًا حجارة مفضلة وهي الحجر الأسود بالكعبة؛ ونظرًا لأن الرسول محمدًا ﷺ مرسلٌ رحمة للعاملين، وليس للبشرية فقط فهو مرسل للإنس والجن، ورحمة للدواب والأنعام ولجميع المخلوقات، كما أن الأحجار وهي صخور من جبال متفتتة ونحن نتكون من مكوناتها؛ حيث خُلقنا من صلصال من حمإٍ مسنون، وكذلك خُلقنا من تراب (طين + سلت + رمل + عناصر معدنية وماء) لذلك عند ما يُقَبِّلُ الرسول ﷺ هذا الحجر فإنه يُقَبِّلُ خلقًا من خلق الله المسبِّحة لله يمثل الجماد.

ويقول البعض: ولماذا لم يقبِّل أحجار الكعبة جميعَها؟

والرد عليهم: وأنت تسير في الشارع، وقابلت صديقًا لك فهل أنت تُقَبِّلُ كلَّ البشر السائر في الطريق، أم تُقَبِّل صديقك الذي تعرفه؟ فالحجر الأسود هو حجر معروف تُقَبِّلُه كمخلوقٍ صديقٍ من خلق الله المسبِّحة.

ليس هذا فحسب فهذا المكان وهو الحجر الأسود، وعندما أقبِّله فإنني أقبِّل مكانَ النبي كأنني قبَّلْت الرسول محمدًا ﷺ، وعندما ألمسه كما لمسه الرسول ﷺ كأنني سلَّمتُ على الرسول مباشرةً، كما أنه بدأ به الطواف فأنت أيضًا تبدأ به، وتطوف في مدارٍ عكس عقارب الساعة، كما يطوف السيتوبلازم داخل خلايا جسدك حول نواتها، وكما تطوف الإلكترونات حول نواتها، وكما تطوف الأرض حول الشمس كل في منظومة واحدة مسجلة؛ فتدخل في منظومة الطوافين في ملكوت السماوات والأرض، ويمكن أن نُقَبِّلَ هذا الحجر مرة أو لا نُقَبِّله، وكما تقبِّل هذا الحجر في الحج فأنت ترجم حجرًا آخر في منى رمزًا للشيطان؛ حجرٌ يُقَبَّل وحجرٌ يُرْجم فأين الوثنية من ذلك؟!

لقد أمرنا الله أن نستعيذ من الشيطان الرجيم، هل أنت رجمت الشيطان في

حياتك؟ لا ترجمه إلا في الحج في مكان معلوم، وحجر معلوم، بمجموعة من الحجارة تصل في عددها سبعين حجرًا، ولمدة ثلاثة أيام.

كما أنَّ تَقْبِيلَ الحجر ليس فرضًا، ولكنه سُنَّة وأمَّا رجم الشيطان بهذه الحجارة فهي فرض من الله.

وللعلم هذا الحجر موضوع في هذا المكان من الكعبة منذ سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو مقدَّس منذ هذا التاريخ إلى يوم الدين.

ثم ننظر: من يقول هذا؟! إخواننا المسيحيون من المستشرقين، ومَنْ شايعهم مِنَ المتأسلمين، وسواء تناسوا وتعاموا عمَّا يفعله المسيحيون في كنائسهم أمام تماثيل سيدتنا العذراء البتول مريم، وأمام تماثيل سيدنا المسيح عليه السلام.

ألم يركعوا أمام هذه التماثيل؟! هل قلنا لهم: إنكم وثنيون تركعون أمام الأصنام مثلًا؟

وعند مشاهدتي لاحتفالات عيد القيامة المجيد وجدتُ البابوات سواء في الكنيسة الشرقية، أو الغربية يقبلون دميةً (عروسة) ممثلة لسيدنا المسيح وهو صغير فلماذا لا نقول لهم: إن هذه وثنيةٌ، أم تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم، أم أن التجريح في شخص الرسول والإسلام هو الهدف؟

رابعًا

يقولون: لو أُنزل على محمد الملك ميكائيل لكنَّا اتبعناه ولكن لا نتبعه لأن الملك صاحبه هو جبريل

قالت اليهود: إن محمدًا نزل عليه جبريل ملك الوحي لو أُنزل عليه ميكائيل لاتبعناه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨].

ذكر ابن جرير في تفسيره أن مناظرةً جرت بين اليهود وبين عمر بن الخطاب في أمر النبي ﷺ.

قال عمر: كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم، فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن؟! ومن القرآن كيف يصدق التوراة؟! فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا بن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك.

قلت: ولِمَ ذلك؟

قالوا: لأنك تغشانا وتأتينا.

قلت: إني آتيكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة؟! ومن التوراة كيف تصدق القرآن؟! ومر رسول الله ﷺ.

قالوا: يا بن الخطاب ذاك صاحبكم فالحق به.

قال: فقلت لهم عند ذلك: ناشدتكم بالله الذي لا إله إلا هو، وما استرعاكم من حقه، وما استودعكم من كتابه، هل تعلمون أنه رسول الله؟

قال: فسكتوا، فقال: هلم عالمهم وكبيرهم، إنه قد أغلظ عليكم فأجيبوه.

قالوا: فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت، قال: أما إذا ناشدتنا فإنا نعلم أنه رسول الله، فقلت: ويحكم إذًا هلكتم.

قالوا: إنا لم نهلك، قلت: كيف ذلك وأنتم تعلمون أنه رسول الله ولا تتبعونه ولا تصدقونه؟!!

قالوا: إنَّ لنا عدوًّا من الملائكة وسلمًا من الملائكة وإنه قرن نبوَّته عدونا من الملائكة؟

قلت: من عدوكم؟ ومن سلمكم؟

قالوا: عدوُّنا جبريل، وسلمُنا ميكائيل.

قالوا: إن جبريل ملك الفظاظة، أو الغلظة والإعسار والعذاب، ونحو ذلك، وإن ميكائيل ملك الرقة والرأفة والتخفيف، ونحو ذلك.

قال: قلت: وما منزلتهما عند ربهما -عزَّ وجلَّ؟

قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره.

قال: فقلت فوالذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو من عادهما، وسلم لمن سالمهما، وما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل، وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبريل.

قال: قمت فاتبعت النبي ﷺ وهو خارج من جوقة لبني فلان، فقال: «يا بن الخطاب ألا أقرئُك آياتٍ نزلَتْ قبلُ: فقرأ عليه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة آية: ٩٧]».

قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد جئتُ أنا أريد أن أخبرك وأنا أسمع، ولكنِ اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر "ابن جرير في تفسيره بسنده إلى النبي.

وفي رواية أخرى: عندما سأل اليهود سيدنا عمر عن صاحب صاحبكم؟ فقال لهم: جبرائيل؛ فقالوا: ذاك عدونا من أهل السماء، يُطْلِعُ محمدًا على سرِّنا، وإذا جاء جاء بالحرب والسَّنَة (الجدب والقحط)، ولكنْ صاحب صاحبنا ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والسلم.

فقال لهم عمر: هل تعرفون جبرائيل وتنكرون محمدًا ﷺ.

ففارقهم عمر عند ذلك، وتوجه نحو النبي ﷺ؛ ليحدثه بحديثهم فوجده قد أنزلت عليه هذه الآيات: "من كان عدوًّا ....".

وقد قالت اليهود أيضًا للمسلمين: لو أن ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم لاتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والغيث، وإنَّ جبريل ينزل بالعذاب والنقمة فإنه عدو لنا.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما: قول الله -سبحانه وتعالى- جبرائيل كقوله: عبد الله، وعبد الرحمن، وقيل: جبر يعني عبد، وإيل هو الله.

وجبرائيل وميكائيل هم عباد الله ورسله، وأعلمنا الله أنه من عادى واحدًا منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضًا، ومن وظائف الملائكة المقربين عند الله: جبرائيل هو الذي أُنزل بأوامر الله إلى الأنبياء والرسل وميكائيل يوكل بالنبات والقطر.

إسرافيل: موكل بالنفخ في الصور للبعث يوم القيامة.
عزرائيل: موكل بالموت.

وكان الرسول ﷺ إذا قام بالليل يقول: اللهمَّ يا ربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ فاطرَ السماواتِ والأرضِ عالِمَ الغيبِ والشهادةِ أنت تحكمُ بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ.

فهم رسلٌ ملائكةٌ، ومن عادى رسولًا فقد عادى جميعَ الرسل، ومن آمن برسول فإنه يلزمه أن يؤمن بجميع الرسل، فالرسل لا تنْزِل من تلقاء نفسها، وإنما تنْزِل بأمر من ربها، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

الباب الثالث

يقولون عن الإسلام

أولاً : انتشر الإسلام بالسيف.

ثانيًا : الإسلام لم يمنع الرقَّ وأن المسلمين هم نخاسو إفريقيا.

ثالثًا : المسلمون يعبدون الشمس.

رابعًا : لماذا لا يأكل المسلمون الخنزير؟

خامسًا : الإسلام ظلم المرأة.

١- الزواج والطلاق.

٢- وضع المرأة الاقتصادي.

٣- الإرث.

٤- شهادة المرأة.

٥- عدم ولاية المرأة.

أولاً

يقولون: انتشر الإسلام بالسيف

قبل الخوض في دحض مقولة: إن الإسلام انتشر في العالم بحد السيف تعالوا معًا نتدارس ما هو السيف في العهد القديم وهو سيف اليهودية، وما هو السيف في المسيحية، وهو أيضًا السيف في العهد القديم وما هو سيف الوثنية؟ وبعد ذلك نتكلم عن السيف في الإسلام حتى تكون مقارنة واضحة.

أ- السيف في العهد القديم

عند دراسة العهد القديم وتجميع ما كتبوه في كتبهم وفي إصحاحاتهم تذكرت قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] وتذكرت قول سيدنا المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام- حين قال في إنجيل كما كتبه متى **الإصحاح** (٧):

- لماذا تلاحظ القشة التي في عين أخيك، ولكنك لا تنتبه إلى الخشبة الكبيرة في عينيك؟

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد السيف في العهد القديم سيف دمار وحرق وقتل، (قتل أطفال رُضَّع، ونساء، وشيوخ، وبقر بطون الحوامل، وقتل الأطفال أمام ذويهم)، حرق المزروعات، وقتل الدواب والأنعام، وردم الآبار، كما يحدث تمامًا في فلسطين.

وفي كتاب التثنية الإصحاح (٢) القضاء على سيحون:

- واستولينا على جميع مدنه، وقضينا في كل مدينة على الرجال والنساء والأطفال فلم ينجُ حيٌّ منهم، ولكن البهائم والأسلاب التي نهبناها من المدن أخذناها

غنائم لأنفسنا.

الإصحاح (٣) القضاء على عوج ملك باشان:

- فهزمناه حتى لم ينجُ منهم حيٌّ..... وقضينا على الرجال والنساء والأطفال.

وأما في كتاب يشوع الإصحاح (٦):

- فاندفع الشعب نحو المدينة كل على جهته، واستولوا عليها، ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال، ونساء، وأطفال، وشيوخ، وحتى البقر والغنم والحمير.

وفي كتاب يشوع الإصحاح (١٠-١١):

- واستولى يشوع في ذلك اليوم على مقيدة، وقتل بالسيف ملكها، وكل نفس فيها، ولم يفلت منها ناج، وصنع بملك مقيدة ما صنعه بملك أريحا، ثم لينة دمرها، وقتل كل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت منها ناج....

معركة مياه ميروم ... وقضوا على كل نسمة بحد السيف فلم يبق فيها حيٌّ، وأحرقوها بالنار... ونهب الإسرائيليون لأنفسهم كل غنائم تلك المدن، أما الرجال فقتلوهم بحد السيف فلم يبق فيها حي ... ثم قضى يشوع على العناقيين.

وفي كتاب القضاة (٩) أبيمالك يقضي على الثورة:

هجم بجيوشه على المدينة وهاجمت الفرقتان الأخريان كل من كانوا في الحقل، وأبادتهم وظلت رحى الحرب دائرة طوال ذلك اليوم، حتى استولى أبيمالك على المدينة، وقضى على أهلها، وهدمها وزرعها ملحًا ...

وقد تحصن أهل برج شكيم في برج معبد إيل بريث وقد قام أبيمالك وجيشه بحرق القلعة بمن فيها؛ فمات جميع أهل برج شكيم، وكانوا نحو ألف رجل وامرأة.

كتاب صموئيل الأول الإصحاح (١٥) الرب من العماليق:

- اذهب الآن، وهاجم العماليق، واقضِ على كل مالهم، لا تقف عند أحد منهم، بل اقتلهم جميعًا رجالًا ونساء وأطفالًا ورضعًا، بقرًا وغنمًا، وجمالًا وحميرًا.

وفي الإصحاح (٢٧):

- ولم يكن داود يستبقي رجلًا، أو امرأة على قيد الحياة.

وفي كتاب صموئيل الثاني الإصحاح (٨):

- وقهر أيضًا الموابيين، وجعلهم يرقدون على الأرض في صفوف متراصة، وساقهم بالحبل فكان يقتل صفين، ويستبقي صفًا فأصبح الموابيون عبيدًا لداود يدفعون لهم الجزية.

كتاب الملوك الثاني الإصحاح (٣):

- تدمرون كل مدينة محصنة وكل مدينة رئيسية، وتقطعون كل شجرة مثمرة، وتردمون كل عيون الماء، وتخربون كل حقل خصب بالحجارة.

كتاب الملوك الثاني الإصحاح (١٥):

- هاجم مخيم تفصح وضواحيها، وهدم ما فيها حتى حدود ترضه؛ لأن أهلها أبوا أن يفتحوا بواباتها له، وشق بطون جميع حواملها.

كتاب أستير الإصحاح (٩):

- وقهر اليهود جميع أعدائهم فقتلوهم بالسيف، وأهلكوهم، وفعلوا بهم ما شاءوا، فأبادوا في العاصمة شوش خمسمائة رجل، ثم قتلوا ثلاثمائة رجل.... واستراحوا من أعدائهم بعد أن قتلوا خمسة وسبعين ألفًا منهم وهو يوم تأسيس يوم عيد الفوريم.

كتاب أشعيا الإصحاح (١٣):

- كل من يؤسر يُطعن، أو من يُقبض عليه يُصرع بالسيف، ويمزق أطفالهم على مرأى منهم، وتذهب بيوتهم، وتُغتصب نساؤهم.

كتاب أرميا الإصحاح (٥):

- أمزق الأمم إربًا، وأحطم ممالكًا، بل الفَرَس وفارسها أشلاء، وأهشم المركبة وراكبها، بل أحطم الرجل، والمرأة، والشيخ، والفتى، والشاب، والعذراء، بل أسحق الراعي وقطيعه، والحكام والولاة.

هذا هو سيف اليهودية، سيف العهد القديم سيف احتلال وقهر، سيف موت ودمار، سيف قتل الأطفال والنساء والشيوخ، سيف قتل كل شيء فيه حياة.

ب- السيف في المسيحية

يمثل العهد القديم والعهد الجديد أساس العقيدة والتعامل في الدين المسيحي؛ وبذلك يكون السيف في العهد القديم هو نفس السيف عند المسيحية، وهذا هو سيف المسيحية.

عمل سيف المسيحية قديمًا كما عمل سيف اليهودية كما في العهد القديم فها هم مسيحيو روما الكاثوليك أعملوا السيف في إخوانهم مسيحيي الشرق الأرثوذكس قتلًا، ودمارًا، واحتلالًا، وعلى الرغم من جبروت السلطة والقهر في روما إلا أن سيفهم لم يستطع أن ينشر المسيحية، أو حتى يغيِّر عقيدة مسيحي الشرق، وهزموا من الفرس دولة عبدة النار؛ لأنهم لم يراعوا الله في إخوانهم، ولقد كان المسيحيون في مصر أكبر عونٍ لعمرو بن العاص في فتح مصر فلا يمكن لثلاثة آلاف مسلم مقاتل أن ينتصروا على ١٢٠ ألف مقاتلٍ روماني مسيحي.

وباسم المسيح والصليب -والمسيح منهم براء- جاء مسيحيو الغرب لاحتلال الشرق بحجة حماية بيت المقدس من البرابرة المسلمين، وباستخدام ما تعلموه من العهد القديم من أسلوب الإبادة كما جاء في كتب أستير وأشعيا وأرميا و... و... من قتل الرجال، والنساء، والأطفال، والشيوخ، وقلع الأشجار، وقتل الدواب والأنعام، وردم الآبار ... دمار ... دمار ... واستمرت الحروب ثلاثمائة سنة.

حيث شنت الكنيسة الغربية ضد الإسلام والمسلمين والشرق الإسلامي حربًا صليبيةً استمرتْ قرنين (١٠٩٦– ١٢٩١م) واشترك فيها الملوك، وأمراء الإقطاع، والرعاع من سائر أنحاء أوربا، ويمكن اعتبارها أول حرب عالمية.

وقد استخدم الصليب والدين لسلب الشرق من خيراته، وحتى ينقذ الشرق المسيحي من الإسلام، وهو الذي أنقذ الشرق المسيحي من الإبادة، ومن الاستعمار الروماني الذي دام أكثر من عشرة قرون، إنها حربٌ قادها البابا أوربان الثاني (١٠٨٨/ ١٠٩٩) حيث قال خطبة في كلير مونت بفرنسا:

يا من كنتم لصوصًا، كونوا اليوم جنودًا... لقد آن الزمانُ الذي فيه تحوِّلون ضدَّ الإسلام تلك الأسلحة التي أنتم إلى الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض، فالحرب المقدسة المعتمدة الآن... هي في حق الله عينه، وليست هي لاكتساب مدينة واحدة، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها، وخزائنها العديمة الإحصاء، فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلِّصوا الأراضي من أيادي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم؛ فهذه الأرض حسب ألفاظ التوراة تفيضُ لبنًا وعسلًا، ومدينة أورشليم هي قطب الأرض المذكورة، والأمكنة المحصية المشابهة فردوسًا سماويًا ... اذهبوا وحاربوا البربر المسلمين؛ لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم ...، امضوا متسلحين بسيف مفاتيحي البطرسية ... واكتسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسمًا وميراثًا، وهذا هو الحين الذي فيه أنتم تكفرون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدوانًا ... وحيث إنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلمًا فاغسلوها بدم غير المؤمنين ...

أليس سيف العهد القديم دمارًا، وقتلًا، وسلبًا، ونهبًا، واغتصابًا باسم من؟ المسيح ومباركة البابا؟ حيث أعطى لهم مفاتيحَ الجنةِ، وأرضَ اللبنِ والعسلِ، والفردوس سيف احتلال، وأصبح سيف الدين المسيحي في يد فرقة من اللصوص والاستعماريين، وحملت الأيدي المخضبة بدماء الأبرياء المظلومين والمغتصَبات،

مفاتيح الفردوس الإلهي.

وماذا فعل السيف الصليبي عند احتلال مدينة القدس ١٠٩٩م؟ أباد بالكامل سكانها مسلمين ويهودًا بالقتل، والذبح، والإحراق، وشهد شاهد من أهلها في كتاب (تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب) مكسيموس مونروند:

(إن ديوان المشورة العسكرية قطع حكمًا هو: أن يباد كل مسلم باقٍ داخل المدينة المقدسة ... ودام ذلك سبعة أيام كاملة)، وحتى الذين هربوا واحتموا بالمساجد كمسجد عمر بن الخطاب -مسجد قبة الصخرة- ذبحهم الصليبيون من خيالة ومشاة، وأبادوا بحد سيف كلَّ الموجودين هناك ... حتى كان الدم بحرًا حتى وصل إلى حد الرُّكَبِ، بل إلى لجم الخيل؛ وذلك مما فتكت به الجيوش الصليبية أرقاب الإسلام، أي: رقاب المسلمين.

وبعد أن كلَّت أيدي الصليبيين من سفك الدماء -كما يقول مؤلف هذا الكتاب -وهو رجل دين نصراني- ذهبوا إلى كنيسة القيامة وهم سكارى يرددون الصلوات وأيديهم غارقة في دماء المسلمين الذين ذبحوهم في مسجد عمر بن الخطاب، وبقيادة شهود العيان النصارى، ولما حلَّ المساءُ اندفع الصليبيون يبكون من فرط الضحك!! بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفَّهم الغارقة في الدماء على جدرانها، وردَّدوا الصلوات، ثم كتبوا إلى البابا أوربان الثاني الذي صنع لهم مفاتيح الجنة لقاء هذا الذي صنعوا بالإسلام والمسلمين فقالوا:

يا ليتك كنت معنا لتشهد خيولنا وهي تسبح في دماء الكفار "أي: المسلمين" هذه شهادة قديمة.

وفي شهادة معاصرة يقول الدكتور جاك تاجي: نجد الوسائل التي أعدها الصليبيون، وتعدد هجماتهم تدل بلا شك على أن الحروب الصليبية كانت محاولة لمحو نفوذ الإسلام في الشرق؛ فقد شُنَّتْ هذه الحرب أول ما شُنَّتْ لانتزاع حماية

القبر المقدس من الخلفاء، ولكنها ما لبثت أن تحوَّلت إلى قتال عام بين جيوش الإسلام وجيوش المسيحية، أي: بين الشرق المسلم، والغرب المسيحي.

وعمل السيف المسيحي في نشر المسيحية بحد السيف، وإبادة كلِّ من لم يتدين بدين الملك أو الأمير الذي اعتنق النصرانية:

١- الملك شارلمان ٧٤٢- ٨١٤ فرض المسيحية على المسكونين بحدِّ السيف.

٢- استأصل الملك كنوت في الدنمارك (٩٩٥- ١٠٣٥) الديانات غير المسيحية من بلاده بالقوة، والإرهاب.

٣- فرض الأمير فلاديمير روسيا (٩٨٠- ١٠١٥)المسيحية الأرثوذكسية على كلِّ الروس غداة اعتناقِهِ لها سنة ٩٨٨.

٤- ذبح دانيال بيتروفتش في الجبل الأسود غير المسيحيين بما فيهم المسلمين ليلة عيد الميلاد ١٣٤٠.

٥- أرغم الملك شارل روبرت في المجر (١٣١٦-١٣٧٨) غير المسيحيين على التنصر، أو النفي من البلاد ١٣٤٠.

أما الحروب باسم الصليب أيضًا كانت بين طوائف المسيحية المختلفة؛ حيث أصبح لكل طائفة قانونٌ للإيمان خاص بها، وتحتكر الخلاص لأبناء هذا المذهب دون الآخر، وحدثت حرب إبادة لإكراه، أو لتغيير العقائد داخل المسيحية امتدت أكثر من قرنين بين الكاثوليك، والبروتستانت وكانت أشهرها إحدى عشرة حربًا كانت ضحيتها ٤٠٪ من عدد سكان وسط أوربا حسب إحصاء فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) عشرة ملايين إنسان، وهذا غير الحرب التي نشبت بين الكنيسة اللاتينية الغربية وكنيسة أيا صوفيا اليونانية بالقسطنطينية، والتي تمَّ فيها التدمير، والاحتلال، والسلب والنهب بالمملكة القسطنطينية بالكامل.

أما محاكم التفتيش في عهد البابا اكدسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦) التي أُنشئت بدعوى خلاص المخالفين إنما يتحقق بتخليصهم من الحياة، بعد صبِّ صنوف العذاب عليهم، واستمرت هذه الحرب البشعة في القرن الثالث عشر وحتى

القرن السابع عشر الميلادي وغطت جميع الممالك والإمارات المسيحية الغربية، وذهب ضحيتها الملايين من البشر الذين حكمت عليهم الكنائس بالخلاص الذي يخلصهم من الحياة، وذلك بالغرق، أو الحرق، أو الإعدام على الخازوق... هذا هو سيف المسيحية ...! والمسيح منهم براء.

وعن نكسة الأندلس ماذا فعل سيف المسيحية في مسلمي الأندلس؟!

القتل، والحرق، والنفي، والدَّمار، والاغتصاب، ومحاكم التفتيش، وقد شمل التاريخ كلَّ هذه الفظائع التي ارتكبت باسم الصليب -والمسيح منهم براء.

وماذا فعل السيف المسيحي عند فتح كولومبس الأمريكيتين هل نشر المسيحية بالكلمة الطيبة، والعمل الصالح كما أمرهم سيدنا المسيح، أم طبقوا ما قرءوه في العهد القديم؟! فقد أباد السفاح كولومبس السكَّان الأصليين، وفعل مثله الأنجلو ساكسون الغزاة في الشمال الأمريكي (دمار – قتل- سلب – حرق).

ماذا فعل السيف المسيحي الإنجليزي، والفرنسي، والألماني، والإسباني، والبرتغالي في العالم؟!هل نشروا المسيحية بالعدل والرحمة بالحب، أم بالبارود، والسيف، والمدفع؟!

قهروا العالم واستعبدوا البشرية سكَّان إفريقيا، وآسيا، والأمريكتين، واسترقُّوا ملايين البشر، وغيَّروا دينهم بالإكراه والإجبار، واستذلوا شعوب العالم من الصين إلى كندا، حتى الشعوب التي ذاقت مرارة القهر والاستعمار عندما استقلَّت عن إنجلترا مثل: أمريكا ماذا فعلت باسم المسيح والصليب -والمسيح منهم براء؟

راحت الولايات المتحدة الأمريكية (١٨٩٨) في عهد الإمبراطور ماكنلي بناءً على وحي جاءه؛ حيث قال أمام وفدٍ من قساوسة جمعية الكنائس التبشيرية: لم أنم طيلة الليل؛ بسبب التفكير فيما عسى أن نفعله في تلك الجزر البعيدة (الفلبِّين) حيث أضاء قلبي وعرفت الحقيقة... الحل هو ضم هذه الجزر على أملاكنا بحيث نستطيع تعليم سكانها، وتمدينهم، ورفع مستواهم، وترقية عقائدهم المسيحية؛ ليكونوا حيث

تريد لهم مشيئة الرب إخوة لنا قادتهم تضحية المسيح كما قادتنا.

ماذا فعل السيف الأمريكي في الفلبِّين حتى يصبحوا مسيحيين صالحين متعلِّمين؟

وفي مناقشة الكونجرس الأمريكي في عهد ماكنلي(١٨٩٨) بدأ الزحف لتكوين الإمبراطورية الأمريكية، وباسم الدين المسيحي أيضًا: إنَّ واجبنا المقدَّس أمام الله يدعونا لقيادتها على النموذج الأمريكي في الحياة هذه مسئوليتنا لإنقاذ الحرية، والحضارة، ولذلك فإن العلم الأمريكي يجب أن يكون رمزًا لكل الجنس البشري.

وراحت الولايات المتحدة إلى الفلبِّين بالعدالة، والحبِّ، والرحمة، وبالنموذج الأمريكي في الحرية، وتحت العلم الأمريكي نقل ستانلي كارنوف في فقرة من تقرير كتبه أحدُ أعضاء الكونجرس بعد زيارة قام بها إلى الفلبِّين ما نصه:

اكتسحت القوات الأمريكية كلَّ أرضٍ ظهرت عليها حركة مقاومة، ولم تترك هناك فلبينيًّا واحدًا إلا قَتَلَتْه... وهكذا لم يعد في هذا البلد رافضون للوجود الأمريكي؛ لأنه لم يتبقَّ منهم أحد، وأن الجنود الأمريكيين قتلوا كلَّ رجلٍ وامرأةٍ، وكلَّ طفلٍ، وكلَّ سجينٍ أو أسيرٍ، وكلَّ مشتبهٍ فيه ابتداءً من سنِّ العاشرة – واعتقادهم أن الفلبِّيني ليس أفضل كثيرًا من كلبه– خصوصًا وأن الأوامر الصادرة إليهم من الجنرال فرانكلين قالت لهم: لا أريد أسرى، ولا أريد سجلات مكتوبة.

هل نُشِر العدل في الفلبِّين؟ هل أصبحوا مسيحيين حقًّا، أو مسيحيين في عداد الموتى، ثقافة القتل كما هي في كتب العهد القديم بالضبط.

نفس الكلام، ونفس أسلوب الإمبراطور ماكنلي يحدث الآن في الشرق الأوسط بواسطة الإمبراطور بوش الابن (ماكنلي الجديد) حيث قال أيضًا: إن الله أرسله؛ لكي ينجِّي العالم من الشر خصوصًا الشر في الشرق الأوسط، وباسم

المسيح، وخلاصه، وتطبيق الديموقراطية تحت العلم الأمريكي دمَّروا كلَّ شيء في كلٍّ من أفغانستان، والعراق وها هم جنود الإمبراطور بوش يقتلون الرجالَ، والنساءَ، والأطفالَ، والشيوخَ بسيف المسيحية حيث قال بالحرف الواحد: إنها حرب صليبية -والمسيح منها براء.

وأباح الزميل الليكودي الأستاذ في علم الدَّمار بتطبيق ما جاء في العهد القديم بحذافيره في الضفة الغربية، وقطاع غزة المحتلَّين، وبمنطق القوَّة، وتحت العلم الأمريكي أصبح الفردُ الذي يدافع عن أرضه وماله، وعرضه إرهابيًّا، والمحتل القاتل المدمِّر هو رجل سلام وديموقراطية، نفس منطق السيف المسيحي مع أصحاب الأرض في الأمريكتين، ونسوا أو تناسوا أن منطقة الشَّرق الأوسط ذاتُ حضارةٍ عريقةٍ تسبق أذمانهم، وكتبهم، وثقافاتهم، وتعرضوا لمثل هذه المحن، وتغلبوا عليها، والتاريخ شاهد على ذلك.

ماذا فعل سيف المسيحية مع هتلر، وموسوليني في الحرب العالمية الثانية؟

وماذا فعلت أمريكا في اليابان بالقنبلة الذرية؟ وماذا فعلوا في كوريا وفيتنام؟ وماذا فعلوا في الأمريكتين؟

لا توجد دولة من دول العالم الذي يقال عنه: العالم الثالث إلا وأذاقتها أوربا وأمريكا من ديموقراطيتها، وعلمها وسيفها، هل بعد ذلك كلِّه يمكن أن نقول: إن الدين اليهودي، أو الدين المسيحي دين إرهاب، وعنف، وقتل، ودمار؟

طبعًا لا؛ لأن الدين واحدٌ يهودي، أو مسيحي، أو إسلامي وهذه كلها شرائع سماوية تحرم ذلك كلَّه.

ج- سيف الملحدين

ماذا فعل سيف هولاكو وجنكيز خان وما شابههم من الوثنيين وماذا فعل سيف الملحدين وهو يهودي المنشأ: كارل ماركس، ولينين؟ وباستخدام ثقافة

السيف في العهد القديم ماذا فعل سيف الاشتراكية الملحدة في المسيحيين وغيرهم في بلدان العالم سواء في أوربا، أو آسيا، أو غيرها؟ كم قتلوا!! كم شردوا!! كم سجنوا!! كم عذَّبوا!! وكله باسم الاشتراكية!!

د- السيف في الإسلام

وأخيرًا وقبل أن نخوض في هذه المقولة تعال ندرس ما تقوله تعاليم الدين الإسلامي في الحرب، واستعمال السيف، ومتى تُستعمل القوة؟ وأين؟ ولماذا؟ وما شروط استعمالها؟ وما حدودها وآدابها؟

فنجد في تعاليم الدين الإسلامي الآتي:

أولًا: منذ بدء الدعوة الإسلامية منذ ظهور الدين الإسلامي في الجزيرة العربية، ولمدة ثلاث عشرة سنة من الدعوة لم يُؤذن للمسلمين أن يحاربوا الكافرين حتى للدفاع عن النفس عذبوا، وشردوا، وقتلوا بسيف الوثنية، وبتشجيع من سيف اليهودية في يثرب صودرت ممتلكاتهم، وأموالهم، وحوصروا في شعاب مكَّة، ومُنِع عنهم الغذاءُ والماءُ، والتعاملات لمدة ثلاث سنوات متتالية، وأُمروا بالهجرة، وكان ملاذهم -بأمر من الرسول محمد ﷺ- النجاشي ملك الحبشة النصراني.

ثانيًا: أول سرية تكونت في الإسلام كانت للاستطلاع وليس للقتال؛ لمعرفة حركة القوافل من مكة إلى الشام، ولم يبدأ المسلمون القتال؛ ولكن المشركين هم الذين بدءوا بالقتال، وكانت معركة بدرٍ -وهي منطقة تبعد عن مكة بأربعمائة كيلو متر، بينما تبعد عن المدينة بمائة كيلو متر فقط، وكان جيش المشركين ثلاثةَ أضعاف المسلمين في العدد، والعدة، وكان النصر للمسلمين وهي أول معركة بين الكافرين وبين المسلمين.

ثالثًا: جميع الغزوات التي قام بها المسلمون كانت للدفاع عن النفس، أو لمحاسبة من أخلُّوا بالمواثيق، والعهود المكتوبة بينهم وبين المسلمين كالعهود بين اليهود في

المدينة مع رسول الله، وكذلك بيَّن الرسول والقبائل المتاخمة ليثرب، وليست الغزوات لسلب أرضٍ، أو أخذ غنائم، أو قتلٍ، أو فسادٍ في الأرض، ولكنْ دفاع عنِ النَّفس وعنِ العقيدة، وما فُتحتْ مكَّةُ إلا بعد ما أخلَّ المشركون باتفاقياتهم مع رسولِ الله بعدم التعدي وقتلهم حُلفاء المسلمين من قبيلة بني بكر، وما غزوة حنين إلا بعد ما غدر اليهود بالمسلمين في المدينة، ونقضوا العهود، والمواثيق المكتوبة بينهم وبين رسول الله ﷺ.

عدد القتلى في جميع القراءات لا تتجاوز السبعمائة رجل، رجال فقط لا نساء ولا أطفال ولا شيوخ ...

رابعًا: الأمر بالقتال للمسلمين

١- القتال كُرْهٌ للمسلمين: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٢- قاتلوا من قاتلوكم، ولا تعتدوا، والله لا يحب المعتدين: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

٣- قاتلوا المعتدين والذين أخرجوكم من دياركم: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩١].

٤- قاتلوا الذين يشعلون الفتن بين الناس وبين الشعوب، فإن أقلعوا عنها فلا تعتدوا عليهم: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

٥- قاتلوا من نكث في عهده مثل ما فعله اليهود في غزوة الأحزاب؛ حيث انضم

اليهود للمشركين: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ۝ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ قَٰتِلُوهُمۡ ۝ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة ١٢-١٤]

حصار الرسول والمسلمين في المدينة على الرغم من أن العهد الذي بين الرسول وبين اليهود يمنع ذلك.

هل السيف هنا سيف قتل واعتداء، أم السيف سيف عدلٍ وحمايةٍ لأرواح وممتلكات الناس؟ والأمر في الآية للمسلمين: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ وإن أقلعوا عن الفتنة فلا عدوان عليهم، والقتال لمن يخلف الميعاد والمواثيق؛ فالسيف هنا سيف عدلٍ، وليس سيف قتل ودمار.

خامسًا: حكم قتل النفس البشرية:

مبدأ القتل في الإسلام من قتل نفسًا فكأنما قتل الناس جميعًا، ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ۝ ﴾ [الإسراء: ٣٣].

سادسًا: آداب القتال في الإسلام:

﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٦].

القتال حتى يسمع كلام الله فقط فإن سألك عن الدين فأسمعه كلام الله فقط، ثم أبلغه مأمنه والعناية به من أكل وشرب، حتى يصل إلى بلده، ولا عدوان، فالسيف سيف دعوة فقط؛ حتى يسمع الناس كلام الله، وهنا تحضرنا قصة الصحابي الجليل في أحد الغزوات، وأثناء القتال شهد أحدُ المشركين بأن لا إله إلا الله وهو

يقاتل فقتله الصحابي، وتدولت هذه القصة حتى وصلت الرسول ﷺ وعندما سأله: « لماذا قتلتَه بعدما قالَ الشهادةَ»؟ فقال: إنها الحرب يا رسول الله، وقد قالها تحت وطأة السيف فقال الرسول ﷺ: «أشققتَ عن قلبِه؟» فقال: يا رسول الله كان يحاربني، فقال: « أشققتَ عن قلبِه؟! أشققتَ عن قلبِه؟!».

وليس كما في كتاب أشعيا **الإصحاح** (١٣): (كل من يؤسر يطعن أو من يقبض عليه الصرع بالسيف وتمزق أطفالهم .. وتغتصب نسائهم).

فالهدف من الحرب هو إبلاغ الدعوة فقط حتى يسمع كلام الله فقط: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

ولا يمنع الإسلام أن نبرَّ الذين لم يحاربوا الإسلام، وأن نقسط إليهم، وأن نواليهم، ونعيش معهم في سلام؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- لا يريد البغض بين الناس؛ لأن القتال بين الذين يقولون لا إله إلا الله وبين غيرهم، يؤدي إلى هدم صوامع وبيع وصلوات ومساجد كلها يُذكر فيها اسم الله.

ولكن أُمرنا أن نقاتل من يقاتلنا؛ من أجل نشر الدعوة الإسلامية، والذين يعملون على إخراج المسلمين من ديارهم بالمال، والإرهاب، وبالحرب، وكذلك المتعاونين من المسلمين المنافقين مع المشركين، وهذا حق من حقوق الشعوب كافة وهو الكفاح المسلَّح ضد المعتدين؛ فمنهج الإسلام هو لا إكراه في الدين: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ

فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولعل فتح مصر شاهد على ذلك فكان سيفُ الإسلام حمايةً لمعتقدات مسيحي مصر ضد بطش وإرهاب سيف المسيحية الروماني؛ فلم يفرضْ المسلمون الأوائل على أحد من المصريين الإسلامَ؛ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء حافظ على دينه المسيحي هو حرٌّ في ذلك، ليس هذا فحسب فقد ذهب عمرو بن العاص إلى الإسكندرية؛ ليكون في استقبال البابا بنيامين، وليعيده على كرسي البابوية بعد أن اضطهده إخوته في العقيدة وطردوه، فهل كان فتح الخمسة آلاف مسلم الذين فتحوا مصر أمام ١٢٠ ألف روماني فتحًا بالسيف؟!، ولولا معاونة الإخوة المسيحيين في مصر لما كان النصر للمسلمين ودخولهم في دين الله أفواجًا.

ومن تعاليم الإسلام ورسوله عند الخروج للجهاد

١ – أن يحافظ المسلمُ على كلِّ نفسٍ بشريةٍ بصرف النظر عن كونها مسلمة، أو غير مسلمة، وأن يقاتل فقط من يمسك السلاح لقتاله؛ لأن جميع البشر سواء أمام الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى

ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٢-٣٣].

وتسمَّى الآية السابقة (٣٣) آية الحِرابة وهي ليست خاصة بالمشركين والكافرين الذين يقاتلون المسلمين، ولكن أيضًا لأي شخص يروِّع الناس الساعين في الأرض فسادًا؛ كقطاع الطرق، والسارقين بالإكراه، والذين يروعون الناس الآمنين في طرقاتهم، أو في منازلهم.

٢- أخلاق سيف الإسلام: ومن تعليمات الرسول لقواد الجيوش:

أ- لا تقتلوا شيخًا، ولا امرأة، ولا صبيًّا، ولا عابدًا في محرابه، ولا راهبًا في صومعته، ولا شابًّا ما دام لا يحمل سلاحًا.

ب- لا تقطعوا شجرًا.

ج- لا تقفروا بئرًا.

د- ولا تجهزوا على جريح.

هـ- ولا تمثلوا بقتيل.

و- ولا تغيروا ليلًا؛ كي لا تفزعوا النساء والأطفال.

مبادئ كلها رحمة من رسول مرسل رحمة للعالمين، أدب استعمال السيف لنشر دين الله لا اغتصاب أرض، ولا قتل، ولا دمار، فقط حتى يسمع كلام الله، هذا هو سيف الإسلام.

وليس كما في العهد القديم كتاب الملوك الثاني **الإصحاح (٣)**: وتقطعون كل شجرة مثمرة وتردمون كل عيون الماء وتخربون كل حقل خصب بالحجارة. وكتاب صموئيل الأول **الإصحاح (١٥)**: اقتلهم جميعًا رجالًا ونساءً، وأطفالًا ورضعًا، بقرًا وغنمًا، وجمالًا وحميرًا؟؟

٣- السلام في الإسلام هو القاعدة، والحرب ضرورة، فالمسلم لا يخرج حاملًا سيفه إلا للضرورة؛ للحفاظ على أرضه وحياته، أو لكي يسمع الآخرين كلام الله فقط ليس لأجل دنيا يصيبها، ومغنم، أو احتلال أرض، واستذلال شعب: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وهذا هو منهج الإسلام، وقد سار الخلفاء الراشدون، والحكّام المسلمون بعد ذلك على هذا الطريق فهذا هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، وثاني خليفة للمسلمين بعد الرسول ﷺ عندما فتح بيت المقدس وهو في أوج نصره، وهزيمة المسيحيين؛ دخل القدس وهو يسوق راحلته وخادمه هو الراكب، يرفض أن يصلّي في كنيسة القيامة عندما حان وقت الصلاة؛ حتى لا يتخذها المسلمون من بعده مسجدًا، ولم تهدم كنيسة قطُّ في أي من بلاد المسلمين؛ حيث إن الهدف في الإسلام أن يسمع كلام الله وأوامره فقط، أما بعد ذلك فالخيار لك تؤمن أو لا تؤمن فتلك حريتك الشخصية لا إكراه في الدين.

فالفتوحات الإسلامية الأولى كانت حروبًا إيمانية، وليست حروبًا توسعية لاكتساب أرضٍ، وزرعٍ، ومالٍ، وقتلٍ، وسلبٍ؛ بل ليسمع كلام الله، فكيف يفعل بضعُ آلاف من المسلمين الأوائل حتى يفتحوا مشارق الأرض ومغاربها في مدة قياسية من الزمن؟ فهذا جيش خالد بن الوليد فتح الشام بعشرة آلاف مسلم أمام ٢٠٠ ألف محارب روماني مسيحي، وبنفس النسبة فتح عبدُ الله بن الجراح فارس، وهذا عمرو بن العاص بخمسة آلاف أمام ١٢٠ ألف روماني في مصر، وكلها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فأي سيف هذا الذي يفتح بلاد أكبر إمبراطوريتين في زمانها إمبراطورية الرومانيين المسيحية، والإمبراطورية الفارسية عبدة النار؟!

فأي سيف هذا الذي يفتح هذه البلاد وهم أكثر عددًا، وعدة، ومالًا وهم في ديارهم، وكان سلاح المسلمين فقط هو تقوى الله؛ حيث كانت تعاليم خليفة المسلمين إلى قائد جنده المتوجهين إلى الإمبراطورية الفارسية بجبروتها، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: عليكم بتقوى الله فإنها الفرق بينكم وبين عدوِّكم فإن تساويتم في المعصية فإن لهم الغلبة؛ لأنهم أكثر عددًا وعدةً، وكان أساس الحرب هو أن يسمع الفرس كلام الله فقط: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ

كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٦].

فلم يُجبَر أحدٌ في فارس أن يترك عبادة النار فمن شاء فليؤمن، ومن لم يشأ تركه المسلمون لعبادة ما يراه، لا إكراه في الدين، ومن المعروف أن قاتِل سيدنا عمر بن الخطاب هو: أبو لؤلؤة المجوسي من فارس من عبدة النار، وقتله وهو ساجد يصلي في المسجد.

وعندما فتح المسلمون الهند لم يُجبَر فرد في الهند على تغيير دينه، وتُرِك لكلِّ فردٍ اختيار الدين الذي يراه بعد أن يسمع كلام الله؛ فترك للبوذيين، وعبدة البقر، والهندوس، ومئات الملل، والديانات حرية أن يسلموا أو البقاء على عقيدتهم.

فإذا فتح الإسلام الهند بالسيف، فهل نُشر الإسلام في تايلاند، وسنغافورة، والصين، والفلبين، وإندونيسيا بالسيف؟!

وهل فتح المسلمون، ونشروا الإسلام في إفريقيا الغربية والشرقية، وأواسط إفريقيا، وجنوبها بالسيف أيضًا؟

لقد دخل الناس في دين الله أفواجًا في معظم بلاد العالم القديمة طوعًا، وذلك في أكبر قارتين في إفريقيا نيجيريا، وفي آسيا، وآسيا الوسطى، والجزر النائية الفلبين وإندونيسيا بالقدوة الحسنة بتاجر أو رحَّالة أو عالم مسلم، فلا إرساليات تبشيرية، ولا جيوش احتلال، ولا مال، ولا مساعدات، ولكنْ انتشر بعدالته وصلاحيته كمنهج للإنسان السوي.

وما زال وسيظل الإسلام ينتشر في مجاميع البشر، وبسرعة أكبر من أي دين آخر، وبشهادة البعثات التبشيرية في أستراليا، وأمريكا، وبجنوب وشرقي آسيا، وفي إفريقيا، وأوربا بغير سيفٍ ولا حربٍ ولا مساعدات، فتسلم عندما تفتح عقلك وقلبك وتقرأ الإسلام من منابعه بلا تحيُّز. فتح الإسلام بالسلوك وبالعلم، حمل المسلمون أمانة الدعوة والتبليغ بكلام الله، وباعوا الدنيا بالآخرة، وقد أمرنا الله

بذلك: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وملأ المسلمون الأوائل الأرض بنور الإسلام، ونور العلم، وانجلى ظلام الكفر والشرك في معظم بلدان العالم في أقصر مُدة زمنية لم تحدث لدين قبله؛ وذلك بتراحمه، ونظمه، وظهرت المدارس العلمية المستمرة في الكوفة، والبصرة، والحجاز، وبغداد، وفاس، والأزهر في مصر، وقرطبة بالأندلس، وازدهرت علوم الكيمياء، والأحياء، والطب، والهندسة، والفلك، والرياضيات حتى أصبحوا أساتذة العالم، ونقلوا علومهم إلى آفاق الأرض.

وبعد ذلك كله نجد بعض أهل الكتاب من المستشرقين والمتأسلمين، ومن تبع هواه رددوا هذه المقولة بغير علم ولا تدبرٍ، وبغير أن يدرسوا الإسلام دراسة من منابعه فهناك فرق بين تعاليم الدين الإسلامي وسلوك المسلمين عامة فلا نأخذ سلوك مسلم قاتل، ونقول هذا هو الإسلام والمسلمون وهذا هو دينهم كذبًا وافتراءً

ونحن لا نعلم ما سبب هذا الكره الشديد في الغرب للإسلام والمسلمين على الرغم من أن الإسلام والمسلمين لم يُؤذوا المسيحيين، أو اليهود، وكانت بلاد الإسلام هي الملاذ طول التاريخ لليهودي المضطهد، ولم يُضطهد مسيحي، وقد وصل بعضهم إلى سدة الحكم بلا حساسية دينية حسب تعاليم الإسلام، وعاشت المسيحية واليهودية في أمان تام في بلاد الإسلام، ولكننا نسمع ونقرأ ما يقطر سمًّا في حق الإسلام والمسلمين من أناسٍ لم يتعاملوا معهم قط سواء من أهل العلم أو غيرهم حتى قرأنا في كتاب الرئيس الأمريكي نيكسون عن الإسلام (وهو الرئيس الكذاب الذي لا يؤخذ بكلامه): إن الأمريكيين لا يكرهون شيئًا في الدنيا كما يكرهون الإسلام والمسلمين. ولم يشرح سيادته السبب في هذه الكراهية وهذا الرئيس الحالي لأمريكا بوش الابن يقول بصراحة عن حربه لاحتلال أفغانستان، ثم العراق: إنها حربٌ صليبيةٌ.

ونكرر نفس المقولة: هل فتح المسلمون أمريكا أيضًا، واستزلوهم وسرقوا ونهبوا خيرات بلادهم كما يفعلون هم في أمريكا اللاتينية، وفي آسيا، وفي معظم بلدان العالم؟ فلم تظهر أمريكا إلا بعد ألف عام من ظهور الإسلام فليس هناك عداءٌ تاريخي مثلًا بين المسلمين وأمريكا كما هو في أوربا، ولكنْ ثقافة العهد القديم، قلبت الحقائق حتى أصبح الآن في ظل الإمبراطورية الأمريكية الحديثة التي تتكلم باسم المسيحية، والتي تريد أن تنشر العدل، والديمقراطية في العالم تحت العَلَم الأمريكي- إن من يدافع عن وطنه ضد المحتل الغاصب إرهابي، ومن يحتل الأرض، ويقتل، ويدمِّر كلَّ ما يقابله من أخضر ويابس هو رجل سلام.

يريدون أن يدمروا الإسلام والمسلمين، ويستعملوا جميع أسلحتهم الفتاكة في قتل وسلب، وتدمير البلاد الإسلامية، ثم يقولون: إن الدين الإسلامي دين إرهاب، وانتشر الإسلام بحدِّ السيف، ولا نقول لهم إلا كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

وفي الختام: الإسلام دين سماوي أُنزل من عند الله سبحانه بتعاليم تبغي وحدة جميع الأديان (اليهودية، والمسيحية، والإسلام)، والدين واحد وإن اختلفت الرسل والكتب، وقد بيَّن لنا ذلك الرسول ﷺ حيث قال:« الأنبياءُ إخوةٌ لعلات: أمهاتُهم شتَّى، ودينُهم واحدٌ، وأنا أولى الناسِ بعيسى ابن مريمَ؛ لأنه لم يكنْ بيني وبينه نبيٌّ» (البخاري، وأخرجه أحمد).

ولذلك فجميع المتدينين حقًّا في الديانات الثلاث أخوة في الدين، وإن اختلفت شرائعهم بعيدًا عن التعصُّب المهلك الجاهل، واستغلال الدين في السياسة التي لا أخلاق لها، واستغلاله في السلطة واحتلال بلاد الغير، وقتلهم، ونهب ثروات بلادهم باسم الدين: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ

عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨].

ونجد الدين واحدًا؛ فقد كُتب على بني إسرائيل القتال في عهد سيدنا موسى وأن يقاتلوا الكافرين؛ حتى يدخلوا الأرض المقدسة، ورفض بنو إسرائيل أمر الله ورسوله موسى فحرمها الله عليهم، وتاهوا في الصحراء أربعين سنة: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢١-٢٦].

ونفس الأمر صدر من الله إلى رسوله بقتال المشركين فقال له أحد الصحابة: اذهب يا رسول الله فقاتل ونحن معك، ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيهم: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، بل اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون.

الدين واحد: يهودي – مسيحي – إسلامي: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

أليس هذا ما حدث للمسلمين، وكُتب عليهم القتال لأنهم أُخرجوا من ديارهم مثل بني إسرائيل، كما كُتب القتال على بني إسرائيل، فهل قتال بني إسرائيل حلال، وقتال المسلمين حرام؟

مِمَّا سبق هل نقول إن سيف اليهودية وسيف المسيحية ملطخ بدماء شعوب

الأرض جميعًا، فإن الدين اليهودي والدين المسيحي دين إرهاب؟

نقول: لا، والإسلام أيضًا بريء من المسلمين الذين يروِّعون الآمنين من المسلمين وغير المسلمين بغير علم، ولا حجة في الإسلام بذلك نقول للجميع، لليهود، والمسيحيين، والمسلمين: إن الله وأنبياءه، ورسله: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد براء من استخدام السيف، والقتل، والدمار، وترويع الناس باسم الدين؛ فالدين كله لله، والأديان جميعها أديان حبٍّ ورحمةٍ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩].

ثانيًا

يقولون إن الإسلام لم يمنع الرق وإن المسلمين هم نخاسو إفريقيا؟

الرقُّ: هو نظام اجتماعي قبل الإسلام، ومنتشر في جميع بلدان العالم، وكان متفشيًا في المجتمعات القبلية والحضرية سواء أكانوا أهل كتاب كاليهود، والمسيحيين، أو عبدة نار، أو أوثان، أو الديانات الأخرى، ولم نقرأ سواء في العهد القديم أو الجديد، أو كتب أخرى لديانات قد ألغت الرقَّ.

وعندما جاء الإسلام فإن تعاليمه قد أُنزلت على رسوله محمد ﷺ في مدة ٢٣ سنة؛ لينهي كل عمل يضر به الإنسان نفسه، أو غيره، أو أسرته، أو مجتمعه: كالربا، والقتل، والميسر، وترويع الآمنين، واسترقاق البشر.

ولمعرفة الله -سبحانه وتعالى- بالنفس البشرية فقد ألغى الإسلام هذه الصفات على مراحل: كشرب الخمر مثلًا؛ حتى يقلل نسبة الكحول في الدَّم فكان إلغاء:

١) لا نشرب الخمر في الصلاة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣].

فمنع المسلمون شرب الخمر قبل الصلاة وهي خمس مرات في اليوم فبدأ من طلوع الشمس حتى بعد الغروب؛ وبالتالي قلَّتْ نسبة الكحول في دمائهم ثم جاء أمر المنع من الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

[المائدة: ٩٠-٩١].

قال المسلمون جميعًا: نعم يا الله انتهينا، وألقوا بجميع القدور الحاملة للخمر في الطرقات، وأصبحت الخمر محرَّمة.

نجد هنا التدرج في المنع، وهذا مثلٌ أسوقه إليكم لفهم أسلوب الإسلام لتحريم شيء يمس المجتمع فصناعة الخمر لها أناسها يسترزقون منها -وهم كُثُرٌ- تجارة كثيرة فلكَي تمنع هذه الصناعة فلابد لصانعي الخمور أن يتحولوا إلى مهنٍ أخرى من تجَّار الخمور إلى تجارة أخرى يتمرنون عليها، ومن شراب الخمور إلى مشروبات أخرى حلال لا تضر بصحتهم ولا بدينهم.

وبنفس الأسلوب نجد الإسلام منع الرقَّ؛ فقد ألغى الرقَّ على فترات طويلة، وبطريقة مقننة، وبأساليب مختلفة، وليس بأمرٍ واحدٍ يقذف بآلاف البشر من رجال، ونساء، وأطفال، وشيوخ لا حول لهم ولا قوة، ولا مصدر رزق، ولا صنعة إلا الخدمة فهل يحررون دفعة واحدة، ويجدون أنفسهم في الشوارع بلا مأوى، ولا حرفة ليديروا شئون أنفسهم؛ لأن مصدرهم الوحيد في الحياة أسيادهم؟!

مراحل إلغاء الرقِّ في الإسلام

أولًا: معاملة الرقيق معاملة إنسانية مماثلة لسيده لا فرق في أكل، ولا شرب، ولا لبس كأنهم من أفراد الأسرة فلا فرق بين سيد بيت وعبده، ولا سيدة بيت وأَمَتِها، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد زوَّج عبده زيد بن حارثة بنت عمته زينب بنت جحش عندما رفض زيد أن يذهب مع أسرته، وكان عبدًا عند محمد ﷺ قبل البعثة، وفضَّل أن يكون عبدًا لمحمد ﷺ على أن يكون حرًّا مع أسرته؛ وذلك لمعاملة محمدٍ ﷺ له كأنه ابنه، وقد أعطاه فعلًا اسمه وسُمِّي زيد بن محمد حتى حرَّم الله التبني في الإسلام، ورجع اسمه إلى زيد بن حارثة.

كما منع الإسلام تمامًا استعباد الناس: لقوله ﷺ: «ما خففتَ عن خادمِك من عملِه فهو أجرٌ لك في موازينِك يومَ القيامةِ» رواه الطبراني، وعن عائشة-رضي الله

عنها-: «أربعٌ مَنْ كنَّ فيه نشرَ اللهُ عليه رحمتَه، وأدخله جنتَه: من آوى مسكينًا، ورحمَ الضعيفَ، ورفقَ بالمملوكِ، وأنفق على الوالدين» رواه الحاكم، والترمذي، وأبو نعيم.

ثانيًا: منع الإسلام استعباد الناس، أو أسرهم، أو خطفهم من منازلهم، أو الشوارع، أو الأسواق كما يحدث من إغارات القبائل على بعضها، وكذلك الحروب التي أقيمت بين البلدان للتوسع فكانت آية الحرابة: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

من عمل فسادًا في الأرض: من قتل، أو أسر، أو اغتصاب، أو سرقة بالإكراه، أو ترويع الناس كان جزاؤهم في الإسلام القتل، أو النفي، وبالتالي تم تجفيف منابع الرق مع تحرير ما تبقى عند المسلمين.

أما في الديانتين اليهودية، والمسيحية لم يذكر فيهما إلغاء نظام العبيد صراحة؛ ففي العهد القديم على سبيل المثال لا الحصر نجد ذكر العبيد وبدون إلغاء، أو طريقة استخدامهم، أو صنوفهم ... إلخ.

ففي سفر التكوين الإصحاح (٩):

أما أبناء نوح الذين خرجوا معه من الفلك فكانوا (سام، وحام، ويافث)، وحام أبو الكنعانيين هؤلاء كانوا أبناء نوح الثلاثة الذين تفرعت منهم شعوب الأرض كلها، واشتغل نوح بالفلاحة، وغرس كرمًا، وشرب الخمر فسكر، وتعرى داخل خيمته فشاهد حام أبو الكنعانيين عري أبيه فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجًا فأخبر سام، ويافث رواء، ووضعاه على أكتافهما، ومشيا على الوراء إلى داخل الخيمة وسترا عري أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيبصرا عريه، وعندما أفاق نوح من سكره، وعلم ما فعله به ابنه الأصغر قال: ليكن كنعان ملعونًا، وليكن عبد العبيد لإخوته، ثم قال تبارك الله إلى سام، وليكن كنعان عبدًا له، وليوسع الله ليافث فيسكن في خيام سام، وليكن كنعان عبدًا له.

وهذا أول ذكر للعبيد في البشرية من أيام نوح، وقد تكرر ذلك في كتاب يشوع **الإصحاح** (١٦) حيث ذكر: ولم ينفوا الكنعانيين المقيمين في جازر فظل الكنعانيون ساكنين في وسط سبط إفرايم إلى هذا اليوم كعبيد يدفعون الجزية.

وفي كتاب ملوك الأول **الإصحاح** (٩): ومن زراري الأمم التي عجز الإسرائيليون عن إفنائهم فقد فرض عليهم سليمان خدمة التسخير كالعبيد إلى هذا اليوم.

وفي كتاب الجامعة **الإصحاح** (٢): وحفرت برك مياه لأروي الأشجار النامية، واشتريت عبيدًا، وإماءً، وكان لي عبيد ممن ولدوا في داري.

فلم نجد إلغاء عبيد، أو إشارة إلى كيفية تحريرهم من عبوديتهم، وما حقوقهم؟ بينما الإسلام قد حدد كل شيء خاص بالعبيد في أسمى المعاملات وكيفية تحريرهم، ومعاملتهم وحقوقهم...

ثالثًا: منع أخذ الأسرى غير المحاربين، أما المحاربون فليس لهم فداء: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨].

وهو عتاب الله لرسوله ﷺ لأخذ الفداء من الأسرى حيث حرم على الأنبياء، والرسل أخذ فداء؛ حيث الحرب هنا حرب عقيدة، وليست حربًا من أجل مالٍ، وجاهٍ، وتستمر الحرب حتى تضع أوزارها، ويقول الله -سبحانه: أتريدون أن تأخذوا الفداء وهو حطام الدنيا، ومتاعها الزائل، فالحرب هنا دفاع عن النفس، وعن العقيدة حيث جاء كفار قريش من مكة إلى قرب المدينة وهي بدر يريدون قتل الرسول، والمسلمين، ومن ثمَّ نصر الله رسوله والمؤمنين في هذه الغزوة المباركة.

رابعًا: ومن تعاليم الإسلام إن أسلم المقاتل فله في الإسلام ما للمسلمين، أما

إن لم يرد الإسلام فيدفع الجزية وهو حرٌّ في عقيدته، وإن حارب مرة أخرى المسلمين فليس له فداء إلا القتل، وأظن أن القوانين العالمية الآن تسير على هذا النهج فأسير الحرب له حريته حتى يرجع إلى بلده أما إذا اشترك في حرب أخرى، وأسر مرة أخرى فلا يفك أسره، ويمكن سجنه، أو قتله.

ويمنع الإسلام أخذ النساء، والأطفال، والشيوخ، أو حتى إيذائهم، ولا تهدم كنيسة، أو صومعة، أو محراب، ولا معبد فجميع الأديان آمنة في الإسلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال ٧٠-٧١].

تنظيم معاملة الرقيق في الإسلام

أ- أن يحسن الإنسان إلى الرقيق خصوصًا عبده أو أمته، كما يحسن إلى أهله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٧].

يقول رسول الله ﷺ: «**لا تضربُوا إماءَكم على كسرِ إنائِكم، فإن لها آجالًا كآجال الناس**» رواه أبو نعيم، وقال ﷺ: «**من ضارَّ مسلمًا ضارَّ اللهَ به ومن شاقَّ شاقَّ اللهُ عليه**» الترمذي.

فلا يختال الإنسان بماله وجبروته على الضعفاء والمساكين واليتامى والفقراء والعبيد؛ فإن الله لا يحب ذلك للمسلمين، بل يحب الإحسان عليهم وبرهم والوقوف بجانبهم في حوائجهم.

ب- تشجيع المسلمين على الزواج من العبيد والإماء: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء: ٢٥].

حثَّ الإسلامُ المسلمين على أن ينكحوا الإماء المؤمنات اللاتي يملكونهن، وحثَّ النساء المؤمنات على أن ينكحن العبيد المؤمنين؛ فإنكم جميعًا من آدم ولا فرق بينكم، وخلقوا من نفسٍ واحدةٍ، وقد قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فالعبرة في الإسلام بالإيمان ولا فضل في الإسلام للأحساب والأنساب والمال، وإذا أراد المسلم الزواج من أمة فيكون الزواج بأمر وليها، ولا بدَّ أن يدفع لها مهرًا، ولا يبخسوهن حقوقهن؛ استهانة بهن لكونهن إماءً مملوكات، ولا يجامع السيد أمته سرًّا؛ لأنه يصبح زنًى؛ ومن هنا نجد الإسلام يفضل زواج المسلمين من الإماء المؤمنات وكذلك من العبيد؛ وذلك لتخليصهم من عبودية الرقِّ، ولكون ذلك خيرًا لهم من الزواج بالحرائر الكافرات، وحتى ولو كان العبيد فقراء فسوف يغنيهم الله من فضله: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

جـ- نهج الإسلام لتحرير العبيد

(١) صرف الزكاة والصدقات في اتجاه تحرير العبيد: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فليس البر في الإسلام الصلاة فقط، ولكنْ البر الحقيقي هو الإيمان بالله، واليوم الآخر، وجميع الأنبياء والرسل، وكتب الله المنزلة: التوراة، والإنجيل، والقرآن وأن يعطي المرء ماله؛ ابتغاء مرضاة الله لذوي قرابته من الفقراء، واليتامى، والمساكين،

ويعاون الأسرى الأرقاء من العبيد بفدائهم، وتغذيتهم، وبالدفع عنهم، وتحريرهم فذلك جزاؤه عند الله عظيم.

قال رسول الله ﷺ: «إذا دخلَ رمضانُ أطلقَ كلَّ أسيرٍ وأُعطى كلَّ سائلٍ» رواه أبو سعيد عن عائشة، «فُكُّوا العانِي الأسيرَ وأجيبوا الداعي وأطعموا الجائعَ وعودوا المريضَ» رواه الحاكم.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٦٠]

وهنا نلاحظ أن الله -سبحانه وتعالى- جعل فريضة منه في وضع أموال الصدقات في التخفيف على الفقراء والمساكين، وكذلك لتحرير العبيد: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ وكذلك أضاف -سبحانه وتعالى- والغارمين الذين لا يستطيعون أن يدفعوا ديونهم، وبذلك يصبح من مصارف الزكاة وهو -ركن من أركان الإسلام- هو فك الرقاب، وتحرير العبيد، وأصبح فريضة من الله، ونذكر هنا أن المبالغ والأموال التي تصب في هذا الاتجاه كبيرة؛ حيث فرض الله -سبحانه وتعالى- على كل مسلم قادر زكاة ماله ٢،٥٪، وزكاة زرعه من ٥ إلى ١٠٪، وزكاة إبله وغنمه وأنعامه، وكذلك زكاة الذهب والفضة وأخيرًا زكاة النفس،جميع هذه الدخول تصبُّ في اتجاه التيسير على الفقراء، والمساكين، والغارمين، وفكِّ الأسرى، وتحرير العبيد.

د- الكفَّارات

١- القتل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ٩٢].

نلاحظ هنا تحرير رقبة مؤمنة إذا كان القتل خطأً؛ لأنك عند تحريرها من الرقِّ

كأنك أحييتها.

وإن كان المقتول مؤمنًا وقومه من الكفار المعادين للمسلمين ومحاربين لهم فعلى القاتل الكافر أيضًا كفارة هو تحرير رقبة مؤمنة، ولو كان المقتول من الكفار وهناك عهد بينكم وبينهم فعلى القاتل أيضًا تحرير رقبة مؤمنة وهذا شرع الله.

٢- **الظِّهار**: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ٣].

الظهار ؛ كان نوعًا من أنواع الطلاق فأمر الله -سبحانه وتعالى- تشديدًا على منع الطلاق أنه إن أراد الرجل الرجوع إلى امرأته فعليه تحرير رقبة من قبل أن يمسَّ زوجته، أي: تحرير عبد، أو أمة مسلمة.

٣- **اليمين "الحلف"**: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٩].

كفارة اليمين عند الحنث به هو تحرير رقبة، أو إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم؛ حتى يغفر الله لك.

٤- **مكاتبة العبد حتى يفك رقبته "أي: يحرر"**: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٣٣].

وقد أجاز الإسلام للعبد أن يعتق نفسه بأن يدفع لسيده من المال الذي يكسبه من عمله في حالة قدرته على ذلك بأن يكون صاحب مهنة، أو تجارة مثلًا، ويكتب

عقدًا محددًا فيه الثمن، وعند دفع ما اتفق عليه يصبح حرًّا، ليس هذا فحسب، بل طلب الله -سبحانه وتعالى- أن يعطي السيد من ماله لهذا العبد؛ حيث إن المال هو مال الله وليس مال السيد؛ حتى يعين على عتق نفسه، وفي ذلك أجر عظيم، وهو في هذه الحالة يصبح أيضًا من الغارمين ويستحق لصاحبه أن يدفع زكاة ماله في تحريره.

٥- تشجيع الله -سبحانه وتعالى- المسلمين على فكِّ الرقاب؛ حيث جزاؤهم الجنة:
وهو أن يعتق المسلم عبدًا أو أمةً في سبيل الله، وتخليصها من الأسر أو الرق ومن يفعل ذلك كانت له فداءً من النار يوم القيامة، فأي جزاء هذا؟!

فهل بعد هذا من مراحل فكِّ الرقاب، وإطلاق الرقيق؛ ليكونوا أحرارًا، وحث الإسلام على ذلك وشبه فكَّ الرقاب كأنك أحييت إنسانًا، وقد حرَّم الإسلام على الأفراد أو الجماعات أن يغيروا على بعضهم وأن يسترقَّ بعضهم بعضًا، وحرَّم استرقاق النساء، والأطفال، والغلمان، والشيوخ في حالة الحروب، واقتصر الرقُّ فقط على من جاء دار الإسلام غازيًا محاربًا.

ثم جعل الإسلام أفضل شيء في صرف الزكاة، أو الصدقات، أو الكفَّارات، أو الطلاق، أو اليمين، أو القتل، أو الظِّهار وغير ذلك هو تحرير رقبة؛ وبالتالي يتخلص المجتمع الإسلامي والإنساني إذا اتبعوا تعاليم الإسلام من هذه الظاهرة على فترات مع تجفيف منابعها.

ويقول الخليفة عمر بن الخطاب لوالي مصر عمرو بن العاص قولته المشهورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!

أين أنتم يأهل الكتاب من اليهود والنصارى في استعباد عشرين مليون أفريقي مسلم خطفوا من ديارهم وشحنوا عبيدًا إلى أمريكا وتحولهم من الإسلام إلى المسيحية وما زالوا يعانون من الاضطهاد إلى يومنا هذا؟! أين أنتم من تجارة الرقيق الأبيض في أوربا؟! من بيع الأطفال والنفايات؟! أين أنتم من استرقاق شعوب بأكملها باحتلال أراضيهم وتسخير شعوبهم وسلب ثرواتهم أليس هذا رقًّا عالميًّا؟!

ثالثًا

يقولون: المسلمون يعبدون الشمس

المسلمون يعبدون الشمس لارتباط صلاتهم بأوقاتها عند الشروق وفي منتصف النهار وعند الغروب (صلاة الصبح والظهر والمغرب).

هم محتارون هل المسلمون عبدة أوثان؛ لتقبيلهم الحجر الأسود في الكعبة، أم عبدة شمس حيث يصلُّون الصبح، والظهر، والمغرب؟

لم يدرسوا الإسلام من منابعه، ثم يكيلون التُّهم جزافًا للإسلام والمسلمين، وإنْ تدبروا وعقلوا ما قالوا هذه الافتراءات؛ فبالبحث في القرآن المؤلف من عند محمد كما يدعون هل وجدوا مثلًا أمة الإسلام تعظم الشمس وتبجلها؟! ولكن قالوا لنا: إن الشمس والقمر والنجوم مخلوقات من خلق الله مسبحة ساجدة مصلية مثلنا تمامًا فكيف نعبدها ولا نعبد خالقها أم نحن مزدوجو الشخصية والعقيدة نكتب شيئًا ونطبق خلافه؟

فقد ذكر في القرآن

أولًا: عن طريق الهدهد -وهو طائر يستغرب- كيف يسجد الناس للشمس والقمر ولا يسجدون لخالقهم الواحد، الأحد، ربِّ العرش العظيم؟! قال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٤-٢٦].

ثانيًا: إذا كان القرآن ذكر لنا أن الشمس والقمر والسماوات والأرض وجميع المخلوقات تسجد لله فكيف يأمرنا أن نسجد للشمس: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ

مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

ثالثًا: أنَّ الشمس والقمر آيات من آيات الله ونهانا عن السجود لهما: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧].

وماذا عن صلاة المسلمين في العشاء، وجوف الليل، والفجر وفي عدم وجود الشمس أنسجد للقمر أيضًا؟ وكيف نسجد له وهو غير موجود في آخر الشهر العربي؟ ولكي يعلم غيرُ المسلمين أنَّ الرسول ﷺ قد نهى المسلمين عن الصلاة عند شروق الشمس، وعند الغروب؛ لأن الشمس تكون عند مستوى هامة المصلي فلا يظن إنسان أننا نعبد الشمس وقت كراهة للصلاة كما قالوا.

وفي قصة سيدنا محمد ﷺ عندما مات ولده الوحيد إبراهيم ابن السيدة مريم القبطية، وبكى الرسولُ لموته وفي هذا الوقت خُسفت الشمس فقال المسلمون: إن الشمس خُسفت لموت ابن الرسول فما كان من سيدنا محمد ﷺ أن طلب أن يُجْمع المسلمون وقال قولته المشهورة: «إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آياتِ الله لا ينخسفان لموتِ أحدٍ...».

فإن كان مدعيًا كان الأولى به أن يسير في ركب هذه المقولة ويقول إن الشمس قد خسفت من أجلي ولكن لم يحدث لأنه رسول الله وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، صلى الله عليه وسلم.

رابعًا

لماذا لا يأكل المسلمون الخنزير؟

الخنزير حيوان كانس يتغذى على الجيف، أي: الحيوانات الميتة، وكذلك مخلفات الإنسان العضوية، والنفايات، والحيوانات المتحللة، وغيرها وبالتالي فهو يدخل في مجموعة الحيوانات آكلة اللحوم؛ كالضباع، والأسود، والنمور، والكلاب من حيث التغذية، ولما كانت معظم الأمراض التي تصيب الحيوانات هي أيضًا تصيب الإنسان فمن هنا جاءت حكمة الشرع في تحريم أكل الحيوانات أكلة اللحوم وكذلك أكلة الجيف ومنها هذا الحيوان.

والخنزير حيوان محرَّم ليس على المسلمين فقط فهو أيضًا محرَّم عند اليهود؛ ففي العهد القديم في كتاب اللاويين **الإصحاح** (١١) يقول: والخنزير أيضًا نجس لكم؛ لأنه مشقوق الظلف، ولكنه غير مجتر لا تأكلوا لحمها، ولا تمسوا جثتها؛ لأنها نجسة لكم.

وبالتالي تصبح أيضًا محرمة على المسيحيين فهو محرَّم أصلًا في الثلاث الديانات السماوية.

والإجابة عن هذا السؤال عند المسلمين لها شقان:

أولها: شق إيماني. **والثاني**: شق علمي ولو أن الإسلام لا يفرق بين الإيمان والعلم فكلاهما من عند الله -سبحانه وتعالى:

أولًا: التحريم إيمانيًّا

عدم أكل الخنزير في الإسلام؛ طاعةً لأوامر الله دون مناقشة العامة؛ حيث إن المعلومات المتوافرة أثناء نزول هذه الرسالات لم تكن كافيةً لتفسير لماذا حرَّم الله الخنزير، وتحريم الخنزير جاء من عند الله لاختبار البشر هل يطيعون ما أمر الله به أم لا مثلما طلب الله -سبحانه وتعالى- من آدم وزوجته ألَّا يقربا الشجرة لاختبار طاعتهما

لأوامر الله: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[البقرة: ٣٥-٣٦].

وكذلك اختبار الملك طالوت لجنود بني إسرائيل الذين سيحاربون معه؛ حيث قرر في القرآن هل يطيعون الأوامر، أم لا: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وذلك لمعرفة من سيتبع أوامره ممن لا يستطيع ذلك، وكذلك تحريم الله -سبحانه وتعالى- ليوم السبت لبني إسرائيل، وجزاء من خالف أوامر الله، وتحايل عليها سخطهم إلى قردة خاسئين فهو اختبار من الله -سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥].

فالمنع هنا طاعة لأوامر الله بصرف النظر عن صلاحية هذه اللحوم للاستهلاك الآدمي أم لا، فيوم السبت امتحان لبني إسرائيل هل سيطيعون أوامر الله، أو يعصونها؟ وكذلك عدم شرب الماء في قصة طالوت امتحان للبشر.

ثانيًا: التحريم من الناحية العلمية

وضع الله -سبحانه وتعالى- لحم الخنزير مصنفًا مع اللحم الميت والدم فهو مماثل لهما: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

فقد لوحظ أن الله -سبحانه- ساوى في التحريم لحم الخنزير المذبوح والمراقب صحيًا مع الحيوان الميت غير المعروف سبب وفاته، وكذلك الدم.

كما جمع الله -سبحانه وتعالى- لحم الخنزير بكل الأشكال المسببة للموت، وكذلك المحرَّمة شرعًا مع الدم في الآية الآتية: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

الدم المسفوح : هو الدم السائل النازف من الحيوان

لحم الخنزير : جميع أجزاء وأعضاء الخنزير

المنخنقة : الميتة بالخنق

الموقوذة : المضروبة حتى الموت

المتردية : الميتة نتيجة سقوطها من ارتفاع عالٍ

النطيحة : الميتة بالنطح

وما أكل السبع : الميتة بجراح حيوان مفترس

ذكيتم : أدركتم فيها الحياة فذبحتموه وذكرتم اسم الله عليه

النصب : الذبح أمام الأصنام

الأزلام : الذبح لأجل معرفة الغيب

مخمصة : حالة المجاعة الشديدة

متجانفٍ لإثم : فعل الحرام وأنت قادر على تجنبه

ومن المعروف أن الدم هو أفضل بيئة لنمو الميكروبات المرضية كما أن عدم معرفة أسباب موت الحيوان تكون أيضًا سببًا في تحريم أكله؛ حيث تنقل كثيرًا من الأمراض من لحوم الحيوانات إلى الإنسان مباشرة؛ ولذلك حرم الله -سبحانه وتعالى- أكل الحيوانات المخنوقة، والساقطة من ارتفاع شاهق، والمضروبة حتى الموت، وما أكل السبع مثل: آكلات اللحوم من الذئاب، والضباع، والأسود، والكلاب وغيرها؛ وذلك لوجود الدم في الأوعية الداخلية والمغذية للحومها؛

حيث تنمو الميكروبات داخلها مما يجعلها غير صالحة للاستهلاك، كما أن الحيوانات التي تصطادها آكلات اللحوم تكون عمومًا من الحيوانات الضعيفة، ومن المحتمل أيضًا أن تكون مريضة؛ ولذلك رحمة من الله لنا حرَّم لحوم هذه الحيوانات، كما حرَّم الله -سبحانه وتعالى- أكل اللحوم المذبوحة أمام الأصنام، وللسحر، ولم يذكر اسم الله عليها، وقد أبيح ذلك فقط في حالة المجاعات، أو إذا اضطر الإنسان إلى ذلك؛ درءًا لموته مثلًا فلا إثم عليه، وكذلك حلل لنا أكل الحالات السابقة إذا حللتها وذبحتها قبل موتها؛ لأنك تكون قد عرفت أسباب الوفاة.

مما سبق يتبين لنا أن الخنزير، والدم، والميتة شديدة الخطورة على الإنسان عند تناولها؛ ولذلك حرمها الله -سبحانه وتعالى- ومن يدري فقد تكون حاملة للأمراض الوبائية مثلًا، أو بدأ اللحم في التحلل اللاهوائي، أو قد سرى فيه ميكروب الكلوستريديم بوتشلينم الذي يفرز سمًّا شديد السمية قاتلًا فورًا للإنسان، ١٠ جم من هذا السم قادر على قتل مئات الآلاف من البشر.

ولذلك حرَّم الله الدم، ولحم الخنزير، والميتة من الحيوانات، ثم تأتي بعد كل هذا، وتسأل لماذا لا يأكل المسلمون الخنزير ضاربين بكل هذه المعلومات عرض الحائط؟!

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

فإذا طبقت ما أمر الله به تنجو من هذه الأمراض، وإن خالفته وأفسدت في الأرض فسوف تصاب بالأمراض وخلافه بما كسبت يداك أنت؛ لكي تذوق وبال أمرك لعلكم ترجعون.

ومن ناحية أخرى فقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- في القرآن العظيم حقيقة هي أن الله -سبحانه وتعالى- قد أعلمنا أن المكذبين من أهل الكتاب الذين لعنهم الله، وغضب عليهم لكفرهم، ولقتلهم أنبياء الله، والذين يسعون في الأرض فسادًا جعل

منهم القردة، والخنازير، وكذلك عبدة الشيطان: ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

مما تقدم تبين لنا أن الله -سبحانه وتعالى- قد حوَّل الإنسان إلى القردة والخنازير؛ فالعلم الحديث بيَّن لنا علاقة الإنسان بالقردة، والتشابه الظاهر بينهما ووضع الإنسان من سلسلة القردة كما يدَّعون فما علاقة الإنسان بالخنزير، وقد ذكر ذلك منذ ١٤ قرنًا، وقد أثبت العلم الحديث أن الخنزير يشبه الإنسان في شفرته الوراثية؛ حيث إنهما تقريبًا متماثلان وراثيًّا وهو أقرب للإنسان بعد القردة، والآن يستعمل الإنسان الأنسولين الناتج من الخنزير طبيعيًّا لعلاج السكر في الدم، وهناك أيضًا احتمال نقل الأعضاء الداخلية؛ كالكبد، والقلب، والطحال، وخلافه من الخنزير للإنسان بدون أن يلفظ الجسم هذه الأعضاء، ولكن المشكلة أنه لا يمكن الحصول على هذه الأعضاء من الخنزير خالية من الفيروسات، ألم يمنع الله -سبحانه وتعالى- أكله؟

ولذلك فعندما نأكل لحم الخنزير فالحقيقة إنك تأكل لحم الإنسان، وبالتالي فهناك احتمال نقل بعض العوامل الوراثية من الخنزير إلى الإنسان؛ لتشابه الشفرة الوراثية كما بيَّنَّا سابقًا.

وقد أُثير -حديثًا- على مستوى العالم ظهور مرض جنون البقر في الأبقار، أو الحيوانات العشبية المجترة عندما غُذِّيت على اللحم المجفف، ومسحوق العظام، والدم، والسمك، وخلافه وهذا المرض مماثل للمرض الذي ظهر عندما يأكل الإنسان لحم الإنسان، وهو مرض المخ الإسفنجي؛ حيث ظهر بين أكلة لحوم البشر كما ظهر أيضًا هذا المرض في أوربا في القرن السادس عشر.

وبالبحث عن أسباب هذا المرض الخطير فقد تبين وجود بروتين مقاوم للحرارة الشديدة وكذلك التحلل ويسمى البوريون، وقد ذكر أن الإنسان به نسبة محدودة من هذا البروتين فإذا زادت عن حدٍّ معين في الجسم؛ يبدأ هذا المرض في

الظهور حيث يصبح المخ إسفنجيًّا مما يؤدي إلى وفاته.

ولذلك فإني أرى عندما يستهلك الإنسان لحم الخنزير؛ المشابه للإنسان فإن ذلك يؤدي إلى إضافة نسب متفاوتة من هذا البوريون في جسم الإنسان حيث يتراكم حتى يصل إلى النسبة الخطيرة التي تسمح بظهور هذا المرض المميت فرحمة من الله لنا ولعلمه اللامحدود قد حرَّم علينا أكل الخنزير ليس في الإسلام فقط، ولكن من عهد موسى -عليه السلام.

بالإضافة إلى ما سبق فإن الخنزير حيوان كانس يتغذى على فضلات الإنسان، والجيف المتحللة، وعلى النفايات المتحللة، وهو ما يزيد من نسبة البوريون في جسم الخنزير، وبالتالي تنعكس هذه النسبة على الإنسان الآكل للخنزير.

أفلا يتدبرون القرآن؟!

خامسًا

يقولون: إن الإسلام ظلم المرأة

قبل أن نذكر فضل الإسلام في تحرير المرأة، ومساواتها بالكامل مع الرجل في الإسلام تعالوا معًا نرى الوجه الآخر للذين يرموننا بهذه الفرية سواء كانوا أهل كتاب من إخواننا اليهود، والمسيحيين، أو الملحدين، ونرى وضع المرأة في مجتمعاتهم حتى الآن وهل هي مساوية لحقوق المرأة في الإسلام التي أعطيت لها من الله ورسوله منذ أربعة عشر قرنًا، ومسجلة في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وليس الحكم على مظاهر سلوك قبلي من الأفراد فالمقارنة بين نصوص، وليس أفعال أفراد ومجتمعات:

١- الزواج والطلاق

أ- **تعدد الزوجات**: تعدد الزوجات في الإسلام هو ضرورة اقتضتها ظروف الحياة بعد ما استغل الرجل المرأة أسوأ استغلال في عدم تشريع الطلاق، وتعدد الزوجات ليس تشريعًا إسلاميًّا فقط، فهو أيضًا مباح في الديانة اليهودية؛ ففي العهد القديم ذُكر أن سيدنا داود تزوج تسعًا وتسعين زوجةً كما تزوج ابنه سيدُنا سليمان بثلاثمائة زوجة ومائتي حليلة، كما تعددت زوجات معظم أنبياء الله ورسله.

وعندما جاء الإسلام فكان تعدد الزوجات بلا حدود في جميع المجتمعات، وزوجة واحدة زواجًا أبديًّا في الديانتين المسيحية والهندوكية، كما كانت الزوجة تباع وتشترى وتورَّث، كما كانت تجبر على ممارسة الرذيلة.

ويعتبر تشريع تعدد الزوجات في الدِّين الإسلامي مفخرةً لهذا الدين، وليس عليه كما يرميه به بعض المغرضين، وتعدد الزوجات هو الحل الأمثل للعديد من المشاكل الاجتماعية الخطيرة الناتجة عن الحروب والكوارث البيئية من أمراض وبائية، وخلافه عندما تزيد نسب السيدات عن الرجال، وفي عدم وجود هذا

التشريع فإننا نترك هؤلاء النسوة بلا عائل، محرومات من متعة تكوين الأسرة، والإنجاب، وحياة كريمة مستقرة، ودفء الأسرة بدلًا من أن تسلك طريق الرذيلة والفاحشة؛ مما يصيبها بالأمراض الجنسية الخطيرة؛ كالزهري في السابق، والإيدز حاليًا، ومن الأمثلة المعروفة والمسجلة عالميًا أن عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية من القنابل والمتفجرات وخلافه وصل تقريبًا إلى ثلاثين مليونًا من البشر، وماتت أعداد مماثلة من الزهري والسيلان نتيجة عدم وجود هذا التشريع في المجتمعات الغربية، وانحلت الأسرة من الأخلاق، وتدهورت الأخلاق حتى سُمِح بزواج الأمثال وهو محرَّم شرعًا في جميع الديانات السماوية.

وقد أباح الله التعدد في حالات الحرب، وفي حالة عدم إنجاب الزوجة فبدلًا من أن تُطلق وتصبح وحيدة بلا ذنب؛ فقد شرع الله -سبحانه وتعالى- أن يتزوج الزوج مع الاحتفاظ بالزوجة الأولى؛ حفاظًا عليها إن أرادت ذلك، وفي حالات مرض الزوجة، أو الفتور الجنسي بين الزوجين فسمح الشرع للزوج بهذا التعدد مع موافقة الزوجة الأولى لهذا التعدد، أو تطلب الطلاق، وإن رفض تطلب الخلع.

ونقول أيضًا للرافضين لمبدأ تعدد الزوجات: إن الزوجة الثانية هل هي تزوجت إجبارًا، أم اختيارًا؟ فإن كان لها حظ أن تكون زوجة أولى لرفضت أن تكون زوجة ثانية، وكذلك الحال للزوجة الثالثة والرابعة، فقبولها أن تكون ثالثة؛ لأنه ليس لديها الفرصة لأن تكون زوجة أولى، أو حتى زوجة ثانية.

فلماذا تُحرِّمون الزواج على النساء اللاتي لا يجدن فرص الزواج... وهل يكون أكرم لهن التعدد وأن يكنَّ زوجات أخريات، أم يكنَّ عاهرات أو محرومات من تكوين أسرة وزوج وسكن، إنها أنانية منكم، كما أن الله -سبحانه وتعالى- حدد هذا العدد، وحدد أيضًا الحالات وأهمها تعدد الزواج في اليتامى حيث يقول الله -سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء: ٣-٤].

والتعدد بين اليتامى حتى يمكن للرجال أن يصرفوا على اليتامى، وأن يدخلوا البيوت بدون حرج، ويحدث هذا عند الحروب حيث يكثر اليتامى والأرامل، وعلى الرغم من وجود الرخصة إلا أن الله -سبحانه وتعالى- أمر الزوج أن يكون عادلًا بين زوجاته في المسكن، والملبس، والمأكل، والمشرب، والمعاشرة الزوجية، وحذَّر من عدم العدل؛ لأن حسابه سيكون عند الله عظيمًا؛ ولذلك قال الله: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء: ١٢٧-١٢٩].

كما أوصى الله -سبحانه وتعالى- أنه عند زواجكم من اليتامى فلا تبخسوهن حقوقهن من المهر وخلافه، ثم كرر الله مرة أخرى أن الإنسان لا يستطيع أن يعدل بين الزوجات، وحذَّر من ذلك؛ حتى تكون الرخصة في محلها وليست نزوة، وفي حالات الضرورة، كما حذر من تعدد الزوجات وتركهن معلقات فلا هن متزوجات يمارسن حقوقهن الزوجية، ولا هن غير متزوجات ينتظرن زوجًا آخر.

ب- الطلاق والخلع

إن الفكر الغربي منع الطلاق حتى عام ١٨٥٧م؛ حيث سمح البرلمان الإنجليزي بالطلاق بسبب الخيانة الزوجية، وفيما عدا ذلك كان الفصل الجسدي فقط هو المسموح به، وما يعنيه من فساد في المجتمع، وكان الأزواج يهجرون بيوت الزوجية بلا طلاق وبدون عودة، وكان القانون يسمح للزوج مهما كانت أخلاقه أن

يتصرف في أموال زوجته، وأن يسيطر على ثروتها حتى ولو انفصلا، ويعطي له الحق في الهيمنة الكاملة على الأطفال، وفي إنجلترا عام ١٩٣٨م في حالة اختفاء الزوجة لسنوات طويلة فإذا تزوج الرجل بامرأة أخرى يصبح أطفاله من الزوجة الثانية غير شرعيين، ومن ١٩٣٨م ألغى القانون الزواج الأول حتى ولو ظهرت الزوجة الأولى، وقد استحدث القانون الإنجليزي محاولة الصلح بين الزوجين خارج المحكمة عملًا بما جاء في الإسلام حيث أمر الله:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٥].

وفي منتصف القرن العشرين تطور المجتمع الغربي؛ حتى يلحق بالقوانين الإسلامية السمحاء، وسنَّ قوانين جديدة للطلاق وهو الطلاق بدون فضائح تنشر على الملأ؛ فصدر القانون الإنجليزي ١٩٧١، والفرنسي ١٩٧٥، والإيطالي ١٩٧٣ بالسماح بالطلاق المدني، كما أجاز الاتحاد السوفيتي السابق ١٩٦٦ الطلاق عند فشل وسائل الصلح.

نقول بعد ذلك: هل المرأة في الإسلام مضطهدة، أم المرأة في المجتمع الغربي هي المضطهدة؟!

أول قانون للطلاق وحضانة الأولاد كان عام ١٩٧١ في الولايات المتحدة الأمريكية،كما لم يكن هناك أي قانون في الحضارة الغربية خاصة بالعدة؛ وهي الفترة التي تنقضي قبل: السماح للمطلقة، أو الأرملة بالزواج؛ للاطمئنان إلى عدم وجود أي حمل من الزوج المطلق، أو المتوفى؛ حتى لا ينسب إلى الآخرين، وقد بدأ قانون العدة في ألمانيا ١٨٧٩م، وفي فرنسا ١٩٠٧، وكانت مدة العدة عشرة أشهر بينما العدة في الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا كانت ثلاث دورات شهرية للمرأة المطلقة، وأربعة أشهر وعشرة أيام للأرملة؛ وهي الفترة اللازمة للتأكد من عدم وجود حمل، وقد ثبت ذلك علميًّا:

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

بل نجد أن القانون الإسلامي كان هاديًا للحضارات الأخرى غير الغربية بأخذ أسلوب الطلاق وحق الزوجة في الزواج من الغير بعد الطلاق؛ ففي الهند في الديانة الهندوكية يعتبر الهندوك أن الزواج علاقة مقدسة غير قابلة للانفصام لا في الحياة، ولا في المات، وحتى لو كان الزوج مجنونًا، أو عاجزًا جنسيًّا، أو حتى مخصيًّا، أو مجزومًا ولا يمكن للزوج أن يطلق، ولكن يستطيع أن يعدد زوجاته حسب قدراته المالية، والتي يموت زوجها وهي في شبابها لا يمكن أن تتزوج، وتظل طرفًا منبوذًا في أسرتها وفي المجتمع، أو تتجه إلى ممارسة الدعارة؛ حتى إن بعضهن كن يطلبن أن يدفن أو يحرقن أحياء مع أزواجهن، ولم ينتهِ هذا القانون إلا سنة ١٩٦٤ حين سمح بالطلاق، وقد سمح بالطلاق في الصين ١٩٦٤ أيضًا.

فهل كانت الزوجة المسلمة مظلومة، أم كانت نساء العالمين أجمع هن المظلومات المقهورات النجسات اللاتي ليس لهن أية حقوق في مجتمعاتهن حتى في الحياة العادية؟في العهد القديم في سفر اللاويين **الإصحاح** (١٥): إذا حاضت المرأة سبعة أيام تكون في طمثها، وكل من يلمسها يكون نجسًا إلى المساء، وكل ما تنام عليه في أثناء حيضها، أو تجلس عليه يكون نجسًا، وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه، ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء، وكل من يلمس شيئًا كان موجودًا على الفراش أو المتاع الذي تجلس عليه يكون نجسًا إلى المساء، وإن عاشرها رجل وأصابه شيء من طمثها يكون نجسًا سبعة أيام، وكل فراش ينام عليه يصبح نجسًا... ....، ولها سبعة أيام تطمث، وفي اليوم الثامن تجيء بيمامتين أو فرخي حمام إلى الكاهن إلى مدخل خيمة الاجتماع، فيقدم الكاهن أحدهما ذبيحة خطيئة، والآخر للمحرقة، ويكفي الكاهن عنها في حضرة الرب من نزف نجاستها، وبهذا تحفظ بني إسرائيل مما ينجسهم؛ لئلَّا يموتوا في نجاساتهم... بينما المرأة في الإسلام تعيش معيشة عادية تمامًا بدون مواقعة زوجها، وأن مكان الدم فقط هو النجس لمدة

سبعة أيام حتى تطهر:

﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فالحياة الزوجية في الإسلام تقوم على السكن، والمودة، والرحمة، والتعاون، والصبر، والتودد، وأداء كل واحد من الزوجين ما عليه من حقوق للآخر:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

حتى أن الرسول ﷺ قد نصح في العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته أن يراعي زوجته في حقوقها عند الجماع؛ حيث إنه -صلى الله عليه وسلم-: «نَهَى عَنِ الْمُوَاقَعَةِ قَبْلَ الْمُلَاعَبَةِ عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي الْجِمَاعِ» رواه الخطيب عن جابر.

«إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُم امْرَأَتَهُ فَلَا يَتَنَحَّى حَتَّى تَقْضِي حَاجَتَهَا كَمَا يُحِبُّ أَنْ يَقْضِي حَاجَتَهُ» رواه ابن عدي عن طلحة.

وقد جعل العلاقة بين الزوج وزوجته خاصة جدًّا؛ حيث يقول الرسول ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» رواه مسلم.

وقد بيَّن الإسلام وضع الزوجة في الأسرة في حديث عن رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه؛ فالإمامُ راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيتِه والرجلُ راعٍ في أهلِ بيتِه وهو مسئولٌ عن رعيتِه والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها وهي مسئولةٌ عن رعيتِها والخادمُ راعٍ في مالِ سيدِه وهو مسئولٌ عن رعيتِه والابنُ راعٍ في مالِ أبيه وهو مسئولٌ عن رعيتِه فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه» متفق عليه عن ابن عمر.

كما بيَّن الرسول ﷺ وضع المرأة في الأسرة، ومكانتها في العديد من الأحاديث المشرفة؛ حيث كانت قبل الإسلام مكروهة موءودة موروثة مكروهة على البغاء ليس لها أية حقوق في أسرتها أو غيرها، سواء كانت زوجة أو أم أو أخت حيث قال رسول الله ﷺ:

«لا تكرهوا البناتِ فإنَّهنَّ المؤنساتُ الغالياتُ» رواه عقبة بن عامر.

«إنَّ اللهَ حرَّمَ عليكم عقوقَ الأمهاتِ، ووأدَ البناتِ، (ومنعًا وهات)، وكرهَ لكم قيل وقال وكثرةَ السؤالِ وإضاعةَ المالِ» رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة.

«ساووا بين أولادِكم في العطيَّةِ فلو كنتُ مفضلًا أحدًا لفضلتُ النساءَ» رواه الطبراني.

«خيرُكم خيرُكم لأهله وأنا خيرُكم لأهلي، ما أكرمَ النساءَ إلا كريمٌ وما أهانَهنَّ إلا لئيمٌ» رواه ابن عساكر عن علي.

«ليسَ أحدٌ مِنْ أمتي يعولُ ثلاثَ بناتٍ أو ثلاثَ أخواتٍ فيحسنُ إليهنَّ إلَّا كُنَّ له سترًا من النارِ» رواه البيهقي عن عائشة.

«السَّاعي على الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ أو القائمِ الليلَ الصائمِ بالنهارِ» رواه الشيخان عن أبي هريرة.

«الجنةُ تحتَ أقدامِ الأمهاتِ» رواه أحمد.

«أعظمُ الناسِ حقًّا على المرأةِ زوجُها وأعظمُ الناسِ حقًّا على الرجلِ أمُّه» رواه الحاكم عن عائشة.

«أعظمُ النساءِ بركةً أيسرُهنَّ مؤونةً» رواه أحمد عن عائشة.

وبيَّن لنا -سبحانه وتعالى- الصبر على ذلك؛ حيث قال:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

ويقول الرسول في ذلك أيضًا: «**لا (يفرك) مؤمنٌ مؤمنةً إن كرهَ منها خُلُقًا رضيَ منها الآخرَ**».

إلا أن البغض يزداد وتتضاعف المشاكل والشقاق فيصعب التوفيق بينهما، وتذهب المودة والرحمة وأداء الحقوق الزوجية، وتصبح الحياة مستحيلة حينئذ يوجب الطلاق وهو العلاج الوحيد، والطلاق رخصة مقننة لا يُلجأ إليها إلا في الضرورة القصوى ليس للكره فقط، ولكن لاستحالة المعيشة بينهما؛ حيث لا يقبل الطرفُ الطرفَ الآخر، ويقول الرسول ﷺ في الطلاق أنه أبغض الحلال عند الله، ويهتز له عرش الرحمن: «**تزوَّجوا ولا تطلقوا فإنَّ الطلاقَ يهتزُّ له عرشُ الرحمنِ**» رواه ابن عدي، «**أبغضُ الحلالِ عندَ الله الطلاقُ**» رواه أبو داود في سننه.

وقد حدد الإسلام حق المرأة في جميع حالات الطلاق، ولم يترك الإسلام صغيرة أو كبيرة إلَّا بها آية من الله وحديث من رسوله ﷺ وكذلك حفظ حقوقها المادية وحقوق أطفالها فيقول الله –سبحانه وتعالى:

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا

طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥-٢٣١].

أما حق الأولاد عند الطلاق:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

أما إذا كرهت المرأة الرجل، ورفض زوجها أن يطلقها، وهجرها في المضجع وأساء معاملتها، أو أنها كرهته كرهًا شديدًا؛ لبخله، أو دمامته، أو لأي سبب آخر فقد سمح لها الإسلام أن تطلق هي زوجها، ويُسمَّى ذلك بالخُلع وقال ابن رشد: إنه لما جعل الطلاق بيد الرجل إذا كره المرأة، جعل الخلع بيد المرأة إذا كرهت الرجل، وقد حذر الرسول ﷺ المرأة من طلب الطلاق، ومن المسارعة في الخلع؛ حيث تُهدم الحياة الزوجية.

والخلع في الشرع: فراق الزوجة على مال، وهو مأخوذ من خلع الثوب إذا أزاله؛ لأن المرأة لباس الرجل والرجل لباس لها: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويسمى الخُلْع: فراق الرجل زوجته ببدل يحصل عليه، وقد ذكر الخُلْع في القرآن في الآية الكريمة:

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وعندما حفظ الإسلام حق المرأة في حالة طلاق الرجل لها حفظ الإسلام أيضًا حق الرجل في حالة خلع المرأة لزوجها فقد روى البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق، ولكن لا أطيقه فقال رسول الله ﷺ: «فتردين عليه حديقتَه؟» فقالت: نعم؛ فردت عليه، وأمره بفراقها.

وفي أحاديث كثيرة أن الزوجة كانت جميلة جدًّا، وكان زوجها دميمًا، وكان هذا أول خُلع في الإسلام، ورجوع الحديقة كفدية عدل؛ حيث كان مهرها وهي التي طلبت الطلاق فمن حقه أخذ ما صرفه.

كما يحرم في الإسلام على الرجل أن يؤذي زوجته، حتى يضطرها للخلع تخلصًا من الضرر عند طلاقه لها؛ لأنه سيأخذ حقًّا ليس له، ويقول الله -سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۞ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ١٩-٢١].

كما يجب على المسلم أن لا يأخذ كل حقه عند الخُلْع، بل ينبغي له أن يترك لها شيئًا ما نظير حياته معها.

كما وصى المرأة إن كان زوجها سيئًا في خلقه، أو لا يؤدي حقها إليها، وإن خافت الفتنة، وألا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة، وحسن

المعاشرة فلها الخلع وإن لم يكن زوجها كذلك فهو محذور في الإسلام؛ لما رواه النسائي وأحمد في حديثٍ عن أبي هريرة: (المختلعات هن منافقات)، وقد رأى الفقهاء الكراهة كما ذهب جمهور الفقهاء، ومنهم الأئمة الأربعة أن الرجل إذا خالع امرأته وملكت نفسها، وكان الأمر بيدها يجوز أن ترجع على زوجها مرة أخرى برضاها وفي عدتها.

لاحظ مما سبق أن: معظم الآيات السابقة تنتهي بأن الله سميع عليم، وهو بكل شيء عليم، وبما تعملون بصير ويذكر للمعتدين من الرجال والنساء بأنهم ظالمون، فأولئك هم الظالمون، وأنهم آثمون، وأن الذين يعفون ويتراحمون بينهم فأولئك هم المحسنون، وأن العلاقة بين الرجل وزوجته سكن ورحمة ومودة، وأن الله قد أخذ عليكم ميثاقًا غليظًا، كما أن الطلاق للرجل والخُلْع للمرأة فيه كراهة، وفي الإسلام حقوق كاملة للمرأة منذ أربعة عشر قرنًا وإلى قيام الساعة لا ظلم لها، لها حق أن تزوج نفسها، وأن تطلق نفسها مثلها مثل الرجل، فهل عند أيٍّ من المجتمعات هذه الحقوق منذ أربعة عشر قرنًا؟ ثم تتطاولون على الإسلام وتقولون: إن الإسلام ظلم المرأة.

٢- وضع المرأة الاقتصادي

لم يكن للمرأة في المجتمع الغربي، وفي الدين اليهودي، أو الدين المسيحي أية ذمة مالية، ولم يتم فصل الذمة المالية للزوجة عن زوجها إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، ولم تكن تحتفظ باسمها فكانت تُسمَّى باسم زوجها، وكان احتفاظ الزوجة باسم الزوج بعد الانفصال مشكلة كبيرة، وقد تطور وضع المرأة في العالم الغربي بعد معاناة طويلة، فأمكن بالحركات النسائية في فرنسا مثلًا أن يكون لها حساب في البنك، وأن تدير محلًّا بدون موافقة الزوج إلا سنة ١٩٦٥.

وفي إنجلترا كان القانون يعطي الزوج الحق في السيطرة الكاملة على ممتلكات زوجته وإيراداتها الحالية والمستقبلية حتى بعد الانفصال، ولم يعدَّل هذا القانون حتى عام ١٩٣٥ عندما أعطى القانون الزوجة الحق في أن تقتني وتبيع أية أملاك لها.

بينما نجد الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا؛ حيث كانت المرأة قبل الإسلام تُورَّث مع الأمتعة والحيوانات، وكانت تباع وليس لها أية حقوق، نجد الإسلام قد سما بالمرأة: وليدة، وناشئة، وزوجة، وأمًّا، وجعل لها أهلية كاملة؛ فهي تبيع وتشتري، وتعقد العقود، وتتملك المال، والعقار، والأرض، والبساتين، والماشية، والتجارة، وتملك الرأي والقرار في الزواج والخُلْع، وتشارك في الحياة الاجتماعية في المسجد، والتمريض، والتعليم، وفي الجهاد، مشاركة الرجال في جميع الأنشطة متقيدة بأخلاق الإسلام الرفيعة التي تصونها ولا تعطلها.

وفي صدر الإسلام الأول تحملت التعذيب من كفار قريش، وتحملت عبء الهجرة إلى الحبشة، أو إلى المدينة، وكانت عونًا للمسلمين في جميع المجالات فمن كان يمد الرسول ﷺ بالغذاء والماء وتضليل الكافرين من قريش في الهجرة؟! السيدة أسماء بنت أبي بكر، كما أنها بايعت الرسول، كما كان لها باع كبير في انتشار الإسلام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ووقفت المرأة مع الرجل تحمل تبعات الحياة، وقد كرمها الله في كتابه حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

لا فرق بين رجل وامرأة؛ فالكل سواء حيث قال الرسول ﷺ: «إنَّما النساءُ شقائقُ الرجالِ» رواه أبو داود، كما قال رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ

عن رعيتِه؛ فالإمامُ راعٍ في رعيتِه وهو مسئولٌ عن رعيته والرجلُ في بيتِه راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيتِه والمرأةُ في بيتِ زوجِها راعِية وهي مسئولةٌ عن رعيتِها، والخادمُ في مالِ سيدِه راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيتِه وكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه».

القوامة ليست حكرًا للرجل

ولكي تسير الأمور في الأسرة؛ فكان لكل أسرة من يدير شئونها، وكانت إدارة الأسرة من شئون الرجل حيث قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

والمرأة لها حقوق وعليها واجبات، والرجل له حقوق، وعليه واجبات، والقوامة من خصائص الرجال: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

وقد صان الإسلام المرأة؛ فقد كرم الله الرجل والمرأة على السواء بيد أن فئة من الناس تظن أن الإسلام قد هضم حق المرأة، ونظر إليها نظرة جائرة، وسنناقش هذا الموضوع من منطلق الدين الحنيف، وليس من بعض مظاهر سلوك المسلمين:

أ- رأي الجامدين المتحجرين المقلدين الذين يتبعون الأخلاق القبليّة، وليس من الإسلام في شيء مخالفين روح الدين وتعاليمه؛ حيث يرون أن وجه المرأة عورة، وصوتها عورة، وخروجها من بيتها إثم، ومشاركتها في الحياة الاجتماعية، والتعليمية، أو السياسية غير جائز نقول لهم: إن الأئمة الأربعة، وهدي القرآن، والسنة الصحيحة يفيد:

أن وجه المرأة ليس بعورة، وأن صوتها كان يُسمع للنبي ﷺ وصحابته، وأن امرأة من آخر المسجد صوَّبت لخليفة رسول الله عمر رأيه، وأن السيدة عائشة – رضي الله عنها– كانت لها خطبة في معركة الجمل، وأن السيدة نفيسة كان لها مجلس علم حافل بالرجال والنساء، وقد حضر مجلسها الإمام الشافعي، وقد بيَّن الإسلام

أن جميع جسم المرأة عورة ما عدا الوجه والكفين، وأن الإسلام سمح لها بالمشاركة بالصلاة في المسجد، وحضور الجماعات، والجُمَع، والأعياد، وكل مجالس الخير، بل يسمح لها بالاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وسمح لها بأعمال التفتيش على السوق، وإدارة العمل، والتجارة، والنشاط المهني، ولم يحرِّم دخول الرجال على النساء، والنساء على الرجال بشرط الالتزام بالآداب الإسلامية بغَضِّ البصر، والعفاف، والتعاون على البر والتقوى.

ثم تأتي أحاديث موضوعة انتشرت بين الناس، وحرمت المرأة المسلمة من صلاة الجماعة، ومن المشاركة في الأنشطة الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، ويستشهد في ذلك بحديث أن النبي ﷺ قال لفاطمة ابنته: «أيُّ شيءٍ خيرٌ للمرأةِ يا فاطمةُ؟» قالت: ألَّا ترى رجلًا ولا يراها رجل، فقبَّلها بين عينيها، وقال: «نعمْ أنتِ ذريةٌ بعضُها منْ بعضٍ».

وهذا حديث غير صحيح، وذكر العلماء أنه لا يساوي المداد الذي كُتب به وهو يتعارض -في نفس الوقت- مع روح الإسلام وهديه في العصور الإسلامية الأولى؛ حيث كانت المرأة تصلي في المسجد، وتشارك في الأنشطة الدينية، والثقافية، والسياسية، والاجتماعية، ولاحظ: (ألَّا ترى رجلًا) أليس زوجها رجلًا، وأخوها رجلًا، وأبوها رجلًا... وهو من زيف متن الحديث؟

ب- والفريق الآخر: يرى أن تلبس المرأة المسلمة زي الغرب، وتقتدي بالغرب في سلوكها وعاداتها، وتتسلح بدينها، على رغم أن ما فعله الغرب كان منافيًا أيضًا للشريعة اليهودية والمسيحية، ففي العهد القديم في سفر التثنية **الإصحاح (٢٢)**:

يحظر على المرأة ارتداء ثياب الرجال، كما يحظر على الرجل ارتداء ثياب النساء؛ لأن كل من يفعل ذلك يصبح مكروهًا لدى الرب إلهكم.

أشيعا (٣): يقول الرب: لأن بنات صهيون متغطرسات، يمشين بأعناق

مشرئبة متغزلات، بعيونهن متمخطرات في سيرهن، مجلجلات بخلاخيل أقدامهن سيصيبهن الرب بالصلع، ويعرى عوارتهن.

وبعض الناس يستشهد بآيات من المتشابهات، ويترك الآيات المحكمات؛ فالقرآن يفيد أن حبس المرأة في البيت عقوبة لا تطبق إلا على من ارتكبت الفاحشة؛ حيث يقول الله:

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥].

ومنهم من يستند في حبس المرأة في المنزل على قول الله: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أي: اقررن في بيوتكن وهي آية خاطب الله بها زوجات الرسول ﷺ حيث قال الله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣].

وهي خاصة بزوجات الرسول ﷺ؛ صونًا لمقامهن، حتى زوجات الرسول ﷺ قد سمح لهن بالخروج لقضاء حوائجهن، فقد ورد في الصحيح أن سودة بنت زمعة كانت بدينة لا تخفى على من يعرفها حتى بعد نزول الحجاب، قالت سودة: فخرجت لبعض شأني فقال لي عمر بن الخطاب: والله ما تخفين علينا يا سودة، فانظري كيف تخرجين؟ فعادت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فنزل الوحي عليه فقال: «**إنَّ اللهَ قَدْ أذنَ لكنَّ بالخروجَ لحوائجِكُنَّ**».

الإسلام يهجر التَّزمُّت والتشدد، ويهجر الإباحية والإلحاد؛ فالإسلام دين وسط، وأمتنا أمة وسط تتمسك بهدي الله وآياته وشريعته، شريعة الله نور كلها

وسماحة كلها، وكل أمر خرج من اليسر إلى العسر، ومن السماحة إلى التشدد فليس من الإسلام في شيء كما يقول العلماء ويقول الله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي الحديث الشريف: «**يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفِّروا**».

وفي القوامة أيضًا ذكر الإمام محمد عبده أن القوامة تفرض على النساء شيئًا، وعلى الرجال أشياء بمعنى تحمل المرأة جانبًا كبيرًا من المسئولية خاصة عند تقاعس الرجل لأي سبب من الأسباب، حينها تنهض المرأة بمسئوليتها تجاه زوجها وبيتها.

المرأة المعيلة: وهي التي تعول الأسرة في حالة مرض الزوج، وعدم القدرة على الخروج أليست في هذه الحالة القوامة لها، وعند موت الزوج وتربية أولادها وعند بلوغهم سن الرشد وهي التي تنفق عليهم أليست لها القوَّامة على الرجال أيضًا من أولادها؟

وأحب أن أبيِّن هنا الفرق بين الذكر والرجل؛ فقليل من الذكور رجال، ليس الرجل من ربَّى شاربًا وترك لحية.... الرجل تصرف وسلوك، وشهامة ومروءة، وقد تتصف بها امرأة، وتصبح رجلًا حتى يقال في العامة: إنها بمائة رجل.

وبالتالي تصبح القوامة للذكر عندما يكون رجلًا في سلوكه وخلافه، ففي القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤] ولم يقل: الذكور قوامون على الإناث، ولم يقل كل الذكور، ولم يقل كل الإناث، ولم يمنع الإسلام المرأة أن تكون مديرة زوجها في العمل؛ لأن القوامة في شئون الأسرة فقط، وليست القوامة هنا مفهومًا شاملًا لكل نواحي الحياة، ولا تعني أيضًا تدخل الرجل في حياة المرأة الخاصة في إدارة مالها ... إلخ.

٣- الإرث

قالوا: إن الإسلام قد ظلم المرأة؛ حيث جعل نصيب الولد ضعف نصيب البنت في الميراث وهي قولة بها جهل بالمواريث في الإسلام، وكما ناقشنا في السابق نقول: ماذا تقول مواريثهم؟

كانت أوربا بصفة عامة تأخذ توريث الابن الأكبر الذكر فقط، كما أنه كان للمورث أن يوصى بترك تركته كيفما يشاء حتى لو أدى ذلك إلى إفقار أهله، وكان الذكر غير الشقيق مفضلًا على ابنة صاحب التركة، وليس هنا المجال في تتبع المراحل التي مر بها نظام المواريث الغربي حتى وصل إلى حق الزوجات والأطفال الشرعيين وغير الشرعيين، والأقارب كل ذلك بعد وصية إن وجدت أو دين حتى سنة ١٩٩٢؛ حيث وصلت أخيرًا قوانين الميراث في أوربا إلى نظام المواريث الإسلامي، وذكر في مؤتمر هامبورج للمواريث الذي عقد ١٩٨٥ أظهر المأزق الذي يقف فيه الأب تشريعيًّا في الموازنة بين حقوق أفراد الأسرة وبين التقاليد في نظام المواريث الغربي.

وقد أخذت إسبانيا في تحديد الوصية بما جاء في الإسلام؛ حيث حددت الوصية بالثلث، ويدخل في هذا الثلث الهدايا، وفي فرنسا تحدد الوصية بالثلث إذا كان عدد الأطفال اثنين، والربع إذا كان هناك ثلاثة أو أكثر، حتى الولايات المتحدة حيث كان الموصي يتمتع فيها بحرية كبيرة، أصبح القانون يحفظ حقوق العائلة وحُددت النسب التي يمكن أن يُوصى بها للجمعيات الخيرية.

وفي الصين عند وفاة الأب عن زوجة وبنات تذهب ثروته إلى إخوته الذكور وأبنائهم حتى عام ١٩٣١، حيث سُمح للزوجة والبنات أن يرثن بنظام قريب للنظام الإسلامي.

وقبل أن نشرح المواريث في النظام الإسلامي؛ لنبيِّن عدم ظلم المرأة في الإسلام، كما يدَّعون وهي التي أخذت حقها في الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا قبل

المرأة الأوربية، أو في الغرب، أو حتى في الشرق؛ فللذكر مثل حظ الأنثيين في أربع حالات فقط، وثلاثون حالة ترث فيها الأنثى مثل الذكر أو أكثر، ويتغاضون عن الثلاثين حالة، ويقولون: الإسلام ظلم المرأة.

وقبل أن نتكلم عن الإرث يجب أن نوضح صلة الرحم في الإسلام، والرحم: هو مكان الطفل في جسم أمه، والرحم من الرحمة، واشتق اسم الرحم من اسم الله الرحمن الرحيم، وتوجد الآيات الكثيرة التي توصي الرجل بأن يصل رحمه، والرحم في الإسلام: أمه، وأخته، وخالاته، وعماته، ... إلخ.

ولصلة الرحم وجوه عديدة: بالمال عندما يحتاجون إليه، يتفقَّد أحوالهم، وقضاء مصالحهم عند عدم حاجتهم إلى المال، والإسلام يطلب من المسلم أن يصل جميع رحمه سواء أحسنوا إليه أم أساءوا، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «ليسَ الواصلُ بالمكافئ، ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قُطعت رحمُه وصلَها» رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي.

ومن ثمرات صلة الرحم

أ- بسط الرزق مع بركة الله في رزقه.
ب- هي زيادة العمر وهي البركة في العمر، وهي قيام المسلم بأعمال خيرية كثيرة تزيد من حسناته وبركات في الصحة والرزق والعمل والأولاد.

ثم نصل إلى الميراث في الإسلام والذي يُهاجم بضراوة الآن من دعاة التغريب والعلمانية، وينادون بتغيير نص قرآني في الجرائد الرسمية، وحول ادعاء أن الإسلام ينتقص من حقوق المرأة في الميراث؛ حيث جعل نصيبها في الميراث نصف نصيب الرجل، وهذا ليس صحيحًا، وليس موقفًا عامًّا في الإسلام لكل الذكور، ولكل الإناث؛ حيث لم يذكر في الآية أنه يوصيكم في الوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين، ولكن الله سبحانه قال: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النساء: ١١] أي: التميز في هذه الحالات الخاصة ومحددة، وهذا التميز ليس تميز رجل على

امرأة شكًّا في كمال المرأة، وفلسفة التفاوت بين أنصبة الوارثين، وتوضح في التالي:

أولًا: درجة القرابة بين الوارث ذكرًا كان أو أنثى وبين المورِّث المتوفَّى، وكلما اقتربت الصلة زاد النصيب في الميراث، وكلما بعدت قل النصيب في الميراث دون اعتبار لجنس الوارثين ذكورًا، أو إناثًا.

ثانيًا: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال؛ فالأجيال التي تستقبل الحياة عادة يكون نصيبها في الميراث أكبر من نصيب الأجيال التي تستدبرها، وذلك بصرف النظر عن النوع ذكرًا أو أنثى؛ فإخوة المتوفَّى ذكورًا كانوا أو إناثًا تأخذ أنصبة أكثر من الوالدين أمًّا أو أبًا.

ثالثًا: العبء المالي الذي أقره الإسلام على الوارث أن يتحمله، والقيام به حيال الآخرين هو المعيار الوحيد الذي يتم فيه التفاوت بين الذكر والأنثى، ولكن تفاوت لا يظلم فيه الأنثى، بل العكس هو الصحيح يجعل نصيب الأنثى إن لم يكن مساويًا، بل يفوق الذكر؛ حيث إن الذكر مكلف بزواج نفسه، ودفع المهر، وتجهيز احتياجات المنزل، بإعالة أنثى -هي زوجته- مع أولادهما، مع إعالة الفقراء من ذوي الأرحام، بينما الأنثى أخت الذكر تأخذ المهر لنفسها شخصيًّا، وليس عليها أية متطلبات نحو الآخرين، وعلى الذكر الذي أخذ ضعفها في ميراث الأب إعالتها مع أولادها فريضة على الرجل حتى لو كانت تملك المال والعقارات المقترن بها؛ فميراثها لها وحدها مع إعفائها من الإنفاق الواجب على الرجل.

لها ذمة مالية خالصة ومدخرة لضعفها الأنثوي، ولتأمين حياتها ضد المخاطر والتقلبات، فهي غير مطالبة حتى بالاشتراك في مصاريف البيت إلا بما تقرره هي، وليس إجبارًا، ومن حقها إن أرادت أن تأخذ مالًا حتى ترضع ابنها فمن حقها أن تأخذه من زوجها، ذمة منفصلة لها وحدها.

وبدراسة أحوال المواريث في الإسلام نجد الآتي

١ - هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.

٢- هناك أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تمامًا.
٣- هناك عشر حالات تقريبًا ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.
٤- هناك حالات ترث المرأة فقط، ولا يرث نظيرها من الرجال.

أي: هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه في مقابل أربع حالات فقط ترث المرأة نصف الرجل؛ فلم يقف الإسلام عند فلسفة الميراث أن للذكر ضعف ما للأنثى مطلقًا.

والذين يتهمون الإسلام بهذه الفرية مثل الذي يقرأ الآية: (لا تقربوا الصلاة) ويقف ولا يكمل الآية وهي: (وأنتم سكارى) يقف المتشككون عند: (للرجل مثل حظ الأنثيين) ولا يكمل باقي الآية؛ حيث نجد الرجل مثل المرأة؛ فالأب، والأم سواء لكل واحد منهما السدس:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١].

ففي الآية السابقة نجد الأنثى أخذت ثلثي التركة، وأمها أنثى أيضًا أخذت السدس بينما الأب أخذ السدس فقط، فأين ظلم المرأة؟! وللأم وهي الأنثى نصيب في التركة يتراوح بين الثلث والسدس:

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ

وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٢-١٤].

نجد في الآية السابقة تحديد حدود الأم في أنصبة أولادها وزوجها، وكذلك ساوى بين الأخ والأخت؛ فلكل واحد منهما السدس، فهل يوجد فرق بين الرجل والمرأة كما يدَّعون؟!

ثم بيَّن الله -سبحانه وتعالى- أن هذه المواريث هي حدود الله، ومن يطع ما جاء في هذه المواريث من أحكام يدخله جنات النعيم، أما من يتعدَّ هذه الحدود ويميل عنها، أو لا يطبقها فيكون من أصحاب نار الجحيم، فأي نعمة أنعم الإسلام على المرأة منذ أربعة عشر قرنًا؟!

أكد استقراء المواريث من النصوص القرآنية أن الحالات التي ترث فيها المرأة أكثر من الرجل حيث يقوم نظام المواريث على قسمين:

القسم الأول: الميراث بالفرض وهو الوارد في القرآن والسنة، ومعناه: أن يأخذ صاحب الفرض ما حدده النص من الثلثين، أو الثلث، أو السدس، أو الربع، أو الثمن.

القسم الثاني: الميراث بالتعصيب: هو أن يرث ما بقي بعد أصحاب الفروض؛ فهم الوارثون بغير تقدير وهم العصبة بالنفس مثل: الابن، وابن الابن وإن نزل، والأب والجد وإن علا وغيرهم، وهناك أيضًا عصبة الغير؛ وهي الأخت الشقيقة، أو الأب، أو البنت، أو بنت الابن مؤكدًا أن النساء يرثن أكثر بالفرض، وأن إرثهن بالفرض أحظى لهن من ميراثهن بالتعصيب في حالات كثيرة؛ فترث النساء في ١٧ حالة بالفرض، بينما يرث الرجال في ٦ حالات بالفرض فقط، وهذا التحديد مفيد للمرأة حقًا.

وتوضح أيضًا الدراسات أن أكبر نصيب في المواريث هو الثلثان كما هو مفروض في القرآن، ولا يحظى به واحد من الرجال بل هو للنساء فقط، كما أن النصف وهو التالي من حيث كبر الوراثة لا يأخذه من الرجال إلا الزوج عند عدم وجود فرع وارث وهو قليل الوقوع، ويبقى النصف لأربع من النساء فقط.

أما الثلث فيأخذه اثنان من النساء هما الأم عند وجود فرع وارث، أو عدم وجود أخوين فأكثر، وتأخذ الأخوات لأم إذا لم يوجد أصل ولا فرع وارث.

فهل بعد هذا يقال: ظلم الإسلام المرأة في الميراث؟ وما يظلم ربك أحدًا.

٤- شهادة المرأة

نفس الأسلوب في الهجوم على تعاليم الإسلام، وأن الإسلام يهين المرأة؛ حيث جعل شهادة امرأتين توازي رجلًا واحدًا، ولم يكملوا الآيات الأخرى في القرآن، ولماذا في هذه الحالة فقط فنجد في القرآن:

﴿ وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٥]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٤-٩].

هنا لم يطلب الإسلام إلا شهادة أربعة شهود، ولم يفرق بين الرجال والنساء؛ فقد يكون أربعة شهود كلهم رجال، أو أربع شهود كلهم نساء، أو تباديل وتوافيق بينهم وفي حالة اللعان تساوى الرجل مع المرأة في الشهادة.

أما الاختلاف فقد جاء في آية واحدة وهي في حالة الدَّيْن والتجارة مع كثرة المعاملات مع مرور فترات زمنية قد تكون طويلة وقد أمرنا الله -سبحانه وتعالى- أن نكتب كل شيء حتى ولو كان صغيرًا:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فقد بيَّن الله -سبحانه وتعالى- لماذا امرأتان؛ وذلك لطول مدة الدَّيْن، وكما هو معروف أن النساء يتعرضن للحيض وهو أمر من الله وهو الذي يعلم بحالة المرأة عند المحيض، حيث تكون المرأة في حالة نفسية وجسمانية غير متوازنة، مع تغلب العاطفة عليها في حالة وجود أطفال مثلًا، أو نسب أو خلافه؛ فتشهد في مصلحة من تحب، أو الزوج، أو الأطفال؛ ولذلك إذا نست إحداهما تذكرها الأخرى، أما في حالة الأحداث الفورية فلم يذكر أن هناك فرقًا بين الشهداء إن كانوا رجالًا أو نساءً، وذلك في علمية الزنا، أو في حالة اللعان بين الرجل وامرأته.

ولنا في قصة أم سيدنا يعقوب في العهد القديم مثالٌ وذلك أنها احتالت على زوجها سيدنا إسحاق؛ لأجل مباركة ابنها يعقوب بدلًا من ابنها البكر عيسو؛ حيث كانت تحب يعقوب أكثر من عيسو، سفر التكوين **الإصحاح (٢٧)** مؤامرة رفقة:

(... فأعدَّت أمه رفقة الأطعمة الطيبة كما يحبها أبوه، وتناولت ثياب بكرها عيسو الفاخرة، وألبست يعقوب ابنها الأصغر... فأقبل على أبيه، وقال من أنت؟

فقال يعقوب: أنا عيسو ...).

أوضح الفقهاء أنه من القضايا التي تقبل شهادة المرأة وحدها نصاب الرضاعة، والوضع، والبكارة، وعيوب النساء، كما أن المرأة قبلت روايتها في الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ وتعد الرواية مثل الشهادة، ونقلها للحديث عن رسول الله مثل الرجل فكيف تقبل الشهادة من المرأة على رسول الله ﷺ ولا تقبل على آحاد الناس!!!

يقولون: النساء ناقصات عقل ودين

وحتى نصل إلى ما يراد بهذه الجملة فيجب علينا أولًا: دراسة نص الحديث، والمناسبة التي قيلت فيه، والسبب الذي قيل من أجله.

ونص الحديث: ورد عن البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- حيث قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر- إلى المصلَّى فمر على النساء فقال: «يا معشرَ النساءِ، ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ للبِّ الرجلِ الحازمِ من إحداكُن» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليسَ شهادةُ المرأةِ نصفَ شهادةِ الرجلِ؟» قلن: بلى. قال: «فذلك نقصانُ عقلِها، أليسَ إذا حاضتْ لم تصلِّ ولم تصمْ؟» قلن: بلى يا رسول الله. قال: «ذلك نقصانُ دينِها».

فإذا تأملنا المناسبة: نجد أنه يوم عيد الفطر أو الأضحى، النساء في مصلاهن فلا يعقل أن يذهب رسول الله ﷺ إليهن في هذه المناسبة؛ ليوجه عبارات ذم وقدح، أو حط من الكرامة، أو امتهان لهن، بل هو في سياق الملاطفة العامة للنساء من خلال الموعظة الحسنة، ثم إن المخاطبات أغلبهن من نساء الأنصار، وفيهن قال سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه: لما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم... فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار.

هذا يؤكد قوله ﷺ: «ما رأيتُ أذهبَ للبِّ الرجلِ الحازمِ من إحداكن»

فالخطاب هنا ليس لكل النساء، بل لهؤلاء المخاطبات، ومن سلك سلوكهن من اللاتي يأخذن بلُبِّ الرجال حتى الحازم منهم حتى يأخذن منه ما يردن، فأمر الرسول أن تتقي الواحدة منهن الله ولا تستعمل هذه القدرة العجيبة التي جعلها الله فيها إلا في الخير وعمل المعروف.

والصيغة هنا أقرب للتعجب منها من إلى الامتهان وتقليل الشأن من ظاهرة رآها في مجتمع المدينة، ونشير أيضًا إلى حكمة الله -سبحانه وتعالى- كيف وضع هذه القوة عند الضعفاء من النساء، وأخرج الضعف من مكامن القوة عند الرجال، وأين الرجال الحازمون الصارمون الأشداء؟!

كما أن جملة: «ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ» لم تأتِ مطلقة مستقلة كصيغة تقديرية عامة شاملة لكل امرأة، وكل زمان ومكان وبيئة بانتزاع الجملة من سياقها، ومن حدثها، ومن كلمة إحداكن وليس كلهن، سواء ممن يريدون انتقاص أهلية المرأة، أو ممن يريدون تشويه صورتها، ونؤكد أن النقصان هو نقصٌ نوعيٌّ فطريٌّ عارض يزول بزوال العارض، وهذا لا يخدش عقلية المرأة، ولا ينقص من قدرتها على تحمل مسئوليتها الإنسانية، والمدنية، والأسرية، والعلمية، وحتى الجنائية.

كل ما هنالك في الحديث إشارة إلى ضعف المرأة فخفف الله -سبحانه وتعالى- عن المرأة إكرامًا لها، ومراعاةً للظروف التي تمر بها دون الرجال؛ لنقصان مؤقت وليس دائمًا أبديًّا.

ونود أن نذكر في هذا الصدد أن الرسول ﷺ أخذ برأي أم المؤمنين سيدتنا أم سلمة -رضي الله عنها- في أعقد الأمور التي قابلت الرسول ﷺ عند صلح الحديبية.

عندما ذهب الرسول في نفر من أصحابه للعمرة، وعندما نزل في منطقة الحديبية أرسل الرسول ﷺ سيدنا عثمان بن عفان لإبلاغ المشركين في مكة أن المسلمين جاءوا للعمرة، وليس للقتال، وحبس سيدنا عثمان بن عفان، جاء الخبر

للرسول ﷺ أن عثمان قتل فطلب البيعة وقد بايعه المسلمون للقتال حتى الموت وسُمِّيت هذه البيعة بيعة الرضوان، وجاء نفر من قريش للإغارة على المسلمين، وتم أسرهم وقد حدث تبادل بين سيدنا عثمان بن عفان بالأسرى من كفار قريش، وتم صلح الحديبية وفيه رأى المنافقون من المسلمين أنهم لم يعتمروا ورجعوا بدون عمرة فشككوا في نبوة الرسول، كما دخل نفوس بعض صغار المسلمين شيء من الريبة، كما رفض كبار الصحابة أن يتحللوا من الإحرام، وكان الأمر شاقًا على الرسول ﷺ وهنا أشارت سيدتنا أم سلمة للرسول ﷺ أن يذبح الهدي، ويتحلل ويخرج إلى أصحابه فسوف يتبعونه، واستجاب رسول ﷺ لمشورتها، وتم فعلا ما أشارت به وتحلل الصحابة ورجعوا إلى المدينة بدون عمرة، وقد نزلت على الرسول ﷺ سورة الفتح التي أنبأت رسول الله بصحة رؤيته:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح:١ - ٢].

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

٥- عدم ولاية المرأة للمسلمين

نكرر مرة أخرى في هذا السياق أن أحاديث رسول الله ﷺ -وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى- يجب أن توضع في سياقها، وأسباب نزولها، أو أسباب قوله ﷺ لها ولمن قيلت....

فنص الحديث الشريف كما رواه البخاري والترمذي والنسائي والإمام أحمد:

«لن يفلحَ قومٌ تملكُهم امرأةٌ»، و«لن يفلحَ قومٌ ولَّوا أمرَهم امرأةً»، و«لن يفلحَ قومٌ أسندوا أمرَهم إلى امرأةٍ».

وهي أحاديث صحيحة، ولكن إغفال مناسبة ورود هذا الحديث الشريف

يجعل معناه الحقيقي مخالفًا للاستدلال به على تحريم ولاية المرأة للعمل العام، أو حجب الولاية عنها، وقد اقتُطع الحديث من مناسبته وهي: أن نفرًا من بلاد فارس قدموا إلى المدينة المنورة، فسألهم رسول الله ﷺ: «مَنْ يلي أمرَ فارسٍ؟» قال أحدهم: امرأة، قال ﷺ: «ما أفلحَ قومٌ ولوا أمرَهم امرأةً» ويُرى أن ملابسات هذا الحديث تجعله نبوءة، أو إعلام بالغيب بزوال ملك فارس وهو ما تحقق بعد سنوات، فهو حديث عبارة عن نبوءة أكثر منه تشريعًا عامًّا يحرم ولاية المرأة للعمل السياسي العام، فالحدث هنا هو الحديث عن امرأة تولت عرش فارس والتي كانت تمثل إحدى القوى العظمى في عصرها.

ولا يوجد خلاف بين جمهور الفقهاء –باستثناء الخوارج– على اشتراط الذكورة فيمن يلي الإمامة العظمى، والخلافة العامة لدار الإسلام وأمة المسلمين، وما عدا هذا المنصب كولاية المناطق، والأقاليم، والأقطار فإنها لا تدخل في ولاية الإمامة العظمى لدار الإسلام وأمته؛ لأنها ولاية جزئية وهو فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمشاركة في حمل أمانتها للرجال والنساء دون تفريق:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويعضد البعض الخلط بين ولاية الجزئية والخاصة بالإمامة العظمى والولاية العامة لدار الإسلام وأمته، ولا نجد مثل هذه الولاية في الحاضر منذ سقوط الولاية العثمانية ١٩٢٤، وبالتالي في عصرنا الحديث فإن الولاية هنا ولاية جزئية وللمرأة الحق في المشاركة مع الرجل في اتخاذ القرارات العامة والخاصة لكل بلد على حدة، ومن حقها أن تتولى إدارة القضاء في شئون الأسرة، والمجتمع، والإدمان، وخلافه، بعيدًا عن الجنايات لطبيعتها، وكذلك مجلسي الشعب والشورى للتحدث عن

حقوق وواجبات المرأة، والأسرة، والاقتصاد، وغيره ... أما حديث بعض الفقهاء عن تفسير الحديث السابق بعدم اشتغال المرأة بالعمل العام، أو حجب الولاية (العامة) عنها فقد أفرغوا الحديث من سياقه العام، ولم يثبت ذلك في التاريخ الإسلامي منذ نشأته.

الباب الرابع

(١) يقولون: إذا كان الإسلام الدين الكامل فلماذا لم تبدأ البشرية بالإسلام؟ ولماذا كل هؤلاء الأنبياء والرسل؟

(٢) يقولون: الإسلام لا يمكن تطبيقه في المجتمعات الحديثة .. إنه دين التخلف!

مناهج الإسلام في الحياة:

أولاً : منهج الإسلام في النظافة.

ثانيًا : منهج الإسلام في الآداب.

ثالثًا : منهج الإسلام في الحريات.

رابعًا : منهج الإسلام في الحقوق والواجبات.

خامسًا : منهج الإسلام في المعاملات المالية.

سادسًا : منهج الإسلام في الحكم.

سابعًا : منهج الإسلام في العلم.

يقولون: إذا كان الإسلام هو الدين الكامل فلماذا لم تبدأ البشرية بالإسلام؟ ولماذا كل هؤلاء الأنبياء والرسل؟

والإجابة عن هذا السؤال ليست من عندي ولكن من الكتاب الوحيد في الكون الذي قيل: إنه منزل من رب هذا الكون، وهو آخر كتاب منزل مكمِّلًا للكتب السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل وسواء قلنا: إنه وحي من عند الله، أو مؤلف من محمد وهو القرآن.

وفي تسلسل الخلق في القرآن، بعد ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، وخلق جميع المخلوقات من نباتات، ودواب، وأنعام، وخلافه في ستة أيام، ثم استوى على العرش ما كان لاهيًا، وما مسه تعب أو إجهاد: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦]، وبعد ذلك خلق الله -سبحانه وتعالى- الملائكة من نور أولي أجنحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١].

ثم خلق الجان من مارج من نار، "والنار الزرقاء" فهي نار ونور: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٥]، وأخيرًا خلق الإنسان من ماء طين لازب، صلصال من حمأ مسنون، وكذلك من تراب وهو مكونات الكون كله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤]، ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨] ثم سوَّى قامته وبنيانه وصوَّره فأحسن صوره، ونفخ فيه من روح الله فكان سميعًا بصيرًا، وكان آدم هو آخر خلق الله، وبعد خلقه لآدم أخذ من ظهره ذريته، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾

[الأعراف: ١٧٢]، وخلق الله -سبحانه تعالى- جميع مخلوقاته مسبِّحة بذاتها إجبارًا؛ فأراد الله -سبحانه تعالى- أن يخلق خلقًا إذا سبَّحه يسجد اختيارًا: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقد عرض الله -سبحانه تعالى- الأمانة على السماوات والأرض والجبال ومن فيهن فرفضوا أن يحملوها، وخافوا من تبعاتها، وحملها الإنسان فكان ظلومًا جهولًا بتكاليفها وتبعاتها: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقد علَّمه الله -سبحانه تعالى- الأسماء كلها وجعل له عقلًا ونفسًا، وألهمها فجورها وتقواها، وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود تحية؛ لقبوله الأمانة فسجدوا جميعًا ما عدا إبليس استكبر فقال الله -سبحانه تعالى: اخرج مذءومًا مدحورًا مرجومًا وأنت من المنظرين إلى يوم الدين:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢]، كما كرَّم الله -سبحانه تعالى- آدم وذريته وعلَّمه وأعطاه الكثير من الصفات التي تجعله خليفته في الأرض فيعمرها بالعلم والإيمان: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء ٧٠]، وقد هبط آدم ومعه أول منهج للبشرية وهو أن يعبد الله وحده، ولا يقتل النفس، وأن هناك يوم البعث حيث الحساب، ولنا في قصة ابني آدم هذا المنهج: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨].

وهنا هابيل خاف من عذاب الله، ورفض قتل أخيه وهو المنهج الذي أشرت إليه وهو تحريم القتل، وأن هناك يومًا للحساب.

واستمرت البشرية من نسل قابيل -وكان مزارعًا- حتى جاء أول نبي بعد سيدنا آدم وهو سيدنا إدريس، وقد ذكر الله -سبحانه تعالى- هذه الفترة الزمنية: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١].

وكان سيدنا إدريس هو جد سيدنا نوح هو أول من خط بالقلم، وأول من لبس المخيط، ويقال عنه: إنه أوزريس المصري والله أعلم: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧].

ثم أرسل الله -سبحانه تعالى- أول أولي العزم من الرسل وهو سيدنا نوح -عليه السلام- وهو أبو البشرية الثاني؛ حيث بعثه إلى قومه؛ ليدعوهم لترك عبادة الأوثان، وهم من سلالة قابيل قاتل أخيه، وقد نسوا منهج الله، واستمر في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ولم يستجيبوا له، وقد أمره الله بصناعة الفلك ليحمل فيها من كل زوج، وكان الطوفان وغرق الكافرون أجمعون، وتحطمت الأصنام، وكذلك بيت الله في بكة: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٥- ٢٧]، وتوالى إرسال الله -سبحانه تعالى- إلى بعض الأقوام بمنهج واحد وهو: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره).

ثم يزيد التكاليف حسب سلوك هذه المجتمعات أو القرى، وقد ذكر الأنبياء والرسل في تسلسل تاريخي في سورة الأعراف وهم:

أولاً: سيدنا نوح: (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وذكَّرهم بالبعث

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ثانيًا: سيدنا هود وقد أُرسل إلى قوم عاد وهم من نجوا من الطوفان، فقد عبدوا

الأصنام مرة ثانية، وكانوا ضخام الأجسام، وكانوا طغاة

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٠].

ثالثًا: سيدنا صالح وقد أُرسل إلى قوم ثمود وهم بعد قوم عاد، وكانوا جبارين يبنون القصور وينحتون الجبال بيوتًا، وكانوا مفسدين عبدة أصنام، وقد جاء لهم سيدنا صالح بآية من آيات الله وهي ناقة خرجت أمامهم من الصخر، وجعل لها يومًا تشرب فيه الماء واليوم التالي تعطيهم لبنًا إلا أنهم كذبوه وعقروا الناقة؛ فأصيبوا بعذاب أليم:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٣-٧٤].

رابعًا: سيدنا لوط وقد أرسل إلى قومه وهم أول من عملوا فاحشة الشذوذ الجنسي وهم يأتون الرجال شهوة دون النساء

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

خامسًا: سيدنا شعيب وقد أرسل إلى قوم مدين، وكانوا يسرقون في الميزان والمكيال

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٨٢].

وكان عذاب الأمم المكذبة: الرجفة، والصعقة، والسيل العرم، وخسف الأرض: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤]، ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وبعد سيدنا هود مباشرة أُرسِلَ سيدنا إبراهيم وهو أبو الأنبياء والرسل وخليل الله وكان من شيعة نوح: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ٨٩]، ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤]، ويعتبر سيدنا إبراهيم هو معلم البشرية في علم التوحيد وكيفية الوصول إلى الله بالعقل والتدبر؛ ولذلك نجد في القرآن كيف ناقش بعقله عبادة الكواكب، وعبادة الأصنام، وعبادة البشر حتى وصل إلى الله -سبحانه، ثم طلب بعد ذلك من الله اليقين وقد أعطاه الله اليقين بتجربة عملية فريدة لا غيبيات، ولكن بحكم العقل لكي يصل إلى الحقيقة؛ لذلك نرى سيدنا إبراهيم يناقش هذه الموضوعات في التالي:

١- سيدنا إبراهيم مع النمرود مدعي الألوهية مثل فرعون موسى

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ادعى النمرود أنه يحيي ويميت أن جاء بسجينين عنده محكوم عليهما بالإعدام فعفا عن أحدهما فقد أحياه، وقتل الآخر، وقال: أنا أحيي وأميت؛ فرد عليه سيدنا إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها أنت من المغرب.

٢- سيدنا إبراهيم مع عبادة الكواكب

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا

ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥- ٧٩].

٣- سيدنا إبراهيم مع عبادة الأصنام

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٨-٦٣].

٤- ثم طلب سيدنا إبراهيم اليقين من الله

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٥- ثم اعتزل قومه

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢].

ثم هاجر مع زوجته وابن أخيه لوط متجهًا إلى مصر: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وأثناء الهجرة أرسل الله -سبحانه تعالى- سيدنا لوط إلى سدوم، إلى القوم الذين يعملون الفواحش (الشذوذ الجنسي)؛ ليهديهم إلى الصراط المستقيم فلم يستجيبوا له: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤، ٧٥].

ووصل سيدنا إبراهيم إلى مصر، وقد أُهدي إليه جارية مصرية وكانت أميرة

مصرية أسيرة وتسمى هاجر، وقد أوعزت زوجة إبراهيم السيدة سارة إليه أن يتزوجها؛ حيث كانت عقيمًا، وزوجها بلغ التاسعة والتسعين من عمره وقد فعل، وأنجب منها بِكْرَهُ إسماعيل الذي تركه عند قواعد البيت الحرام وهو رضيع بأمر من الله -سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ٩٩- ١٠٧]، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤].

ولما نجح إبراهيم في هذا الاختبار؛ حيث قدم أول قربان بشري إلى الله وهو ابنه البكر الوحيد، وفداه بذبح عظيم فأراد الله أن يُقِرَّ عينَه بولد آخر يكون معه في شيخوخته؛ حيث يبعد عنه ابنه إسماعيل بأكثر من ألف وخمسمائة كيلومتر فقد وهب له ابنه إسحاق، وبشره بأنه سيرى ابنه من بعده وسماه يعقوب: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٧٣].

٦- سيدنا إبراهيم وإسماعيل وبناء أول بيت لله على الأرض

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٥-١٢٩].

ومنذ هذا التاريخ والبيت الذي أقامه سيدنا إبراهيم وإسماعيل، وبئر زمزم التي

تفجرت تحت قدم إسماعيل وهو رضيع، ومكان السعي بين الصفا والمروة، كما كانت تفعل سيدتنا هاجر بعد ما تركها زوجها إبراهيم ورحل؛ لتبحث عن الماء لرضيعها، ومكان ذبح إسماعيل وفدائه، وما زال المسلمون يقومون بنفس الشعائر، كما فعلها سيدنا إبراهيم وإسماعيل في أول بيت وضع للناس في الأرض وحتى يوم القيامة.

ويلاحظ مما سبق أن الله -سبحانه تعالى- جعل سيدنا إسماعيل رسولًا نبيًّا، وأرسل إلى جرهم والقبائل التي كانت تحج إلى بيت الله الحرام بعد ما أذن سيدنا إبراهيم للناس بالحج إليه.

كان إسحاق ويعقوب نبيين فقط، وعاشا مع أبيهما إبراهيم وهو نبيٌّ ورسولٌ؛ ولذلك قال الله -سبحانه تعالى- عن إسحاق: إنه كان نافلة: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤٩]،﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤].

أنجب إسحاق يعقوب والذي أنجب بدوره اثني عشر ولدًا وهم الأسباط، ومنهم سيدنا يوسف -عليه السلام- جميعهم أنبياء فقط:

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

وبعد ما تآمر الأسباط على أخيهم يوسف، وألقوه في الجُبِّ، وعاش في مصر حتى أصبح وزيرًا، وفي عام القحط جاء إخوته لشراء القمح من مصر، فعرفهم وطلب منهم إحضار أسرهم، وكذلك أبيه سيدنا يعقوب، وعاشوا في مصر وتكاثروا: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩].

وكان الأسباط بدوًا رحلًا، وكانوا يعبدون الله الواحد وهم بنو إسرائيل، وقد

انتشر الإسلام في مصر بدعوة سيدنا يوسف، وذلك في عهد الهكسوس، ولما رجع الحكم للمصريين استزلَّ الفراعنةُ بني إسرائيل؛ حيث اعتبروهم أعوان الهكسوس، واستخدموهم كعبيد وخدام، وقتلوا أطفالهم، واستحيوا نساءهم حتى أرسل الله -سبحانه وتعالى- سيدنا موسى وهارون؛ لإخراج بني إسرائيل من مصر وتحريرهم من هذه العبودية إلى أرض الشام، وقد أرسل الله -سبحانه تعالى- سيدنا موسى إلى فرعون بتسع آيات تصديقًا بأنه مرسل من عند الله، ولكن فرعون وهامان كانا مستعليين في الأرض، وكان فرعون مدعي ألوهية مثل النمرود مع جده الأكبر إبراهيم.

وقد بيَّن الله لنا أن المصريين من عامة الشعب وخاصتهم وبعض أفراد أسرة فرعون نفسه كانوا يؤمنون بالله الواحد وأنهم مسلمون، وما يثبت ذلك ما جاء في نص مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون نفسه، وكذلك إيمان سيدتنا آسية زوجة فرعون التي ربت موسى، وترعرع من صغره حتى شبابه في رعايتها، وتعتبر أمه بالتبني.

ماذا قال مؤمن آل فرعون؟ ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [غافر: ٢٦- ٣٢].

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [غافر: ٣٤].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ

عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٣٨- ٤٥].

من الآيات السابقة يتبين لنا أن بعض المصريين -كما سبق أن بينت- كانوا مؤمنين بالله، وكان المنهج قبل نزول التوراة على سيدنا موسى، وكما جاء على لسان مؤمن آل فرعون كالتالي:

أولًا: أتقتلون رجلًا يقول ربي الله؟ فكانوا يؤمنون بوجود إله واحد: الله ربًّا.

ثانيًا: لا يؤمن بيوم الحساب - إني أخاف عليكم يوم التناد! وكانوا يؤمنون بالبعث، وأنهم سيخرجون من الأرض يوم القيامة للحساب.

ثالثًا: يا قوم هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٠، ٤١].

وكانوا يعلمون أن الحياة الدنيا هي متاع فقط، وأن الآخرة يوم القيامة هي دار المقام خالدين فيها أبدًا لا موت، حياة فقط، وكذلك من عمل سيئة سيجزى بها فقط، ومن عمل صالحًا يدخل الجنة بغير حساب، ومن يكذب مصيره النار؛ ولذلك أبلغنا الله -سبحانه وتعالى- أن مؤمن آل فرعون قد وقاه الله السيئات ولم يغرق مع آل فرعون.

رابعًا: ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ... وقلتم لن يُبعث أحدٌ من الله رسولًا ... مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ...

وقد أرسل يوسف إلى المصريين، وقد أعلمهم قصص أقوام نوح وعاد وثمود،

والذين من بعدهم، وما آل إليه هؤلاء الأقوام من عذاب عندما كذَّبوا رسلهم، وقالوا: لن يبعث الله من بعد يوسف رسولًا، وهذا هو موسى -عليه السلام- قد جاءكم يدعوكم بما أنبأكم به يوسف.

أما عن سيدتنا آسية امرأة فرعون وكانت تؤمن هي أيضًا بالإله الواحد وهي أول المبشرين بالجنة: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١].

ولذلك في أول حادثة في التاريخ أن الله -سبحانه تعالى- لم ينزل العذاب على مصر جميعها، ولكن أخذ آل فرعون وجنوده الطاغين في الأرض، وأغرقهم جميعًا في البحر الأحمر بعيدًا عن وادي النيل؛ وذلك لوجود المؤمنين من المصريين؛ كمؤمن آل فرعون، والسحرة الذين سجدوا لله سبحانه، والعديد من المصريين الذين يؤمنون بالله، ويكتمون إيمانهم؛ خوفًا من بطش فرعون وهامان.

ثم جاء موسى -عليه السلام- بأول منهج للبشرية مكمِّلا لما بيَّنَّاه من مؤمن آل فرعون، وكذلك تحريم القتل والسرقة وعمل الفواحش والتجبر على الضعفاء والمساكين، وأُنزل على كليم الله التوراة وهو أول كتاب أُنزل من عند الله متكاملًا على رسول، وقد سبق أن نزل على كل من سيدنا إبراهيم وموسى كتبًا بها مواعظ فقط: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

أما التوراة فهي هدى ونور وفرقان وكتاب مبين: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤، ٤٥].

﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤، ١٤٥].

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

ماذا فعل بنو إسرائيل بهذه التعاليم وما جاء بالتوراة؟! تركوها وراء ظهورهم وعبدوا العجل، وأفسدوا ومنهم من أنكر البعث، ومنهم من عبد الأصنام ... ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١].

هذا ما ذكره الله في القرآن، ونذهب إلى العهد القديم؛ لنستخلص من كلامهم ما جاء في التوراة وتعاليم موسى، وماذا فعلوا مع الله ورسوله، وما مصير المكذبين من بني إسرائيل مع العلم بأن بني إسرائيل الذين شهدوا الخروج من مصر، وشهدوا معجزات سيدنا موسى، ثم عبدوا العجل قد نالهم العديد من عقاب الله، وكان آخره التِّيه في الصحراء (سيناء) أربعين سنة، وقد رفع الله – سبحانه وتعالى– جبل الطور فوق رءوسهم، وقد زلزلهم وصعقهم، ثم أحياهم عندما طلبوا من سيدنا موسى أن يروا الله، وأمرهم بقتل أنفسهم، للذين عبدوا العجل: رجفة، وصعقة، وزلزال، وتيه؛ لأنهم قوم ذوو قلوب قاسية مجادلون حتى في الحق.

صفات بني إسرائيل في العهد القديم ومنهج التوراة

كتاب التثنية

الإصحاح (١)

غضب الرب على الشعب وسمع الرب ثرثرتكم فسخط عليكم وأقسم قائلًا: لن يرى إنسان هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أهبها لآبائكم ...، كما غضب الرب أيضًا على نبيكم قائلًا: وأنت أيضًا لن تدخل الأرض ... وفعلًا فقد مات موسى وهارون في التيه في صحراء سيناء، ولم يدخلوا الشام.

الإصحاح (٤) الاختيار الإلهي، شعب الله المختار المجرى عليه تجاربه:

وهل حاول إله قطُّ أن يأخذ لنفسه شعبًا من وسط شعب آخر، مجريًا تجارب... وآيات معجزات وحروبًا وقدرة فائقة وقوة شديدة ومخاوف عظيمة، كما صنع الرب إلهكم في مصر على مرأى منكم؟ وهذا يفسر شعب الله المختار كما جاء في القرآن فهو مختار؛ ليُجرى عليه التجارب فأنزل عليه التوراة بما فيها من تكاليف، ونظر إليهم ماذا هم فاعلون؟ وقد فشلوا وسقطوا في الاختبار.

الإصحاح (٥)

الوصايا العشر: استدعى موسى جمع الإسرائيليين، وقال لهم: اسمعوا يا بني إسرائيل الشرائع والأحكام التي أتلوها عليكم في هذا اليوم وتعلّموها واحرصوا على ممارستها. قطع الرب إلهنا معنا عهدًا في جبل حوريب ليس مع آبائنا هذا العهد. قطع هذا العهد إنما معنا نحن الذين هنا اليوم جميعًا أحياء. إذ تكلم الرب معنا في الجبل في وسط النار وجهًا لوجه. وكنت أنا واقفًا بين الرب وبينكم؛ لأنكم خفتم من النار، فلم تصعدوا الجبل. فقال الرب: أنا هو الرب إلهك الذي حررك من سجن العبودية في ديار مصر، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تنحت لك تمثالًا ولا صورة ما مما في السماء وما في الأرض وما في الماء تحت الأرض. لا تسجد لها ولا تعبدها؛ لأني أنا الرب إلهك إله غيور. أفتقد معاصي الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضي. وأحسن إلى ألوف من محبي وظائفي ووصاياي. لا

تنطق باسم الرب إلهك باطلًا؛ لأن الرب لا يبرئ من ينطق باسمه باطلًا، احفظ يوم السبت مقدسًا، كما أوصاك الرب إلهك ستة أيام تشتغل وتقوم بجميع أعمالك، وأما اليوم السابع فيكون يوم راحة للرب إلهك. لا تقوم فيه بأي عمل أنت، وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وثورك، وحمارك، وكل بهائمك، والأجنبي المقيم داخل أبوابك، ليستريح عبدك، وأمتك مثلك. وتذكر أنك كنت عبدًا في ديار مصر فأطلقك الرب من هناك بقدرة فائقة وقوة شريرة. لهذا أوصاك الرب إلهك أن ترتاح في يوم السبت. أكرم أباك وأمك كما أمرك الرب إلهك فتطول أمامك ويكون لك خير على الأرض التي يورثها لك الرب إلهك. لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد على جارك شهادة زور. لا تشتهي امرأة غيرك، ولا بيته، ولا حقله، ولا عبده، ولا أمته، ولا حماره. ولم يزد نقشها على لوحين من حجر وأعطاني إياها.

الإصحاح (٢١)

شريعة المرأة الأسيرة: حتى تدخل بيته ويدعها تحلق رأسها، وتقلم أظافرها ثم تنزع ثياب سبيها عنها، ويتركها من بيته شهرًا من الزمان تندب أباها وأمها ثم بعد ذلك يعاشرها وتكون له زوجة.

شرائع توريث الأبناء: ... عليه أن يعترف ببكورية ابن المكروهة، ويعطيه نصيب اثنين من كل ما يملكه؛ لأنه هو أول مظهر قوته وله ألحق البكورية.

شرائع متعلقة بمصالح الآخرين: ويحظر على المرأة ارتداء ثياب الرجال، كما يحظر على الرجل ارتداء ثياب النساء؛ لأن كل من يفعل ذلك يصبح مكروهًا لدى الرب إلهكم ...

أحكام الزنى والاغتصاب: إذا ضبطتم رجلًا مضطجعًا مع امرأة متزوجة تقتلونهما كليهما، فتنزعون الشر من وسطكم ...

الإصحاح (٢٤)

أحكام الزواج والطلاق: إذا تزوج رجل من فتاة، ولم تَرُق له بعد ذلك؛ لأنه

اكتشف فيها عيبًا، وأعطاها كتاب طلاق، وصرفها من بيته، فتزوجت من رجل آخر بعد أن أصبحت طليقة، ثم كرهها الزوج الثاني، وسلمها كتاب طلاق وصرفها من بيته، أو إذا مات هذا الزوج فإنه يحظر على زوجها الأول الذي طلقها أن يتزوجها مرة أخرى بعد أن تنجست؛ لأن ذلك رجس عند الرب فلا تجلبوا خطيئة على الأرض التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا ...

عقوبة المرتد عن الله: لئلَّا يكون بينكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو وسيط مال قلبه عن الرب إلهنا فغوى آلهة تلك الأمم فاحرصوا ألا يكون بينكم من تأصل فيه الشر فيحمل ثمرًا علقمًا سامًّا .. إن الرب لا يشاء الرفق بمثل بهذا الإنسان بل يحتدم غضبه وغيرته عليه، فتنزل به كل اللعنات المدونة في هذا الكتاب ويمحو اسمه من تحت السماء.

غرض الشريعة: هذه هي الوصية والفرائض والأحكام التي أمرني الرب إلهكم أن ألقنكم إياها؛ لتعملوا بها في الأرض التي أنتم ماضون إليها لترثوها، وبذلك تتقي الرب إلهك وتمارس جميع فرائضه ووصاياه التي أنا أوصيك بها أنت وابنك وحفيدك كل أيام حياتك، فتطول أيامك، فأنصتوا يا بني إسرائيل، واحرصوا على العمل بها فتزدهروا وتتكاثروا جدًّا في أرض تفيض لبنًا وعسلًا، كما وعدكم الرب إله آبائكم.

كتاب الخروج

الإصحاح (٢٠)

بناء مذبح من تراب: فقال الرب لموسى: نقول لبني إسرائيل أنتم رأيتم أنفسكم كيف كلمتكم من السماء ما تمنعون عن صنع آلهة فضية أو آلهة ذهب لكم لتشركوها معي. أقم لي مذبحًا من تراب تقدم عليها محروقاتك وقرابين سلامتك من غنمك وبقرك، وإني أباركك في جميع الأماكن التي أقيم فيها الأسمى ذكرًا.

الإصحاح (٢١)

أحكام خاصة بالعبيد: إن اشتريت عبدًا عبرانيًا فليخدمك ست سنوات، وفي السنة السابقة تطلقه حرًّا مجانًا ...

أحكام خاصة بالقتال والمعتدي: من ضرب إنسانًا وقتله فالضارب حتمًا يموت، ولكن إذا لم يتعمد الضارب ... كل من ضرب أباه أو أمه يقتل. من يخطف إنسانًا، ويبيعه أو يسترقه عنده حتمًا يموت. من يشتم أباه أو أمه يقتل. إذا تعارك رجلان .... وألزمه الفراش .... يبرأ الضارب إلا أنه يدفع للمضروب تعويضًا عن مدة تعطله ويتحمل مصاريف علاجه. إن ضرب أحد عبده أو أمته بالعصا ضربًا أفضى إلى الموت يعاقب لكن إن بقي حيًّا يومًا أو يومين لا يعاقب الضارب؛ لأن العبد ملكه ... إذا ضرب أحد عبده أو أمته وأتلف عينه فإنه يطلقه حرًّا تعويضًا له عن عينه ...

أحكام خاصة بالمواشي: إذا نطح ثور رجلًا أو امرأة فمات ... يرجم الثور حتى الموت ...

الإصحاح (٢٢)

أحكام مختصة بالسرقة والأملاك: إذا سرق إنسان ثورًا أو خروفًا وذبحه أو باعه فعليه أن يعوض صاحب الثور ... إذا ضُبط السارق وهو ينقِّب ليلًا وضرب فمات يذهب دمه هدرًا، ولكن إذا ضرب بعد شروق الشمس وهو ينقب وضرب حتى قتل يكون الطالب مطالبًا بدمه ... على اللص أن يدفع تعويضًا وإن كان معدمًا يباع بسرقته .

أحكام مختصة بالعلاقات الخاصة: إذا راود رجل عذراء غير مخطوبة وعاشرها يدفع مهرها ويتزوجها. وإذا أبى والدها قطعيًّا أن يزوجها منه يتحتم عليه أيضًا أن يدفع مهر العذارى. لا تدع ساحرة تعيش، كل من ضاجع بهيمة حتمًا يقتل. من يقرب ذبائح لآلهة غير الرب وحده يبيد. لا تضطهد غريبًا، ولا تضايقه فقد كنتم

غرباء في مصر. لا تسئ إلى أرملة أو يتيم؛ لأنك إذا أسأت إليهما وصرخا إلي أجمع صراخهما فيحتدم غضبي وأقتلكم بالسيف، فتصبح زوجاتكم أرامل وأولادكم يتامى. إذا أقرضت فقيرًا من شعبي المقيم عندك فلا تعامله كالمرابي ... لا تشتم القضاة ولا تلعن رؤساء شعبك. لا تؤخر تقديم باكورة محصول ... لا تأكلوا لحم فريسة في الصحراء، بل اطرحوه طعامًا للكلاب.

الإصحاح (٢٣)

أحكام العدل والرحمة: لا تقبل أخبارًا كاذبة. لا تتعاون مع المنافق في شهادة الزور. لا تنسق وراء الأغلبية لارتكاب الشيء. لا تحرف شهادتك في دعوى انجرافًا مع الأكثرية. إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردًا فرده إليه. إذا عاينت حمار مبغضك واقعًا تحت حمله ... لا تحرف حق فقيرك في دعواه لكونه فقيرًا. لا تقتل البريء والصالح؛ لأنني لا أبرئ المذنبين. لا تقبل رشوة؛ لأن الرشوة تعمي المبصرين، وتحذف أقوال الصالحين ... اجتنب الاتهام الكاذب.

كتاب اللاويين

الإصحاح (١١)

الحيوانات الطاهرة والنجسة والحيوانات البرية. الحيوانات المائية... تأكلون من له زعانف ... طيور السماء... لا تأكل النسر والعقاب والحدأة ... الحشرات... لا تأكل كل حشرة مجنحة ذات أربع أرجل ...

الإصحاح (١٢)

شريعة تطهر المرأة بعد الولادة: إذا حملت امرأة وولدت ذكرًا تظل الأم في حالة نجاسة سبعة أيام كما في أيام فترة الحيض، وفي اليوم الثامن يجري ختان الطفل، وعلى المرأة أن تبقى ثلاثة وثلاثين يومًا أخرى إلى أن تطهر من نزيفها فلا تمس أي شيء ... وإن ولدت أنثى فإنها تظل في حالة نجاسة مدة أسبوعين ... وتبقى ستة وستين يومًا حتى تطهر من نزيفها ... وبعد الطهارة تحضر حملًا حوليًّا تقدمه للمحرقة، وكذلك فرخ حمامة أو يمامة ...

الإصحاح (١٥)

نجاسات إفرازات الرجل الجسدية. كل رجل جسده مصاب بالسيلان فهو نجس، ونجاسته من سيلانه؛ سواء أفرز البدن السيلان أو احتبسه ... وأي إناء يلمسه يكسر.

نجاسات طمث المرأة: إذا حاضت المرأة فسبعة أيام يكون في طمثها، وكل من يلمسها يكون نجسًا إلى المساء، كل ما تنام عليه في أثناء حيضها، أو تجلس عليه يكون نجسًا وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء يكون نجسًا إلى المساء، وكل من يلمس شيئًا كان موجودًا على الفراش أو على المتاع الذي يجلس عليه يكون نجسًا إلى المساء، وإن عاشرها رجل وأصابه شيء من طمثها يكون نجسًا سبعة أيام، وكل فراش ينام عليه يصبح نجسًا. إذا نزف دم امرأة فترة طويلة في غير أوان طمثها، أو استمر الحيض بعد موعده تكون كل أيام نزفها نجسة كما في أثناء طمثها ...

الإصحاح (١٨)

المحظورات الجنسية: لا يقارب الإنسان جسد من هو من لحمه ودمه ليعاشره، أنا الرب. لا تتزوج فتاة أباها ولا أب بأمه، إنها أمك فلا تكشف عورتها. لا تتزوج امرأة أبيك؛ لأنها زوجة أبيك. لا تتزوج أختك من بنت أبيك أو بنت أمك سواء ولدت في البيت، أو بعيدًا عنه ولا تكشف عورتها. لا تتزوج ابنة أبيك أو ابنة ابنتك ولا تكشف عورتها؛ لأنها عورتك. لا تتزوج بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك، ولا تكشف عورتها؛ لأنها أختك. لا تتزوج أخت أبيك إنها عمتك. لا تتزوج أخت أمك إنها خالتك. لا تتزوج فتاة عمها. لا تعاشر زوجة عمك إنها عمتك. لا تتزوج كنتك فإنها امرأة ابنك، ولا تكشف عورتها. لا تتزوج امرأة أخيك، فإنها عورة أخيك. لا تتزوج امرأة وابنتها، ولا تتزوج ابنة ابنها أو ابنة بنتها؛ لأنها قريباها وإن فعلت ترتكب رذيلة. لا تتزوج امرأة على أختها لتكون ضرة معها في أثناء حياة زوجتك. لا تعاشر امرأة وهي في نجاسة حيضها. لا تقارب امرأة صاحبك فتعاشرها وتتنجس بها. لا تجز أحد أبنائك في النار قربانًا للوثن مولاك؛ لئلَّا تدنس

اسم إلهك أنا الرب. لا تضاجع ذكرًا مضاجعة امرأة إنها رجاسة. لا تعاشر بهيمة فتتنجس بها. لا تقف امرأة أمام بهيمة ذكر؛ لتضاجعها إنه فاحشة.

كل من اقترف شيئًا من هذه الرجاسات جميعها تستأصل تلك النفس الجانية من بين شعبها، فاحفظوا شعائري لكي لا ترتكبوا شيئًا من الممارسات الرجسة التي اقتُرفت قبلكم، ولا تتنجسوا بها، أنا الرب إلهكم.

الإصحاح (٢٤)

عقاب المجدف: كل من شتم الإله يعاقب بذنبه، ومن جدف على اسم الرب يقتل؛ إذ يرجمه الشعب رجمًا، الغريب كالإسرائيلي يعاقب بالقتل عند تجديفه على اسم الرب.

حكم القاتل وشريعة العين بالعين: إذا قتل أحد إنسانًا فإنه يقتل ...

عقوبات العصيان

الإصحاح (٢٧)

تقديم النذور، الأشخاص، العيون والأراضي.

تعليمات موسى للاويِّين: عندما أتم موسى تدوين نصوص هذه التوراة كاملة في كتاب، أمر اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلًا: خذوا كتاب التوراة هذا، وضعوه إلى جوار تابوت عهد الرب إلهكم؛ ليكون هناك شاهد عليكم؛ لأني أعرف غزوكم وقساوة قلوبكم. إذا أنا مازلت حيًّا معكم اليوم أخذتم في مقاومة الرب فكم بالأحرى تتمردون بعد موتي، وقال سيدنا موسى قبل أن يلاقي ربه في:

كتاب التثنية

الإصحاح (٣١): دعوة الشعب لسماع النشيد.

نشيد موسى: أصغي أيتها السماوات فأتكلم ولتنصت الأرض إلى أقوال فمي؛

لينهمر تعاليمي كالمطر، وليقطر كلامي فيكون كالطل على الكلأ، وكالغيث على العشب، باسم الرب أدعو عظمة إلهنا. هو الضحى وصنائعه كلها كاملة، سبله جميعها عدل، هو إله أمانة لا يرتكب جورًا، صِدِّيق وعادل هو.

لقد اقترفوا الآثام أمامه، ولم يعودوا له أبناء بل لطخة عار، إنهم جيل أعوج وملتوٍ، أبهذا تكافئون الرب أيها الشعب الأحمق الغبي؟ أليس هو أباكم وخالكم الذي عملكم وكونكم؟ اذكروا الأيام الغابرة، وتأملوا في سنوات الأجيال الماضية، اسألوا آباءكم فينبئوكم وشيوخكم فيخبروكم.

عندما قسَّم العليُّ الميراث على الأمم وحين فرق بني آدم، أقام حدودًا للشعوب على عود بني إسرائيل؛ لأن نصيب الرب هو شعبه، وأبناء يعقوب قرعة ميراثه.

وجدهم في أرض قفر وفي خلاء موحش، فأحاط بهم ورعاهم وصانهم كحدقة عينه، وكما يهز النسر عشه ويرف على فراخه، باسطًا جناحيه ليأخذها، ويحملها على منكبيه، هكذا الرب وحده قاد شعبه، وليس معه إله غريب. أصعدهم على هضاب الأرض فأكلوا ثمار الصحراء وغذاهم بعسل من صخر وزيت من حجر صوان فريدة النقى ولبن الغنم وشحم الخراف وشيوس وخيار كياس باشان وأفضل لب الحنطة، وسقاهم دم العنب القاني.

فسمن بنو إسرائيل، ورفسوا، وسمنوا، وغلظوا، واكتسبوا شحمًا، فرفضوا الإله صانعهم، وتنكروا لصخرة صلاحهم، أثاروا غيرته بآلهتهم الغريبة، وأغاظوه بأصنامهم الرجسة، قدموا محرقات للأوثان ليست هي الله، لآلهة غريبة لم يعرفوها بل ظهرت حديثًا، آلهة لم يرهبها آباؤهم من قبل لقد نبذتم الصخر الذي أنجبكم، ونسيتم الله الذي أنشأكم.

فرأى الرب ذلك وذلهم؛ إذ أثار أبناؤه وبناته غيظه وقال: سأحجب وجهي عنهم، فأرى ماذا يكون مصيرهم؟ إنهم جيل متقلب وأولاد خونة، هيجوا غيرتي بعبادة أوثانهم وأسخطوني بأصنامهم الباطلة؛ لذلك سأثير غيرتهم بشعب متوحش

وأغيظهم بأمة حمقاء، فها قد أضرم غضبي نارًا تحرق حتى الهاوية السفلى، وتأكل الأرض غلاتها وتشعل أسس الجبال. أكوم عليهم شرورًا، وأنفذ سهامي فيهم وحين يكونون خائرين من الجوع منهكين من الحمى والداء السام، أجعل أنياب الوحوش مع سم زواحف الأرض تنشب فيهم. يثكلهم سيف العدو في الطريق، ويستولي عليهم الرعب داخل الجذور. فيهلك الفتى مع الفتاة والرضيع مع الشيخ. قلت: أشتتهم في زوايا الأرض، وأمحو من بين الناس ذكرهم. لولا خوفي من تبجح العدو إذ يظنون قائلين: إن يدنا قد عظمت، وليس ما جرى هو من فعل الرب.

إن بني إسرائيل أمة غبية لا بصيرة فيها. لو عقلوا لفطنوا لمآلهم وتأملوا في مصيرهم، إذ كيف يدحر واحد ألفًا ويهزم اثنان من أعدائهم عشرة آلاف منهم، لولا أن صخرهم قد هجرهم، الرب قد سلمهم؟ لأن صخرهم كصخرنا، وهذا ما بقى به أعداؤنا .

إذ إن كرمتهم هي من كرمة سدوم، ومن حقول عمورة وعنبهم ينضح سُمًّا وعناقيدهم تفيض مرارة. فمرهم حمة الأفاعي وسم الثعابين المميت.

رحمة الرب وانتقامه

أليس هذا مدخرًا عندي مختومًا عليه في خزائني؟ لي النقمة وأنا أجازي. وفي الوقت المعين تزل أقدامهم فيوم هلاكهم بات وشيكًا، ومصيرهم المحتوم يسرع إليهم؛ لأن الرب يدين شعبه ويرأف بعبيده عندما يرى أن قوتهم قد اضمحلت، ولم يبق عبد ولا حر، عندئذ يسأل الرب: أين آلهتهم؟ أين الصخرة التي التجأوا إليها.

وفي كتاب المزامير

صلاة موسى رجل الله: يا رب، أنت كنت ملجأ لنا نلوذ به جيلًا بعد جيل. قبل أن أوجدت الجبال أو كونت المسكونة. أنت الله من الأزل وإلى الأبد. تعيد الإنسان إلى التراب قائلًا: عودوا إليه يا بني آدم. فإن ألف سنة في عينيك كيوم أمس العابر، أو مثل هزيع من الليل – تجرف البشر كما يجرفهم الطوفان، فيزولون كالحلم عند

الصباح، مثل العشب الذي ينمو زهره في الصباح وينمو، وفي المساء يقطع ويجف.

إن غضبك قد أفنانا، وسخطك قد روعنا جعلت آثامنا أمامك وخطايانا الخفية ظاهرة لديك؛ لأن أيامنا كلها تنقضي في غضبك الشديد، وأعوامنا تتلاشى كزفرة. قد نعيش سبعين سنة، وإن كنا ذوي عافية فثمانين وأفضل أيامنا تعب وبلية؛ لأنها سرعان ما تزول فتطير. من يعرف شدة غضبك؟ إن سخطك هو بحسب مهابتك. علمنا إحصاء أيامنا، لعلنا ننتقل بقلب حكيم.

إلى متى يطول يا رب غضبك؟! ارجع وتعطف على عبدك. أفض علينا باكرًا من رحمتك فنترنم فرحًا ونبتهج طوال أعمارنا. فرحنا بمقدار الأيام التي بليتنا بها وبمقدار السنين التي رأينا فيها المصائب؛ ليظهر صنيعك أمام عبدك وجلالك أمام أبنائهم، ولتكن نعمة الرب إلهنا علينا أنجح عمل أيدينا. نعم أنجح عمل أيدينا.

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٤- ٢٦].

وبعد أربعين سنة في التِّيه في صحراء سيناء وموت سيدنا هارون وموسى استضعفوا، وأُذلوا، وقتلوا، ورفع الله التوراة، ونسوا تعاليمها.

وقد سأل بنو إسرائيل نبيًّا لهم يقال له:يوشع بن نون أن يعين لهم ملكًا ليقاتلوا خلفه، وقد عيَّن النبي طالوت ملكًا عليهم فاعترضوا عليه؛ لأنه ليس من سبط الأدنى كما أنه فقير فرد عليهم النبي أن الله فضله عليكم وجاءت هذه القصة في القرآن كالتالي: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ

جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وأقام داود وابنه سليمان أكبر ملك في التاريخ؛ حيث أمدهما الله –سبحانه وتعالى– بعلم وقدرات لم يعطها لخلق من قبله ولا بعدهم، فكانا من الأنبياء والرسل والملوك والقضاة والصناع، وسخر لهما الرياح والطير والجان والإنسان، وكانا شديدي الذكر لله كما أعطى الله –سبحانه تعالى– لسيدنا داود الزبور: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ [سبأ: ١٠].

وسار سليمان على منهج أبيه داود في الملك والحكمة والتسبيح، وقد أتاه الله ملكًا لم يعطه لأحد: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [النمل: ١٦]، ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ١٧]، ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٨، ١٩].

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥].

ومن كتاب المزامير

أسبحك من كل قلبي، وأشكر لك أمام الملائكة، وأسجد في هيكل قدسك، وأحمد اسمك من أجل رحمتك وحقك؛ لأنك عظمت كلمتك واسمك فوق كل شيء يوم دعوتك استجبت لي، وشجعتني إذ زدتني قوة في داخلي.

[المزمور ١٣٨ داود]

يحمدك جميع ملوك الأرض يا رب متى سمعوا وعودك، ويشيدون بكل أعمالك؛ لأن مجدك عظيم، فمع تعاليك تلتفت إلى المتواضعين، وأما المتكبر فتعرفه من بعيد ولو سلكت في وسط الضيق فإنك تحييني؛ إذ بيدك تدفع عني غضب أعدائي ويمينك يخلصني، الرب منجز مقاصده لي. رحمتك يا رب إلى الأبد تدوم، فلا تتخلَّ عني؛ لأني صنع يديك. **[المزمور ١٣٩ داود]**

يا رب أنت فحصتني وعرفتني. أنت عرفت قعودي ونهوضي، فهمت فكري من بعيد، أنت تقصيت مسلكي ومرقدي، وتعرف كل طرقي، عرفت كل كلمة من قبل أن يتفوه بها لساني، لقد طوقتني بعلمك من خلف ومن أمام، وبسطت يدك فوقي. ما أعجب هذا العلم الفائق، إنه أسمى من أن أدركه، أين المهر من روحك؟ أين المفر من حضرتك؟ إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك، وإن جعلت فراشي في عالم الأموات فهناك أنت أيضًا، إن استعرت أجنحة الفجر وطرت وسكنت في أقصى أطراف البحر فهناك أيضًا يدك تهديني وعيناك تمسكني، إن قلت في نفسي ربما الظلمة تحجبني والضوء حولي يصير ليلًا فحتى الظلمة لا تخفى عنك شيئًا، والليل كالنهار يضيء، فسيان عندك الظلام والضوء.

لأنك أنت قد كونت كليتي، نسجتني داخل بطن أمي، أحمدك؛ لأنك صنعتني بإعجازك المدهش، ما أعجب أعمالك، ونفسي تعلم ذلك يقينًا لم يخفَ عليك كياني عندما كوَّنت في السر وجعلت في أعماق الأرض، رأتني عيناك، وأنا ما زلت جنينًا، وقبل أن تخلق أعضائي كتبت في سفرك يوم تصورتها، ما أثمن أفكارك يا الله عندي!

ما أعظم جملتها أن أحصيتها زادت على الرمل عددًا، عندما أستيقظ أجدني ما زلت معك ليتك يا الله تقتل الأشرار فيبتعد عني سافكو الدماء، فإنهم يتحدثون عنك بالمكر والكذب؛ لأنهم أعداؤك. يا رب ألا أبغض فيغضبك وأكره الثائرين عليك؟ بغضًا تامًّا أبغضهم وأحسبهم أعداءً لي، تفحصني يا الله واعرف قلبي امتحني واعرف أفكاري وانظر إن كان في طريق سوء، واهدني الطريق الأبدي.

[المزمور ١٤٠ لداود]

ما حدث بعد موت سيدنا سليمان

في كتاب **ملوك الأول الإصحاح** (٢٢): يربعام يسبك عجلي ذهب وبعد المشاورة سبك الملك (يربعام ابن سليمان) عجلي ذهب وقال للشعب: إن الذهاب إلى أورشليم للعبادة يعرضكم لمشقة عظيمة، فها هي آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر.

وكذلك فعل رحبيتام (ابن سليمان) ملك يهوذا في أورشليم، وارتكب شعب يهوذا الشر في عيني الرب فاستثاروا غيظه كما لم تستثره خطايا آبائهم التي ارتكبوها، وأقاموا هم أيضًا لأنفسهم مرتفعات وأنصابًا وتماثيل على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء، وتكاثر العاهرون من ذوي الشذوذ الجنسي، واقترفوا كل موبقات الأمم التي طردها الرب من أجسام بني إسرائيل.

ملوك الأول الإصحاح (١٦) أخاب يعتلي عرش إسرائيل ويتزوج من إيزابل، وغوى وراء البعل وسجد له. وشيد مذبحًا للبعل في معبد البعل الذي بناه في السامرة.

وفي أخبار الأيام الثاني (٣٦) صدقيا ملكًا على يهوذا:

ارتكب صدقيا الشر في عين الرب إلهه، ولم يتواضع أمام أرميا النبي الذي نطق بكلام الرب، وثار أيضًا على الملك نبوخذ ناصر الذي جعله يحلف له يمين الولاء وأصر على عناده، وأغلظ قلبه فلم يرجع إلى الرب إله إسرائيل. وأغوى معه رؤساء

الكهنة والشعب الذين ازدادوا تورطًا في خيانة الرب مقترفين كل رجاسات الأمم حتى أنهم نجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم، وأرسل الرب إله آبائهم إليهم رسلًا بصورة متوالية محذرًا إياهم؛ لأنه أشفق على شعبه وعلى مسكنه. فكانوا يهزءون برسله ورفضوا كلامه، واستهانوا بأنبيائه؛ حتى ثار غضب الرب على شعبه وامتنع كل شفاء.

هزيمة يهوذا والسبي إلى بابل

فأرسل إليهم ملك الكلدانيين فقتل نخبتهم بالسيف في عقب الهيكل المقدس. ولم يرحم الرب فتى أو عذراء أو شيخًا أو أشيب، بل أسلمهم جميعًا لأن الكلدانيين، الذين استولوا على آنية بيت الله كبيرها وصغيرها وخزائن الهيكل وقصر الملك وخزائن قادته ونقلوها جميعها إلى بابل وأحرقوا الهيكل وهدموا سور أورشليم وأشعلوا النار في جميع قصورها ودمروا تحفها الثمينة، وسبى نبوخذ ناصر الذين نجوا من السيف إلى بابل فأصبحوا عبيدًا له ولأبنائه إلى أن قامت مملكة فارس؛ وذلك لكي يتم كلام الرب الذي نطق به على لسان أرميا.

كتاب عزرا الإصحاح (٧):

ووصل عزرا إلى أورشليم في الشهر الخامس بفضل يد الله الصالحة التي رعته؛ لأن عذرا أخلص توبته لطلب شريعة الرب وممارستها، وتعليم الشعب فرائضها وأحكامها.

رسالة أرتحششنا لعزرا:

هذا نص الرسالة التي سلمها الملك لعزرا الكاهن الكاتب، العالم بكلام وصايا الرب وفرائضه التي أبلغها إلى بني إسرائيل. من أرتحششنا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء (سلام كامل)

وقد بيّن لنا الله –سبحانه– في القرآن العظيم قصة عزير في الآية الكريمة الآتية: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ

فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

واستمر بنو إسرائيل في عنادهم وكفرهم بعبادة العجل والآلهة الأخرى، وعبدوا الأوثان وفي كتاب **الإصحاح (٣)** ميخا.

وهذا ما يقوله الرب بشأن الأنبياء الذي يضلون شعبه، الذين ينادون قائلين سلام لمن يعطيهم طعامًا، يعلنون الحرب على من لا يلقم أفواههم؛ لذلك يطغى عليكم ليل خال من الرؤيا أظلم عليهم النهار، يعتري الرائين الخزي، وينتاب العرافين الخجل ...

استمعوا لهذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة شعب إسرائيل الذين يكرهون العدل ويحرفون الحق. الذين يبغون صهيون بالدم وأورشليم بالظلم؛ إذ يحكم رؤساؤها بالرشوة وكهنتها يعملون بالأجر ويتعاطى أنبياؤها بالعرافة لقاء المال ومع ذلك يدعون الاتكال على الله قائلين: أليس الرب في وسطنا؟ لذلك لن يصيبنا مكروه. لهذا من جراء أعمالكم ستُحرث صهيون كالحقل وتصبح أورشليم كومة من الخرائب وجبل الهيكل مرتفعًا ستنمو عليه الغاب.

كتاب الإصحاح (٥)

ويقول الرب في ذلك اليوم: أستأصل خيركم من بينكم، وأدمر مركبات حربكم وأخرب مدنكم وأهدم جميع حصونكم وأقضي على السحر في دياركم، ولا يبقى لكم عرافون، أنتزع تماثيلكم وأنصابكم من وسطكم فلا تعودون تسجدون لأصنام من صنع أيديكم وأنفي عشتاروث من بينكم، وأهدم مدنكم وبغضب وسخط أنتقم من الأمم التي لم تطعني.

استمعوا يا أهل المدينة وأعضاء مجلسها، في بيوت الأشرار كنوز مسروقة

وموازين مغشوشة .. فقد امتلأ أثرياء المدينة ظلمًا ونطق سكانها بالكذب وألسنة الغش في أفواههم؛ لذلك شرعت في تدميرك لأجعلك خرابًا من أجل خطاياك ستأكلين ولا تشبعين، ويظل جوفك خاويًا، وما تدخرينه تعجزين عن الاحتفاظ به؛ لأني أوقعه للسيف. تزرعين ولا تحصدين تعصرين الزيتون ولا تدهني بزيته، وتعصرين العنب ولا تشربين من خمره لأنك قد مارست فرائض عمري ونهجت على غرار أخاب وسلكت مشوراتهم لذلك أجعلك خرابًا، وشعبك مثار سخرية وتقاسون من احتقار الأمم.

كتاب ميخا الإصحاح (٧)

ويل لي فقد صرت كرجل جائع جاء يبحث عن جني الصيف وبقايا قطاف فطاف العنب فلم يجد عنقودًا للأكل ... قد باد الصالح من الأرض واختفى المستقيم من بين الناس جميعهم يكمنون لسفك الدماء، وكل واحد منهم يقتفي أخاه تجد أيديهم في ارتكاب الشر، ويسعى الرئيس والقاضي وراء الرشوة ويملأ العظيم عليهم أهواء نفسه. فيتآمرون جميعًا على الحق، أفضلهم مثل العوسج، وأكثرهم استقامة أسوأ من سياج الشوك .. ها يوم عقابكم الذي أُنذر به أنبياؤكم قد وافى. عندئذ يعتريكم الارتباك.

لا تأتمن جارك ولا تثق بصديق واحترس مما تنطق به شفتاك ممن ترقد في حضنك. فإن الابن يستخف بأبيه والابنة تتمرد على أمها والكنة على حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته.

هذا هو حال بني إسرائيل كما ذكره ميخا قبل ميلاد سيدنا المسيح من فساد، وكفر، وشرك، وسيئ أخلاق يتنافى تمامًا مع تعاليم الدين اليهودي وما جاء في التوراة من نور وهدى وفرقان وحكمة وتعاليم. ولهذا أرسل الله -سبحانه تعالى- آخر أنبياء الله ورسله من سلالة سيدنا يعقوب إلى بني إسرائيل آخر أنبياء الله ورسله من سلالة سيدنا يعقوب إلى بني إسرائيل كآخر فرصة لهم؛ كي يتوبوا ويرجعوا إلى الله وإلى الدين الحق، وقد أرسل معه الآيات البينات الدالة على صدق نبوته من

صغره آية يكلم الناس في المهد وعند إرساله في سن الثلاثين يحيي الموتى، ويشفي المرضى بإذن الله ... من آيات ومعجزات خارقة، ولكن لا حياة لمن تنادي، هم هم بنو إسرائيل في عنادهم وكفرهم.

سنذكر هنا في عجالة ما جاء في أمر هذا النبي الكريم والرسول العظيم المسيح سيدنا عيسى ابن مريم، كما جاء في القرآن العظيم حيث لم يذكر أي شيء عن هذه المعجزات في الأناجيل الأربعة الأساسية.

كلام سيدنا المسيح في المهد

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٠-٣٥].

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران: ٤٩، ٥٠].

وعندما أُرسل سيدنا المسيح عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل حيث قال: إني جئت للخراف الضالة من بني إسرائيل.

إنجيل متى الإصحاح (١٥)

ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة إلى بيت إسرائيل.

إنجيل متى الإصحاح (٢١)

هذا هو يسوع النبي الذي بالناصرة بالجليل.

وكانت فترة رسالة سيدنا المسيح قبل رفعه حوالي أربع سنوات؛ حيث أرسل إلى بني إسرائيل مصدقًا بالتوراة وأنزل إليه الإنجيل كما قال الله -سبحانه- ليحل لبني إسرائيل ما حرمه الله عليهم وكان ميلاده آية، وكذلك رحيله آية؛ حيث رفعه الله إليه حيًّا، ولم يقتل كما أعلمنا الله بذلك، وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع من قبل، ثم ينزل إلى الدنيا مرة أخرى آية فهو آية في آية من الله.

وسنذكر ما قاله الله في القرآن؛ عن ادعائهم: أن سيدنا عيسى -عليه الصلاة والسلام- ابن الله، وحادثة الصلب ورفعه إليه في الآيات الآتية.

فإذا كان هو الله فكيف يسمح الله لعبد من عبيده أن يصلبه؟ وإن كان ابنه فكيف يهون على والد أن يُصلب ابنه؟

وقد رد الله -سبحانه وتعالى- على هذه المقولات: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٥].

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥]، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف: ٥٩].

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩].

تقول الموسوعة: لقد تخلى المفسرون في العصر الحديث عن الفكرة القائلة: بأن نصوص الأناجيل منزلة، وأن الله قد أملاها على الناس كلمةً كلمة، وحرفًا حرفًا!! ويقول الله في هذا الشأن في القرآن:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

تقول مؤلفة كتاب تنصير العالم: ومن الثابت تاريخيًّا أن العقيدة المسيحية قد عرفت عشرات -بل مئات- الانقسامات والمعارضات منذ أن قام بولس الرسول بتحريفها، ومن الثابت أيضًا أن بولس الرسول كان اسمه شاؤل، وقد كان يعادي المسيحية عداءً شديدًا في فترة حياة المسيح، ولكنه بعد قتل المسيح وصلبه غيَّر اسمه إلى بولس، وتحوَّل فجأة ليتزعم الدعوة المسيحية مع أنه لم يكن من حواري المسيح، وأنه لم يره ولم يخالطه، وهذه هي دائمًا أخلاق الإسرائيليين بالنسبة لأية دعوة غير دعواهم؛ يجيز لهم أحبارهم ليدخلوا في الدين الجديد، لكي يحطموه من الداخل وقد حاولوا ذلك في مستهل الدعوة الإسلامية، لكن الله -سبحانه وتعالى- فضحهم في القرآن حيث قال: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد تزعم الدعوة المسيحية وقد صبغها بالصبغة الوثنية حتى لا يجد الوثنيون حرجًا في الدخول في هذه المسيحية المتساهلة والمطعَّمة بأفكارهم؛ وبذلك يزداد عدد أتباعه، ويتحقق مجده الشخصي، وقد عرفت القرون المسيحية الأولى أكثر من عشرين انقسامًا، أو عقيدة منشقة وذلك احتجاجًا أو تصحيحًا لما قام به بولس من تحريف، وكان لكل من هذه الجماعات أناجيلها وكتاباتها، وقد ذكر يوحنا الدمشقي في كتابه (منبع المعرفة ٧٤٧م) مائة وثلاث عقائد وانقسامات:

ولم يُقرأ في التاريخ أن أرسل الله -سبحانه وتعالى- رسولًا كان سيئ الخلق يقتل المؤمنين، مكذبًا لأحد أولي العزم من الرسل وهو سيدنا المسيح بما جاء من الآيات والمعجزات وما بيَّنه من التوراة والإنجيل وكان شديد الكره لسيدنا المسيح، ثم يوحي الله إليه؛ لكي يكمل رسالته. فأين تلامذة المسيح الحواريون الذين آمنوا به وأكلوا معه من المائدة التي أرسلها الله إليهم من السماء؟ أليس هم أولى بذلك من قاتلٍ كريهٍ؟!

والحواريون هم أولى الناس باستكمال المسيرة والذين عاشوا مع المسيح وآمنوا به وعذّروه، وصدَّقوه، واتَّبعوه وتلاميذه ورسله وليس شاءول.

واستمر اقتتال أتباع سيدنا المسيح، وقتل بعضهم بعضًا، ونكل مسيحيو الغرب بمسيحي الشرق لاختلافهم مع بعضهم البعض، وأعملوا فيهم القتل والحرق والنفي والإذلال، والكل يفعل هذا باسم المسيح وسيدنا المسيح منهم براء، ونسوا الله وتعاليمه من عدم القتل، والسرقة، والزنى ...

ومُلئت الأرض كفرًا، وشركًا، وإثمًا، وعدوانًا، وبهتانًا عظيمًا، وهرب اليهود من طغيان المسيحية إلى يثرب في الحجاز في انتظار نبي آخر الزمان كما كانوا يقولون عليه للناس، فكانوا يقولون: اللهمَّ انصرنا بالنبي المبعوث آخر الزمان الذي نعتد به.

من كتاب ملاخي الإصحاح (٤):

انظروا، هو يوم القضاء مقبل، لاهب كتنور يكون فيه جميع المستكبرين فاعلي الإثم عاصفة فيحرقهم ذلك اليوم، ولا يبقي لهم أصلًا ولا فرعًا، يقول الرب القدير:

اذكروا شريعة موسى عبدي وسائر فرائضي وأحكامي التي أعطيتها في جبل حوريب لجميع شعب إسرائيل، ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي قبل أن يجيء يوم قضاء الرب الرهيب العظيم فينعطف قلب الآباء على أبنائهم وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي (إن لم يتوبوا) وأصيب الأرض باللعنة.

وهل أتى نبي منذ سيدنا المسيح ابن مريم إلى اليوم مصدقًا لما معه بالمعجزات والقرآن إلى إيليا (أحمد) وقضاء الرب الرهيب العظيم هو يوم القيامة: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦].

وكانوا يقولون أيضًا: إنه سيبعث نبي آخر الزمان فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسولًا من قريش كفروا به، وقال معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستحثون علينا بمحمد ونحن أهل شرك،

وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال (سلام بن مشكم) أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴿٨٩﴾ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة: ٩٠] غضب عليهم لعبادتهم العجل بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات التي شاهدوها مع سيدنا موسى، وغضب الله عليهم بكفرهم بسيدنا المسيح -عليه السلام- بعد ما جاء بالبينات والمعجزات، وغضب الله عليهم أخيرًا لكفرهم بما جاء به محمد ﷺ بعدما جاء أيضًا بالقرآن والمعجزات، وللكافرين عذاب أليم.

ثم جاء الإسلام الدين الكامل الخاتم الذي شمل اليهودية والمسيحية، وأرجع العقيدة إلى ملة أبينا إبراهيم أبي الأنبياء والرسل أجمعين؛ حتى لا يقول أحد: عزير ابن الله، أو المسيح ابن الله إنما جاء الرسول ﷺ؛ ليكمل مكارم الأخلاق، وجاء بالمنهج الكامل الذي يسير عليه الإنسان في شخصه ومع أسرته ومع جيرانه وقريته وأمته، منهج الحكم والاقتصاد والعلم.

جاء الدين الخاتم الذي لا يفرق بين أحد من رسله، ولا أحد من كتبه، جاء الدين الخاتم رحمة للعالمين.

يقولون: الإسلام لا يمكن تطبيقه في المجتمعات الحديثة .. إنه دين التخلف

نعم هذه نظرتهم إلى الدين الإسلامي؛ حيث يرون أن البلاد الإسلامية بلاد متخلفة؛ تنتشر فيها الأمية، والمرض، والغنى الفاحش، والفقر المدقع، وصرف أموال بسفه دون تنمية لبلدانهم؛ حتى وصل المسلمون إلى أدنى شعوب الأرض، ولا همَّ لهم إلا الاقتتال على السلطة، وتكفير بعضهم بعضًا؛ بحجة نشر تعاليم الإسلام الصحيحة، والإسلام منهم براء ... وهذه الصفات ليست وليدة هذا الزمن، أو هذا العصر، ولكن هذا حال البلدان الإسلامية منذ احتلال بلدانهم وما قاساه الشرق الإسلامي من الغزوات العديدة، والغزو الأوربي؛ حيث فكَّك المصانع، وأغلق المدارس، وسلب مقدَّرات شعوبهم وما زالوا ... ثم بعد ذلك اتهم الغرب والمستشرقون منهم والعلمانيون، والمتأسلمون الدين الإسلامي بأنه دين متخلف بدون وجه حق، أو دون أن يقرءوا الدين الإسلامي من منابعه، وبحياد، وبعلم، وبتدبر لا يتصيد الأشياء، فهم يخرجون النصوص مشوهة ومبتورة؛ لكي يصلوا إلى نتائج في نفوسهم وغفلوا أو تغافلوا عن تعاليم هذا الدين الحنيف، ووصلوا إلى نتائجهم من طريق سلوك المسلمين وليس تعاليم الإسلام، وفي أواخر القرن التاسع عشر قال الإمام محمد عبده عندما كان في فرنسا قولته المشهورة: في الغرب رأيت الإسلام بلا مسلمين! وفي الشرق رأيت المسلمين بلا إسلام!

ووصل المسلمون إلى هذه الدرجة من التخلف؛ لأنهم ابتعدوا عن تعاليم الإسلام التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة. فهذا الدين دين حياة وليس دين ممات فقط، دين علم وليس دين غيبيات، دين اجتماع وخلق وليس دين انحلال ورذيلة، دين حرية وليس دين سجون ومعتقلات، دين كان أول طلب فيه هو أن نقرأ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ١ - ٤].

دين عقل وتدبر وابدأ بنفسك التي خلقت من علق، لا كهانة ولا غيبيات: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧، ١٨].

والإسلام يبدأ بالفرد، ثم بالأسرة، ثم بالقرية، ثم بالمجتمع فنراه ذكر لنا أن الإنسان خليفة الله في الأرض، الإنسان كإنسان منذ خلق الله آدم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧].

وكان هو وحده أول الخلق فأخرج منه زوجه حواء؛ ليسكن إليها ولتكوين الأسرة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

مناهج الإسلام في الحياة

ولذلك نجد منهج الإسلام هو الاعتناء بالفرد أولًا حيث أنه خليفة الله في الأرض فكما طالب الله سبحانه وتعالى أن نعمل العقل لمعرفة الله سبحانه وتدبر في آيات خلقه وأمرنا بالعلم والقراءة والكتابة فكان الأمر التالي لرسوله محمد ﷺ أن يتبع مناهج الدين الإسلامي في الحياة كالنظافة والآداب والحريات والحقوق والواجبات والمعاملات المالية والحكم وأخيرًا منهج الإسلام في العلم وسنبدأ بأول منهج أمر الله سبحانه رسوله وهو النظافة والطهارة حيث قال سبحانه: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ ﴾ [المدثر: ٤]، في أول آيات القرآن نزولًا.

أولاً

منهج الإسلام في النظافة

نجد منهج الإسلام هو الاعتناء بالفرد أولًا؛ حيث إنه هو خليفة الله في الأرض، فكما طالب الله -سبحانه- خليفته أن يتعلم القراءة والكتابة فكان الأمر التالي لرسوله محمد ﷺ أن يتنظف، والنظافة هنا نوعان:

النوع الأول: النظافة الظاهرية

كان أمر الله للرسول ﷺ هو النظافة: نظافة الثياب. قال تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٤، ٥]، ويقول الرسول ﷺ عن النظافة: «**الإسلامُ نظيفٌ فتنظَّفوا؛ فإنَّه لا يدخلُ الجنةَ إلا نظيفٌ**» رواه الديلمي.

اعرف إننا لا نتنظف فقط، بل نتزين: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

ويذهب المسلم إلى المسجد خمس مرات في اليوم، وبذلك يكون المسلم في حالة نظافة مستمرة، حسن الثياب والرائحة، وليس الأمر فقط في نظافة الملبس فقط، ولكن نظافة البدن سواء الظاهر منه؛ كالوجه، واليدين، والمستور، والباطن أيضًا؛ كالجسد كله فتغسل الأماكن الظاهرية خمس مرات في اليوم وباقي الجسد مرة في الأسبوع على الأقل، كما جاء في القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة: ٦].

كما زاد الرسول ﷺ على غسل هذه الأعضاء ثلاثًا؛ حيث طلب منا الرسول ﷺ التخليل بين أصابع اليدين والرجلين، ومسح صوان الأذن من الداخل والخارج، والرقبة ليس هذا فحسب، بل أمرنا ﷺ بغسل الأنف، والفم، وأن ننظف أسناننا بفرشاة قائمة وهي سواك عند كل صلاة للتخلص من فضلات الطعام بين

الأسنان، وكذلك لإزالة الميكروبات والرائحة من الفم وحفظ الجسم من التهاب اللوز، والزور، والجيوب الأنفية ... فقال رسول الله ﷺ: «**لولا أنْ أشقَّ على أمّتي لأمرتُهم بالسواكِ عندَ كلِّ صلاةٍ**» رواه الشيخان.

كما أمرنا الرسول ﷺ أيضًا بالختان، والاستحداد (حلق شعر العانة بالموسى)، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، وتنظيف الإبط، ويقول ﷺ: «خمسٌ من الفطرةِ: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، وتنظيف الإبط» رواه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة.

أي نظافة يا رسول الله، فالختان أمر به سيدنا إبراهيم فقد خُتِن وهو في سن مائة عام مع ابنه إسماعيل، ومنذ هذا التاريخ والختان فرض وهو يقي الإنسان من الالتهابات التي يسببها ترك جزء من البول في هذا الجزء الجلدي.

وكذلك تغتسل المرأة بعد انتهاء فترة الطمث كما أمر الرجل أن لا يأتي زوجته وهي في هذه الحالة؛ لأن في ذلك ضررًا كبيرًا، قال تعالى: ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ليس هذا فحسب، بل أمرنا الرسول ﷺ بأن نستحم كل أسبوع: «غُسْلُ الجُمُعة واجبٌ على كلِّ محتلم» رواه أبو سعيد الخدري، «ويستن أنْ يلمسَ جسدُه طيبًا إنْ وجدَ» رواه الشيخان، «حقٌّ على كلِّ مسلمٍ أن يغتسلَ في كلِّ سبعةِ أيامٍ يومًا يغسلُ فيه رأسَه وجسدَه» رواه أبو هريرة.

كما نهانا الرسول ﷺ أن نتبول في الماء الراكد الدائم؛ حتى لا نلوثه، وبالتالي لا يصلح للطهارة؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «لا يبولنَّ أحدُكم في الماءِ الدائمِ الذي لا يجري، ثم يغتسلُ فيه» رواه البخاري.

هل ترك الإسلام شيئًا للفرد أن يتبعه في موضوع النظافة، والختان، وقص الشعر، وإزالة شعر الإبط والعانة، وتقليم الأظافر، وغسل الشعر أو الجسد كلَّ

أسبوع وعند الجنابة والوضوء خمس مرات في اليوم من غسل وجه، وأنف، وفم وأسنان، وأذن، وشعر، ورقبة، ورجلين، وسواك للأسنان، وتخليل للأصابع، وتطييب للبدن وللثياب.

هل يوجد دين سماوي آخر، أو غير سماوي يطلب من أتباعه العمل بهذه الأنظمة من النظافة يقول الرسول ﷺ: «الإسلامُ نظيفٌ فتنظَّفوا فإنه لا يدخلُ الجنةَ إلا نظيفٌ » الديلمي.

النوع الثاني: النظافة العقلية

كما أمرنا الله ورسوله بالنظافة الظاهرية -كما سبق أن أشرنا- أمرنا كذلك بالنظافة الباطنة وهي نظافة العقل، ولذلك أمرنا الإسلام ألا نشرب خمرًا؛ حتى لا يذهب العقل، أو أي شيء آخر يُذْهب العقل؛ كالمخدرات، وغيرها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣].

فإذا ألغى الإنسان عقله أصبح من شر الدواب، فالفرق بين الدابة والإنسان هو العقل، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

نظافة النفس: بعدما خلق الله -سبحانه تعالى- آدم وسوَّى قامته وبنانه، وصوره في أحسن صورة تبارك الله أحسن الخالقين، وقَبِلَ آدم الأمانة وهي العقل جعل له نفسًا وألهمها الفجور وألبسها لباس التقوى، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وليبين الله -سبحانه تعالى- منزلة النفس بين الخلائق فقد أقسم بها في قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾[الشمس:٧]، قال تعالى: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢]، وقد جَعَلَ النفس فتنةً للإنسان لاختباره: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ولذلك طلب الله من الإنسان أن يكون نظيف النفس، ولا يتبع فجورها، ويتبع كل السبل التي تجعلها تقية نقية لوَّامة مطمئنة: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وعندما تفْجُر النفس تصبح الأخلاق ذميمة، وتكتسب صفات قد وصفها الله سبحانه تعالى في القرآن، والرسول ﷺ في أحاديثه؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «**بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ**».

ثانيًا

منهج الإسلام في الأخلاق

أولاً: النفس السيئة أو الأخلاق السيئة

النفس التي ألهمها الله سبحانه وتعالى الفجور والتقوى هي المسئولة عن أخلاق الإنسان إن كان سويًّا أو منحرفًا، وعن النفس السيئة وسلوكها المشين فقد سماها الله سبحانه وتعالى بأنها من الكبائر؛ حيث يقول سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، ويقول الرسول ﷺ أيضًا: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» مسلم والترمذي عن أبي هريرة.

ولكن يجب أن نعلم أيضًا أن الله غفَّار الذنوب، فلا نقنط من رحمة الله فيما عدا أن نشرك به حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وسنسرد في عجالة هذه الصفات السيئة وهي الكبائر التي نحتاج في دراستها لعشرات من الكتب.

تعريف الكبيرة

الكبيرة هي ما نهى الله ورسوله عنها في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالح، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى بأن نجتنبها أي لا نصل إليها ولا نقربها حتى لا نقع فيها؛ حيث إن بعض منها يكفِّر الإنسان ويخرجه عن الدين كما يكفر الله سبحانه وتعالى عنا صغائر السيئات.

وقد اجتمع السلف الصالح على أن الكبائر سبع، حيث قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ**» فذكر منها: «الشِّركُ بالله، والسِّحرُ، وقتلُ النفسِ التي

حرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ، وأكلُ مالِ اليتيم، وأكلُ الرِّبا، والتولِّي يومَ الزَّحفِ، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ» (متفق عليه) البخاري، ومسلم عن أبي هريرة.

وقال ابن عباس: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع.

ويقال أيضًا: إن من ارتكب شيئًا من هذه العظائم التي ذكرها الرسول ﷺ مما فيه من حدٍّ في الدنيا؛ كالقتل، والزنا، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب، أو غضب، أو تهديد، أو لُعن فاعله على لسان سيدنا محمد ﷺ فإنه كبيرة.

وهناك بعض الكبائر أكبر من بعضها؛ فالشرك بالله من الكبائر بينما مرتكبه مخلد في النار مع الكافرين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

وتنقسم الكبائر إلى ثلاثة أقسام:

١- ما يخص العقيدة.

٢- ما يخص السلوك الشخصي للإنسان.

٣- ما يخص المعاملات.

ويوضح ذلك ملخصًا في الجدول التالي:

أنواع الكبائر في:

العقيدة	السلوك الشخصي		المعاملات		
	نفسيًا	سلوكيًا	المالية	الأسرية	العلاقات العامة
بالله ورسوله: * الشرك بالله ★ * الذبح لغير الله * الأمن من مكر الله * الكذب على الله ورسوله * التكذيب بالقدر * سب الصحابة النفس البشرية: * قتل النفس التي حرم الله قتلها ★ * الانتحار * من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم الصلاة: * ترك الصلاة * ترك صلاة الجماعة *الإصرار على ترك صلاة الجماعة بلاعذر * منع الزكاة * إفطار يوم في رمضان بغير عذر * ترك الحج مع القدرة	* الكذب * شهادة الزور ★ * اليمين الغموس * الخيانة * الغدر وعدم الوفاء * المكر والخديعة * النَّمام * المنَّان * اللعَّان * الرياء	* التسمع على الناس * الجدل والمراء واللَّدد * الكبر والفخر والخيلاء * كتم العلم * شرب الخمر * صناعة التماثيل * السحر ★ * التنجيم والكهانة * قذف المحصنات ★ * الفرار يوم الزحف ★ * لبس الحرير والذهب للرجال * إسبال الإزار * تشبه الرجال بالنساء * تشبه النساء بالرجال * عدم التبرؤ من البول	* القمار ★ * الرِّبا ★ * أكل مال اليتيم وظلمه ★ * أكل الحرام * الغلول * السرقة * نقص المكيال والميزان والزرع * المكاس (الإتاوات) * الإضرار بالوصية * أخذ الرشوة	* عقوق الوالدين★ * قطع صلة الرحم ★ * الزنى ★ * اللواط ★ * الديوث والقواد * المحلِّل والمحلَّل له * نشوذ الزوجة * النياحة وشق الملابس	* غش الإمام للرعية * القاضي السوء * أخذ الرشوة على الحكم * الظلم * البغي * التجسس على المسلمين * أذى المسلمين * التطاول على المسلمين * التطاول على الضعفاء * أذى الجار * منع فضل الماء * قطع الطريق

★ من الكبائر الكبرى

ثانيًا: النفس الطيبة والأخلاق الحميدة

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧، ٨].

ومن صفات النفس التقيَّة النقيَّة هي أن تتحلى بالصفات الحميدة، ومنذ ظهور عهد الإسلام وهو يأمر أصحابه أن يأخذوا بمكارم الأخلاق، وأن يجاهدوا أنفسهم من وساوس الشيطان والفجور؛ حتى يصلوا إلى التقوى وهي خشية غضب الله من غضبه وعذابه، وسنذكر ملخصًا لعدد من هذه الصفات الحميدة، وقد ذُكرت في العديد من آيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول ﷺ وهذه الصفات هي:

١- الرحمة

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤]، يقول الرسول ﷺ: «**الراحمون يرحمُهم الرحمنُ، قالَ تباركَ وتعالى: ارحموا مَنْ في الأرضِ يرحمْكم مَنْ في السماءِ**» رواه أحمد، «**مَنْ أنظرَ معسرًا أو وضعَ عنه، أظلَّه اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه**» رواه أحمد.

وهناك أحاديث كثيرة، ومن آيات الله العديدة ما يحث المسلمين على التراحم بينهم قال رسول الله ﷺ: «**مثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الأعضاءِ بالسَّهرِ والحمَّى**» ومن ضمن بنود الرحمة في الإسلام هي الرفق بالحيوان.

يقول رسول الله ﷺ في ذلك: «**بينما كلبٌ يطيفُ بركنٍ كادَ يقتلُه العطشُ إذْ رأتْه بغيٌّ من بغايا بني إسرائيلَ فاستقتْ له فسقتْه فغفرَ لها**» البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة -رضى الله عنه- بينما رجل يمشي في طريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ

خفه بالماء، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ» رواه مسلم.

وقد كان رسول الله ﷺ نموذجًا للكمال البشري في مجال الرحمة والشفقة بالحيوان؛ فقد نهى عن تعذيب الحيوان، أو تشويهه، أو التمثيل به، أو اتخاذه وسيلة للهو والتسلية، وقال ﷺ في ذلك: «**لا تتخذوا شيئًا فيه روحٌ غرضًا**».

«**لعنَ اللهُ منْ فعلَ هذا**» عندما مر على قوم نصبوا طائرًا، وأخذوا يرمونه، نهى عن قتل الحيوان صبرًا (إجاعة الحيوان وتعذيبه حتى الموت) وقال: «**دخلتِ امرأةٌ النارَ في هرةٍ ربطتْها فلا هي أطعمتْها، ولا هي أرسلتْها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ**».

نهى الرسول ﷺ عن التمثيل بالحيوان: «**من مثَّل بذي روحٍ، ثم لم يتبْ مثَّل اللهُ به يومَ القيامةِ**».

نهى الرسول ﷺ عن التحريش بين البهائم بغرض التسلية، أو القمار وهي أن تتصارع حتى تسيل الدماء، أو الموت.

رأى رسول الله ﷺ رجلًا يضجع شاة، وأخذ يحد شفرته حتى يذبحها فقال عليه الصلاة والسلام: «**أتريد أن تميتَها موتتين؟ هلا أحددتَ شفرتَك قبل أن تضجعَها**»!.

ويُروى أن جزارًا فتح بابًا على شاة ليذبحها، فانفلتت منه حتى جاءت مجلس رسول الله، فتبعها الجزار وأخذ يسحبها من رجلها فقال لها النبيُّ ﷺ: «**اصبري لأمرِ الله، وأنت يا جزَّارُ سُقْها سَوقًا رفيقًا**».

قال رسول الله ﷺ: «**ما من إنسانٍ يقتلُ عصفورًا فما فوقها بغيرِ حقِّها إلا يسألُه اللهُ عنها يومَ القيامةِ**» قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال: «**حقُّها أن يذبَحَها فيأكلَها ولا يقطعُ رأسَها ويرمي بها**».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**قرصَتْ نملةٌ نبيًّا من الأنبياءِ، فأمرَ بقريةِ النملِ فأحرقت فأوحى اللهُ إليه: أن قرصَتْك نملةٌ فأُحرقت أمةٌ تسبحُ**».

كما نهى الرسول ﷺ عن ضرب البهائم في الوجه والرسم في الوجه؛ لأن فيه تعذيبًا وتشويهًا، وقد مرَّ ﷺ على حمار قد رُسِم في وجهه فقال: «**لعنَ اللهُ الذي رسَمَهُ**».

وقد أمر الرسول ﷺ أن نقلم الأظافر قبل حلب الغنم حتى لا يوجعوا، أو يجرحوا ضرعها، كما أوصاهم بأن يحسنوا غذاءها وألا يذبحوها بغير حاجة، جاء سواعة بن الربيع الجرمي إلى النبيِّ ﷺ مع أمه فأمر لهما بشاة، وقال لأمه: «**مري بنيك أن يقلِّموا أظافرَهم، وألا يوجعوا، أو يجرحوا ضروعَ الغنمِ، ومُري بنيك أن يحسنوا غذاءَ رباعِهم**» صدق رسول الله الرحمة المهداة.

ومن صفات الأخلاق الحميدة أيضًا ملخصة كمواضيع فقط

* **الحكمة**: (اعملْ لدنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا، واعملْ لآخرتك كأنَّك تموتُ غدًا) ابن عساكر.

* **الصدق**: (عليكُم بالصدقِ فإنَّه بابٌ من أبوابِ الجنةِ وإيَّاكم والكذبَ فإنَّه بابٌ من أبوابِ النارِ) الخطيب أبو بكر.

* **الصبر**: (من مرضَ ليلةً فصبرَ ورضيَ بها عن اللهِ أخرجَه من ذنوبِه كيومِ ولدَته أمُّه) الحاكم عن أبي هريرة.

* **التواضع**: (من نظرَ إلى أخيه نظرةَ ودٍّ غُفِرَ له) الحاكم عن ابن عمر.

* **العفَّة**: (اطلبوا الحاجاتِ بعزَّةِ النفسِ فإنَّ الأمورَ تجري بمقاديرِها) ابن عساكر عن عبد الله بن بسر.

* **السكينة والإحسان**: (ليسَ البرُّ في حسنِ اللباسِ والزيِّ، ولكنَّ البرَّ في السكينةِ والوقارِ) الديلمي عن أبي سعيد.

* **الإيثار**: (ما آمنَ بي من باتَ شبعانَ وجارُه جائعٌ) البيهقي عن أنس.

* **الإقساط**: (ثلاثٌ اعلم أنهنَّ حقًّا، ما عفا امرؤٌ عن مظلمةٍ إلا أرادَ اللهُ بها عزًّا) البيهقي عن أبي هريرة.

* **خفض الصوت، والقصد في المشي، وغضُّ البصر، وحفظ الفروج**: (من وقاه اللهُ شرَّ ما بين لحييه ورجليه دخلَ الجنةَ) الترمذي عن أبي هريرة.

* كظم الغيظ: (لا تغضبْ ولك الجنةُ) الطبراني عن أبي الدرداء.

* **العفو عن الناس**: (أفضلُ الفضائلِ أن تصلَ من قطعَك وتعطِيَ من حرمَكَ

وتصفحَ عمن ظلَمَكَ) الطبراني عن معاذ.

* **الإصلاح بين الناس**: (يدورُ المعروفُ على يدِ مائةِ رجلٍ آخرُهم فيه كأولِّهم). ابن النجار عن أنس.

* **دفع السيئة بالحسنة**: (ثلاثٌ من كنَّ فيه حاسبَه اللهُ حسابًا يسيرًا وأدخلَه الجنةَ تعطي من حرمك...) الحاكم عن أبي هريرة.

* **الوفاء بالعهد**: (من أخذَ أموالَ الناسِ يريدُ أداءَها أدَّى اللهُ عنه ومن أخذَها يريدُ إتلافَها أتلفَه اللهُ) البخاري عن أبي هريرة.

* **الإعراض عن اللغو**: (لا تُظهرْ الشماتةَ لأخيك فيرحَمَه اللهُ ويبتليَك) الترمذي.

* **إكرام الضيف**: (أجيبوا الداعي وأطعموا الجائعَ وعودوا المريضَ، وإذا دخلَ الضيفُ على بعضِكم دخلَ برزقِه، وإذا خرجَ خرجَ بمغفرةِ ذنوبِكم) الديلمي عن أنس.

* **فعل الخير**: (أفضلُ صدقةٍ أنْ تشبعَ جائعًا) البيهقي عن أنس.

* **رد السلام**: (تطعمُ الطعامَ، وتقرأُ السلامَ على من عرفت ومن لم تعرفْ) البخاري عن عبد الله بن عمر.

ثالثًا

منهج الإسلام في الآداب

وبعدما طهَّر الإسلام أتباعه بالأخلاق الحميدة، ونهاهم عن الأخلاق السيئة التي تغضب الربَّ بدأ يعلمهم الآداب؛ كآداب الطعام، والشراب، واللبس، والأسواق، والطرق، والمنازل، وكذلك آداب الضيافة، وحقّ الضيف وحقّ المضيف، وبيَّن للمسلم منهجه في جميع الحالات، ومن هذه الآداب كنموذج وليس للحصر هي:

١- آداب الصلاة

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة: ١٠].

وقد نهى الرسول ﷺ أن يقامَ الرجلُ من مقعدِه ويجلسُ فيه آخرُ. رواه البخاري.

فلا يصح أن تأتي متأخرًا إلى المسجد، وتتخطى رقاب المسلمين؛ حتى تصل إلى الصفوف الأولى ويُقام من هو دونك؛ فقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك، وأمرنا أن نجلس في أول مكانٍ فارغ وصلنا إليه، وأن نلين في أيدي أصحابنا عند إقامة الصلاة وتسوية الصفوف، وأن هناك شروطًا للإمام يجب أن تُتَّبع، ويكون الإمام أكثر الموجودين حفظًا للقرآن ... وقد لعن رسول الله ﷺ من أمَّ قومًا وهم له كارهون.

كما يجب أن نأخذ زينتنا عند كلِّ صلاة، وأن نتسوَّك بالسِّواك، وأن نضع العطور... والموضوع أكبر من يكتب في سطور.

٢- آداب تلاوة القرآن

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩]، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

في القرآن العظيم يبين الله -سبحانه تعالى- آداب التعامل مع القرآن:

أولا: لا تمسُّه إلا إن كنت طاهرًا:

فلا يصح لك أن تلمس القرآن وأنت جُنب، ويجب أن تتطهر أولًا؛ والطهارة هنا ليست فقط الاستحمام والوضوء، ولكنْ الطهارة هنا ليست فقط طهارة لبس، وجسد، ولكن طهارة عقل، ونفس، طهارة كاملة فقد قال الله سبحانه: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ وليس لا يلمسه والمسُّ خلاف اللمس، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

والشيطان يسير في الجسد كما يسير الدم كما أن الشيطان يوسوس للنفس ولذلك قال الله -سبحانه- مسهم طائف من الشيطان؛ ولذلك أوجب علينا الله -سبحانه وتعالى- بعد الطهارة أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فلا تسمع لوسوسته، ولا لهمسه، لا تدع عقلك ينشغل بغير القرآن فلا تتدبر آياته، وقد قال الشيطان لله عند أول الخلق: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

ولا تقرأ كالببغاء واعمل بما جاء في القرآن حتى لا تكون كمن قال الله فيهم: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

٣- آداب الطعام والشراب

قبل أن نتكلم عن آداب الطعام والشراب، سنذكر ملخصًا لما أحلَّ الله من المأكولات والمشروبات وما حرَّم علينا:

أ- فقد أحلَّ لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

ب- وحرَّم علينا: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وأمرنا أن نتصدق بالطعام: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨، ٩]، ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد: ١١-١٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

أما آداب الأكل والشراب والتصدق بهما فيقول رسول الله ﷺ: «**لكلِّ شيءٍ زكاةٌ، وزكاةُ الدارِ بيتُ الضيافةِ**» الرفاعي عن ثابت، وقال رسول الله ﷺ: «**من أطعمَ مسلمًا جائعًا أطعمَه اللهُ من ثمارِ الجنةِ**» رواه أبو نعيم. «**أفضلُ الصدقةِ أن تُشبعَ كبدًا جائعًا**» البيهقي عن أنس.

وقد نهى الرسول ﷺ: عن أكل الطعام الحار... الطبراني، وعن النفخ في الطعام... ابن عباس.

ومن آداب الأكل مع الغير قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكلَ أحدُكم مع جماعةٍ فلا يرفعْ يدَه حتى يرفعَ القوم إنَّه يُخجلُ جليسَهُ**» أخرجه البيهقي.

وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نأكل باليمين ومن أمامنا، ثم مما يلينا، أما في الفاكهة فلك أن تختار، كما أوصانا أن نقتصد في الأكل حيث قال ﷺ: «**ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنِه، بحسبِ ابنِ آدمَ لقيماتٍ يقمنَ به صلبَه، فإن كانَ لا محالةَ فاعلًا فثلثٌ لشرابِه، وثلثٌ لطعامِه، وثلثٌ لنَفَسِه**» رواه الترمذي.

وقد نهانا رسول الله أيضًا عن كثرة الأكل حتى لا نبطن: «**أخشَى ما أخشاه على أمَّتي البطنَ ومداومةَ النومِ والكسلَ وضعفَ اليقينِ**» رواه الدارقطني.

٤- اللباس

ستر العورة هو الأساس في الإسلام والعورة من أسفل السرة إلى تحت أسفل الركبة للرجال، وللمرأة ستر الجسم والحجاب، ولا يكشف منها إلا الوجه والكفين، وقد أباح لنا الله -سبحانه تعالى- كل أنواع اللباس إلا أن نكشف العورة: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٢].

واللباس نوعان: اللباس المادي وهو الملابس بأنواعها، واللباس المعنوي وهو تقوى الله، وقد وصفها الله -سبحانه تعالى- أيضًا باللباس، ومن تعرَّى من لباس التقوى تعرَّى من لباس البدن، والدليل على ذلك قصة غواية الشيطان لأبينا آدم وأمِّنا حواء عندما فسقا عن أمر ربهما، وذاقا الشجرة بدت لهم سوءاتهما.

ومن صفات اللبس في الإسلام

يقول رسولنا الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم: «**لا ينظرِ اللهُ إلى من جرَّ ثوبَه في خيلاءِ**» رواه الجماعة، يعني البطر في اللبس، والتعالي على الناس، وإن

من اللبس والزينة ما يكون بطرًا ورياءً وترفع عن الناس، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك كما نهى الرسول ﷺ عن لبس الديباج والحرير... رواه البخاري.

كما نهى ﷺ أيضًا عن الشهرتين دقة الثياب وغلظها، ولينها وخشونتها، وطولها وقصرها، ولكن السواء (أي الوسط): «**فيما بين ذلك واقتصاد**» أخرجه البيهقي عن أبي هريرة.

أما الصدقة في اللباس فيقول الرسول ﷺ: «**ما من مسلم كسا مسلمًا ثوبًا إلا كان في حفظِ الله تعالى ما دام عليه خرقةٌ منه**» أخرجه الترمذي عن ابن عباس.

كما أمرنا الله -سبحانه تعالى- أن نتزين ونأكل ونشرب بلا إسراف ولا بطر: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

٥- آداب الحديث

قبل أن نتكلم عن آداب الحديث نعرف الكلمة وتأثيرها ليس على الفرد فقط، ولكن على المجتمع أجمع فمن الكلمات ما قتل، ومن الكلمات ما سبب الحروب، ومن الكلمات ما هدم الأسر، ومن الكلمات الطيبة ما يشرح الصدور والقلوب وما يجعل من الحياة سعادة.....، ولذلك ذكر الله -سبحانه تعالى- الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، وضرب الأمثال لهما.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

أ- ومن الكلمات الطيبة

ويقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن الكلمات الطيبة:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم

بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا ﴾ [النساء: ٨٦].

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿ وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ [الحج: ٢٤]، ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ [الزمر: ١٨].

ب- ومن الكلمات الخبيثة

ويقول سبحانه وتعالى عن الكلمات الخبيثة: ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ﴾ [التوبة: ٧٤].

﴿ ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ [الكهف: ٥].

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ [النحل: ١١٦].

﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ [الفرقان: ٧٢].

ومن آداب الحديث

يقول الرسول ﷺ: «**من المروءةِ أن ينصتَ الأخُ لأخيه إذا حدَّثه ومن حسنِ المماشاة أن يقفَ الأخُ لأخيه إذا انقطعَ شسعَ نعلِه**» رواه أنس.

يجب على المرء ألا يكون بذيئًا: فلا يكون لعَّانًا، ولا منَّانًا، ولا نمّامًا، ولا يقول

الفاحش من القول، ولا يشهد الزور، ولا يجادل بغير حق، ولا يكون كذَّابًا..... من الصفات التي سبق أن أوردنا فيها كلام الله وأحاديث الرسول ﷺ، وكذلك من يتكلم بالصفات الحسنة؛ كالصدق، والوفاء، والعهد، ويكون كما وصفه الرسول ﷺ: «**طوبَى لمن شغلَه عيبُه عن عيوبِ الناسِ، وأنفقَ الفضلَ من مالِه وأمسكَ الفضلَ من قولِه، ووسعَته السُّنَّةُ فلم يعدْ عنها إلى البدعةِ**» أخرجه الديلمي عن أنس.

وإن ضحك في المجلس فيكون ضحكه مما يحبه الله، ويرضى عنه؛ حيث قال ﷺ: «**الضحكُ ضحكان: ضحكٌ يحبُّه اللهُ وضحكٌ يمقتُه اللهُ: أمَّا الضحكُ الذي يحبُّه اللهُ فالرجلُ يهشُّ في وجهِ أخيه حداثة عهدٍ به وشوقًا إلى رؤيتِه، أمَّا الضحكُ الذي يَمقُتُه اللهُ تعالى عليه فالرجلُ يتكلمُ بالكلمةِ الجفاءِ، أو بالباطلِ ليضحكَ، أو يُضْحِك فيهوي في جهنمَ سبعين خريفًا**» أخرجه الحسن البصري مرسلًا.

قال رسول الله ﷺ: «**استعينوا على إنجازِ الحوائجِ بالكتمانِ فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ**» أخرجه أبو نعيم عن معاذ بن جبل.

٦- آداب الجلوس

ويقول رسول الله ﷺ: «**إذا دخلَ أحدُكم إلى القومِ فأوسعَ له فليجلسْ فإنَّها كرامةٌ من الله أكرمَه بها أخوه المسلمُ فإنْ لم يوسعْ له فلينظرْ أوسعَها مكانًا فليجلسْ فيه**» الحارث عن أبي شيبة.

وقد نهى الرسول ﷺ: «**أن يقامَ الرجلُ من مقعدِه ويجلسُ فيه آخرُ**» أخرجه البخاري، و«**أن يجلسَ الرجلُ بينَ الرجلين إلا بإذنِهما**» أخرجه البيهقي.

ولا يصح أن يتناجى اثنان، والثالث بجوارهما حتى لا يحرج الثالث.

٧- آداب دخول البيوت

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟

ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٢٧-٣١].

والآيات جميعها واضحة بأن تأتي البيوت من أبوابها، ثم تطرق الباب، ثم تستأنس، وإذا قيل لك: ارجع فلا تدخل، وإذا دخلت سَلِّم وغُضَّ بصرك، واجلس، واحفظ نظرك ولسانك، وعلى النساء أيضًا أن يغضضن من أبصارهن، وعندما يدخلن على الضيف أن لا يبدين زينتهن لغير المحارم، وأن يلبسن الخمار و... كما هو مبين في الآيات السابقة.

الإسلام يؤدب أفراده ليحسن سلوكهم في أسرهم وفي مجتمعهم.

رابعًا

منهج الإسلام في الحريات

يعيبون على البلاد الإسلامية أنها بلاد لا تطبق الديمقراطية، وحكامها يسلبون الناس حرياتهم، ويرجعون كل تقصير إلى أنهم مسلمون وتناسوا، أو نسوا أيضًا أن ما نحن فيه ما هو إلا نتاج ثقافتهم؛ حيث إن الحريات الديمقراطيات التي يتشدقون بها تطبق في بلادهم فقط، أما في البلاد التي قُهِرَت باستعمارهم القديم والحديث فكانوا يقتلون ويسجنون كلَّ من نادى بالحرية، وقام المجتمع الأوربي أو الغربي عمومًا بسلب ثروات الشعوب وحرمانهم من حق التعليم والحياة وقامت حربان عالميتان في القرن العشرين للتنافس على سلب ثروات الشعوب، وحرياتهم وعندما بدأ العالم الإسلامي في النهوض؛ لكي يستعيد قوته نرى تحالف الاستعمار القديم الإنجليزي مع الاستعمار الحديث الأمريكي لإعادة احتلال الشرق الإسلامي؛ بحجة نشر الديمقراطية، وعندما تعرض الغرب الأوربي والأمريكي لما تعرضت له البلاد الإسلامية من المأجورين عن طريق مخابراتهم لمحاربة عدوهم السابق السوفيت في أفغانستان؛ حتى انقلبوا عليهم بعد ما حققوا لهم مآربهم وتحطم الاتحاد السوفيتي.

وجاء رئيس الكون الجديد بوش الصغير ليعلن للعالم أجمع وباسم الدين والفضيلة ونشر الديمقراطية -وهم منه براء- بدء حرب صليبية جديدة في الشرق الإسلامي، وصودرت الحريات حتى في بلادهم، وانتهكت الحرمات، ووُضع الناس في السجون بلا محاكمات، وقُتل النساء، والأطفال، والشيوخ في الشوارع بلا ذنب إلا أنهم يملكون مصادر البترول.

ولا يرجع العيب فقط في الاستعمار، وأذنابه ولكن يرجع العيب فينا أيضًا؛ حيث اتخذ البعض منا أمريكا وليًّا من دون الله، وذهبنا نلهث وراء العلمانيين والغربيين ونسينا ما أمر الله ورسوله به من حفظ حقوق الناس، والتراحم بينهم،

واحترام آدميتهم كما علمنا من القرآن والسُّنَّة، فشتَّان بين تعاليم دين حنيف، وسلوك قادة المسلمين والأفراد.

وقبل أن نتكلم عن الحريات في الإسلام نتكلم عن الحريات في الديانات الأخرى المماثلة كاليهودية، والمسيحية، والهندوكية والبوذية....وخلافه.

نجد أن الإسلام اختلف عنهم جميعًا في أنه حدد الحريات، ووضع المناهج لحرية الأفراد، والأسرة، والمجتمع المحلي، والمجتمع الإنساني بما يدعو إليه من تراحم، وتعاون، وإخاء بين الناس أجمع بلا استعلاء جنس على جنس، هذا جنس آري، والآخر أنجلو ساكسون مثلًا.

اختلاف في اللون من أبيض وأسود وأصفر والأحمر واختلاف الجنس من ذكر وأنثى، فالوطن في الإسلام قرية واحدة وطن واحد دين بسيط لا كهنة، ولا أحبار، ولا سلطان عليه إلا سلطان عقله وعلاقته بالله -سبحانه تعالى.

أمر الإسلام أصحابه باستخدام العقل في جميع أمورهم سواء أكانت أمور دين، أو دنيا، ولم يلغ العقل إلا في التفكير في كنه الله -سبحانه وتعالى- فكيف يفكر المحدود في اللامحدود؟ ولم يطلب الإسلام من أتباعه أن يلغى العقل، أو يسلمه بلا فهم إلى غيره، ولذلك يعلي العقل، ويرفض الكهانة؛ ولذلك حرص القرآن الكريم على مخاطبة العقل دون غيره فلا شعوذة، ولا كهانة، ولا أحبار، ولا وسطاء بين العبد وربه بين المخلوق والخالق ولا شفاعة للإنسان عند الله إلا العمل والعطاء في أسرته، ومجتمعه الإنساني، وأن يتوجه بهذا العمل إليه -سبحانه وتعالى- دون سواه بضمير مخلص وقلب سليم ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

فلا سلطان على عقل المسلم فعقله حر طليق فلا هياكل، ولا محاريب، ولا وساطة بينهم وبين الله في أي مكان تصلي وتعبد الله مباشرة: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

فصلة الإنسان بالله ممدودة موصولة في أي مكان وزمان يستطيع المسلم أن يناجي ربه مباشرة بلا وساطة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥].

فلا حاجة للمسلم إلى كهنة، أو هيكل، أو وسيط، أو شفيع؛ لأنه أمام الله مباشرة بعمله وتقواه، ومصيره إلى الجنة، أو النار معلق بما قدمت يداه في الدنيا من خير، أو شر لنفسه ولمجتمعه: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

فلا يوجد في الإسلام الاختصاص بحق الفهم والتفسير، والاحتكار للصواب والحكمة، أو امتلاك مفاتيح المغفرة والسماء؛ ولذلك أسقط الإسلام سلطان الكهانة والأحبار، ولم يقبل من المسلم أن يلغي عقله تحت أي سلطان، وقد احترم الإسلام العقل فقدمه على ظاهر الشرع عند التعارض.

يقول الإمام محمد عبده: ليس في الإسلام سلطة سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير من الشر، ولم يجعل الإسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطانًا على عقيدته ولا سيطرة على إيمان أحد، ونبوة الرسول ﷺ نفسه هداية قوامها التبليغ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الإبلاغ والتذكير بلا سيطرة ولا تجبر: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

وسبيل الدعوة إلى الله الحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

والإسلام دين يحض على احترام العلم والعلماء، والرجوع إلى أهل الذكر: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وإن أردت أن تستفسر عن أمر لا تعرفه فاسأل أهل الذكر من العلماء: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

ولك أن تتبين الفارق بين أهل الذكر والعلماء في الدين الإسلامي ومن غيره من الديانات الأخرى، الفارق هو فارق امتلاك العلم والحكمة فقط، وامتلاك السلطة فارق بين من سيتعلم العلم ويبذله للناس وبين من يدعي احتكار علم السماء والمعرفة وفلسفة النصوص والأسرار، فالمادة عند علماء الإسلام المعرفة فقط وليس التنبؤ، أو السحر والتنجيم، فلا قداسة للعلماء وأهل الذكر من المسلمين، كما أنهم لا يدعون القداسة كما يدعي الكهان والراءون والعرافون، يؤدي علماء المسلمين الفرائض والمناسك والشعائر التي يؤديها سائر المسلمين، فلا طقوس ولا مباخر ولا مراسم خاصة ولا قرابين، ولا شفاعات ولا ذبائح، ولا يصغون إلى صوت الله ولا يتكلمون باسمه ولا يتمايزون بعلمهم ولا بطبقاتهم، ولا يتخذون الدين حرفة أو تجارة، إن العلماء وأهل الذكر في الإسلام شموع تضيء دون أن تصادر عقول الناس، وتنشد بذل العلم والهداية؛ ابتغاء مرضاة الله بلا ادعاء أو استعلاء.

أولاً: حقوق الإنسان في الإسلام

لم يُذكر في العهدين القديم والحديث حقوقٌ للإنسان عمومًا بطريقة محددة، لكن كل ما ذكر من حقوق هي حقوق بني إسرائيل فيما بينهم، أما ما دونهم فهم كالحيوانات ليس لهم حقوق الناس، أو فيما يملكون، وعندما جاءت المسيحية استعبد الناس بعضهم بعضًا بحجة اختلاف العقيدة، وما اضطهاد مسيحي أوربا مسيحي الشرق، إلا لأنهم كانوا يفتقدون المنهج، أو أنهم طبقوا منهج العهد القديم في القتل والتدمير.

وعندما جاء الإسلام حدد الله حقوق الإنسان تحديدًا دقيقًا، فحركة المسلم محكومة؛ حريته الشخصية، وعلاقته بأسرته وبمجتمعه، حرية لا تضر الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع، ولذلك حددت الحريات في الإسلام بالآتي:

أ- حرية العقيدة

حرية العقيدة في الإسلام مكفولة لكل البشر داخل المجتمع الإسلامي يتساوى فيها المسلم وغير المسلم سواء أكان كتابيًّا (اليهودي والمسيحي)، أو غير كتابي كالوثنيين الذين يعبدون البقر والنجوم والنار وغيرها ... وقد أقر الإسلام حرية العقيدة منذ أربعة عشر قرنًا حدد الله -سبحانه وتعالى- ذلك في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

الأمر واضح؛ لا إكراه في الدين، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، حرية كاملة أن تكون مسلمًا أو غير ذلك، أنت حر في اختيار ديانتك؛ لأن الدين علاقة شخصية بينك وبين ما تعبده ولا دخل لنبي أو رسول في هذا الاختيار، لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا، لذلك لم يذكر في التاريخ قط حادثة إكراه في بلاد الإسلام على ترك دين أحد إلى الإسلام، وقد فتح الإسلام الهند واستمر حكمه قرونًا طويلة تاركًا الناس وما يعبدون، ولماذا لم يجبروا الهنود على اعتناق الإسلام وهم الفاتحون، وكما انتشر الإسلام في إندونيسيا ولم يذهب إليها أي من العرب المسلمين، وفي مصر والشام وجميع البلاد التي دخل فيها الإسلام لم يجبر إنسان على ترك دينه ولم تهدم كنيسة ولا صومعة ولا معبدٌ سواء لليهود، أو المسيحيين، أو البوذيين، أو غيرهم، كل شخص يعبد ما يحلو له، لا إكراه في الدين، حرية عقيدة كاملة، وهذا خليفة المسلمين عمر بن الخطاب يرفض الصلاة في كنيسة القيامة في القدس؛ حتى لا يتخذها المسلمون بعد ذلك سُنَّة، وحافظ على كنائس القدس بما

فيها، ألم يكن عمر بن الخطاب قادرًا على هدم جميع الكنائس؛ حيث إنها مخالفة لدينه، كما فعل المسيحيون في الأندلس وغيرها؟

ب- الحرية الشخصية في الإسلام

الحرية الشخصية في الإسلام مكفولة بصورة واضحة، فلا سلطان لأحد على الإنسان إلا نفسه أمام الله، فهو حر في عقيدته حر في سلوكه أيًّا كان هذا السلوك صحيحًا أو مشينًا، بشرط أن تكون هذه الحرية في حدودك الشخصية لا تضر بها أحدًا سواء في أسرتك أو مجتمعك، فأنت حر مثلًا في أن تشرب الخمر، بشرط أن تكون مستورًا في منزلك، أو في أي مكان تريده، ولكن لا تخرج على الناس وأنت في حالة سُكْرٍ بيِّن وتهاجم الناس مثلًا، أو أن تركب سيارتك وأنت مخمور؛ فتتسبب في إضرار الناس وقتلهم، ولنا في هذه الحالة قصة سيدنا عمر بن الخطاب مع شارب خمر مثلًا في الحرية الشخصية في الإسلام، فقد علم خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أحد المسلمين يشرب خمرًا في منزله، فذهب عمر بن الخطاب إلى المنزل وتسوَّره، وأمسك أمير المؤمنين بشارب الخمر متلبسًا، فقال شارب الخمر لأمير المؤمنين: يا أمير المؤمنين أنا أخطأت في واحدة وأنت أخطأت في خمس، فقال له عمر ابن الخطاب: كيف؟ فقال: أنا شربت الخمر في منزلي، والله سترني وهذا خطأ شخصي أما أنت:

١- فتجسست عليَّ والله نهانا عن ذلك، فلا يتجسس بعضنا على بعض: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]، يلاحظ أن التجسس والغيبة كأنك تأكل لحم أخيك الميت؛ إنها صورة بشعة لهذه الأفعال التي تضر بالمجتمع.

٢- أمرنا الله -سبحانه تعالى- أن نأتي البيوت من أبوابها، وأنت تسوَّرت المنزل وهذا ليس من حقك: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

٣-٤-٥ أمرنا الله -سبحانه تعالى- أن نطرق على الباب حتى نسمع الرد، ثم نسلم على أهلها، ولا يدخل الإنسان المنزل إلا إذا أذن له، وإذا لم يؤذن له وقيل له: ارجع فليرجع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٧-٢٨].

لا يوجد عليك سلطان حتى إن كان أميرًا للمؤمنين كعمر بن الخطاب، فلقد صوَّبت امرأة في المسجد رأيه في المهور، فحريتك الشخصية مكفولة، فهي علاقة بينك وبين الله بلا ضرر للآخرين، حرية ينفذها الحاكم بلا تأثيم، أو سجن، أو اضطهاد.

جـ- حرية الفرد وعلاقته بالأسرة والمجتمع

حرية الفرد في الإسلام ليست حرية مطلقة، ولكن هناك ضوابط تحكم هذه الحرية عندما تتعارض هذه الحرية مع الأسرة والمجتمع، فلا يمكن أن تخرج إلى المجتمع بسلوك لا يقبله بحجة حريتك الشخصية، وأين حق الآخرين؟ فعلى سبيل المثال حرَّم الإسلام شرب الخمر؛ للضرر الذي يسببه للفرد والمجتمع منذ ظهور الإسلام، بينما الولايات المتحدة الأمريكية حرَّمت الخمر في بعض الولايات في القرن العشرين لنفس الأسباب: الإدمان، وضياع الفرد والأسرة، ولذلك فقد قيد الإسلام الحرية الشخصية في الآتي:

١- شرب الخمر ولعب الميسر

وعلى الرغم من أن هناك مكاسب تُجنى من تجارة شرب الخمر ولعب الميسر إلا أن هذه الفوائد أقل بكثير من ضررهما: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ

كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

وقد حرَّم الله -سبحانه تعالى- الخمر والميسر تحريمًا قطعيًّا، فهل أنتم منتهون؟ لأن كليهما يهدم البدن، والنفس، والأسرة، والمجتمع، كما أن مدمن الخمر مصاب بالعديد من الأمراض التي تؤدي إلى الموت، كما يؤثر على الدخل الاقتصادي لأسرته مما يؤدي إلى ضياعها.

وكذلك يفعل الميسر بصاحبه عندما يدمنه، فلا همَّ له ليلًا ونهارًا إلا اللعب لتعويض خسارة، أو زيادة في مكسب مدمرًا صحته، وماله، وأسرته أيضًا، فالحرية هنا ليست شخصية؛ إنك تشرب خمرًا، أو تلعب ميسرًا، أنت حر في نفسك نعم، ولكن أضررت بالأسرة والمجتمع، فأنت عالة على أسرتك غير منتج للمجتمع، وقد علمنا الإسلام كيف نقلع عن شرب الخمر، وذلك بالتدرج وعلى مراحل؛ لوجود نسبة عالية من الكحول في الدم، فلا تستطيع أن تقلع عنها مرة واحدة، ولكن حرَّمها الله -سبحانه- على مراحل كما سبق أن بيَّنَّا سابقًا.

يقول رسول الله ﷺ: «**الخمرُ أمُّ الفواحشِ وأكبرُ الكبائرِ ومنْ شربَ الخمرَ تركَ الصلاةَ ووقعَ على أمِّهِ وعمتِهِ وخالتِهِ**» الطبراني عن ابن عمر.

٢- الزنى

نعم هي علاقات شخصية، أنت حرٌّ في أفعالك، ولا يعلمها إلا الله فهو يعلم السر وأخفى، والزنى على الرغم من أنه عملية غير أخلاقية دينيًّا، ومحرمة في جميع الديانات السماوية إلا أن بعض المجتمعات الحديثة التي يقال عليها متحضرة تبيحها؛ بحجة الحرية الشخصية ونسوا -أو تناسوا- الأضرار البالغة التي لا تصيب

الفرد فقط، بل تصيب الأسرة، والمجتمع المحلي، والمجتمع الإنساني أجمع.

فقد قُتل- من السيلان والزهري، وذلك قبل اكتشاف المضادات الحيوية- الملايين من البشر، ومن صفات هذين المرضين الخطيرين أن لهما ثلاث مراحل:

ففي المرحلة الأولى: يصيب الأجزاء التناسلية لكل من الرجل والمرأة.

والمرحلة الثانية: يتحرك الميكروب حيث يصل إلى الكبد والرئة والطحال والكلى...

والمرحلة الثالثة: يصل الميكروب إلى المخ مما يتسبب في الوفاة.

وينتقل هذا المرض عن طريق الجماع، واللمس، والغوط، وخلافه، ولذلك نجد جيوش العالم تعطي المستجدين من أفرادها عند دخولهم الخدمة العسكرية حقنة من سم الزرنيخ؛ حتى يقتلوا أي فرد حامل للميكروب في المراحل المتأخرة؛ حتى لا ينتقل الميكروب إلى الجيش؛ مما يسبب قتل الجنود، لذلك نجد أن الجيوش المتحضرة تقتل الأفراد المصابين بالأمراض الجنسية؛ خوفًا على بقية القوات، وهو نفس المنطق في قتل المحصن المتزوج؛ حيث يتسبب ليس في قتل نفسه فقط، ولكن في قتل أولاده وزوجته وبدون ذنب.

نعم، حريتك الشخصية، ولكن أضرت بحرية الآخرين، أما الزاني غير المحصن فيجلد رحمة به؛ حتى يقلع عن هذا الفعل لمصلحة نفسه: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢- ٣].

ونجد نفس الأمر في العهد القديم في كتاب اللاويين **الإصحاح (٢٠)**: إذا زنى الرجل مع امرأة قريبة فالزانية والزاني يقتلان، وإذا عاشر رجل زوجة أبيه فكلاهما يُقتل لأنه كشف عورة أبيه ...

يقول الرسول ﷺ: «منْ زنَى أو شربَ الخمرَ نزعَ اللهُ منه الإيمانَ كما يَخلعُ الإنسانُ قميصَه من رأسِه» الحاكم عن أبي هريرة.

٣- الشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق)

حرَّم الله -سبحانه وتعالى- هذه العملية منذ بدأ التاريخ وذمَّها بشدة وقد أجرى أكبر عملية عذاب في البشرية على قوم لوط، أول من بدءوا هذه العملية وهي زواج المثل ومضاجعة الرجل للرجل والأنثى للأنثى (السحاقيات)، وهي أيضًا من الجرائم المغلظة في الإسلام وحكمها أيضًا الرجم حتى الموت.

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [النمل: ٥٤-٥٨].

وقد أمطر الله عليهم حجارة من سجيل مسومة، وجاء سيدنا جبريل، وقلب الأرض فجعل عاليها سافلها: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

ونجد أيضًا نفس العقوبة في العهد القديم في كتاب اللاويين **الإصحاح** (٢٠): وكذلك إذا ضاجع رجل ذكرًا مضاجعة امرأة فكلاهما يُقتل؛ لأنهما ارتكبا رجسًا، فويل لهم؛ لأنهم جلبوا على أنفسهم شرًّا.

وفي كتاب أشعياء **الإصحاح** (٣): عقاب جميع الطبقات، ملامح وجوههم تشهد عليهم؛ إذ يجاهرون بخطيئتهم كسدوم، ولا يسترونها فويل لهم؛ لأنهم جلبوا على أنفسهم شرًّا.

ومن العجيب وباسم الحرية الشخصية ينادي الغرب الأوربي والأمريكي

بحرية هذه العملية، وتنشأ الكنائس لهذه العلاقة المشينة، ولتزويج الأمثال ليس هذا فحسب، بل يريدون أن تنتشر أيضًا في البلدان الشرقية، فهذا تحدٍّ ومن نتحدى؟ نتحدى الله، وقد حرمها الله في العهد القديم وكذلك في القرآن الكريم.

نلاحظ في القرآن أن عذاب الذين يأتون الفاحشة بحجارة من سجيل منضود مسومة مكتوب عليها اسمه، وما هي من الظالمين ببعيد، ويستمر هذا العذاب إلى يوم الدين، ونجد حديثًا أن الله -سبحانه وتعالى- أرسل على هؤلاء المجاهرين بهذه الجريمة فيروس الإيدز؛ حيث أول من أصابت الشواذ من الرجال والنساء جعلتهم كالهشيم، ولا يعلم جنود ربك إلا هو، ويموت الملايين من البشر في القارات الخمس، ويتبجح الغرب باسم الحرية الشخصية ويريدون أن تتفشى هذه الفاحشة في المجتمعات، فأي حرية شخصية تلك التي تدمر المجتمع البشري؟!!

يقول الرسول ﷺ: «**مَنْ ماتَ مِنْ أمتِي يعملُ عملَ قومِ لوطٍ نقلَهُ اللهُ إليهم حتى يُحشرَ معهُم**» رواه الخطيب عن أنس، «**مَنْ وقَاه اللهُ شرَّ ما بين لحييه (الفكَّين واللسانِ) وشرَّ ما بين رِجليه دخلَ الجنةَ**» الترمذي عن أبي هريرة، «**لعنَ اللهُ المتشبهاتِ مِن النساءِ بالرجالِ والمتشبهين مِن الرجالِ بالنساءِ**» الترمذي.

كما نهى الرسول ﷺ أيضًا عن تغيير خلق الله بوشم الوجه، وإذا أزالت الحواجب، وأعادت رسمها النامصات، فقال ﷺ: «**نهَى عن الوشمِ في الوجهِ**» رواه أحمد.

٤- قتل النفس (الانتحار)

قتل النفس محرم شرعًا في جميع الأديان، فهذا الجسد وتلك الروح والنفس ليست ملكك أنت، ولكنها ملك الذي خلقها فسوَّاها فعدلك في أي صورة ما شاء ركَّبك، ويقول الله -سبحانه: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ

لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢].

كما شرع الإسلام أحكامًا؛ لحفظ حياة الإنسان حتى وهو في بطن أمه، وحفظ حقوقه: المادية، والأدبية، والشرعية، فقد حرَّم الإسلام على الإنسان أن يؤذي نفسه، أو ينال جسده أي ضرر كإدمان خمر، أو شرب مخدر أو زنا، أو...أو... حتى نهى الإسلام عن تشويه خلق الله بالوشم، ويمكن أن يقال: أنت حر في نفسك مثلًا، ولكن كما سبق أن بينا أن جسدك وعقلك ونفسك ليست ملكك أنت، بل ملك الله - سبحانه وتعالى- هو الذي يحي ويميت، وأنه على كل شيء قدير، بل يجب أن تحافظ عليها سليمة معافة، ولا تنزل ببشريتك- التي كرمك الله بها فأنت خليفة الله في الأرض- إلى منزلة الدواب في عمليات: الزنا، واللواط، والمخدرات... وبالتالي ليس لك الحق أن تبيع أجزاء جسدك تحت أي ظرف من الظروف.

يقول الرسول ﷺ: «**الذي يخنقُ نفسَه يخنقُهَا في النار، والذِي يَطعنُهَا يَطعنُهَا في النارِ**» البخاري عن أبي هريرة.

«**مَنْ تردَّى مِن جبلٍ فقَتَلَ نفسَه فهُو فِي نارِ جهنمَ يَتردَّى فيها خالدًا مُخلدًا فيها أبدًا ومَنْ تَحسَّى سُمًّا فقتَلَ نفسَه فسُمُّه في يدِه يتحسَّاه فِي نارِ جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ومَنْ قتلَ نفسَه بحديدةٍ فحديدتُه فِي يدِهِ يجئ بها بطنِه فِي نارِ جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**» البخاري عن أبي هريرة.

وليس تحريم القتل للانتحار فقط، ولكن قتل أية نفس بشرية مؤمنة، أو مسلمة، أو غير ذلك، ولأهل القتيل في جميع الحالات لهم حق القصاص: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨-١٧٩].

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا

يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

لاحظ أن الآية جمعت بين قتل النفس، والزنا؛ ليذكر ما سبق أن ما بيناه أن الزاني لا يقتل نفسه فقط، بل يقتل الآخرين من أسرته والملاصقين له أيضًا، وقد ربط -مرة أخرى- القرآن قتل النفس والزنا في الآية:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٢-٣٣].

ويقول الرسول ﷺ: «**اجتنبُوا السبعَ الموبقاتِ: الشركَ بالله، والسحرَ، وقتلَ النفسِ التي حرَّمَ اللهُ إلَّا بالحقِّ، وأكْلَ الربَا، وأكْلَ مالِ اليتيمِ، والتَولِّي يومَ الزحفِ، وقذْفَ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ**» رواه البخاري.

«**قَتْلُ المؤمنِ أعظمُ عند اللهِ مِنْ زوالِ الدنيَا**» رواه النسائي.

«**الكبائرُ: الشركُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفسِ، واليمينُ الغموسُ، ألَا أُنبئكُم بأكبرِ الكبائرَ؟**» قالَوا: بلى يا رسول الله، قال: «**قولُ الزورِ**» رواه أنس.

٥- ترويع الآمنين

الطريق في المجتمع الإسلامي له حق، وله حريته المقدسة، فالكل في المجتمع المسلم نظيف وآمن، آمن على نفسه وأسرته، آمن على ماله وزرعه، آمن في منزله وفي طريقه وفي مزرعته، وليس لأي إنسان الحق في أن يروع الناس في الطريق: كقطع الطريق، والسرقة بالإكراه، واغتصاب النساء، والقتل، والبلطجة، وفرض الإتاوات، والضرب... وفي هذه الحالات جميعها يقتص الإسلام من الفاعل بعقوبات مغلظة تصل إلى حد القتل للشخص الذي تسول له نفسه قطع الطريق، وتسمى الآية التي جاء فيها هذا الأمر بآية الحرابة: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى

ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

ليس هذا فحسب، فقد نهى الرسول ﷺ أن تمزح مع صاحبك، وفي يدك حديدة حتى لا تخيفه، وهذا الأمر ليس بين المسلمين فقط، ولكن بين المسلمين وغيرهم: «**أبغضُ الرجالِ إلَى الله الألدُّ الخصمُ**» رواه البخاري. «**مَنْ لَا يَرحم الناسَ لَا يَرحمه اللهُ**» الترمذي عن أبي سعيد. «**سبابُ المسلمِ فسوقٌ وقتالُه كفرٌ**» الشيخان عن ابن مسعود. «**مَنْ اقْتطَعَ أرضًا ظُلمًا لقي اللهَ وهوَ عليه غضبانٌ**» ابن ماجه عن ابن عمر. «**اتقُوا الظلمَ فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ واتقُوا الشحَّ فإنَّ الشحَّ أهلَكَ مَنْ كان قبلكُم حملَهُم على أن سفِكُوا دماءَهُم واستحلُّوا محارِمَهُم**» رواه مسلم.

«**مَنْ أغيثَ عنده أخُوه المسلم فلمْ ينصرْه، وكان يستطيعُ نصرَه أذلَّه اللهُ في الدنيَا والآخرةِ**» ابن أبي الدنيا عن أنس. «**مَنْ أغاثَ ملهوفًا كتبَ اللهُ لـه سبعين مغفـرةً، واحدةٌ منها فيها صلاحُ أمرِه كله، واثنتان وسبعون له درجاتٌ يومَ القيامةِ**» البخاري عن أنس.

«**اشتدَّ غضبُ الله علَى مَنْ ظلمَ مَنْ لم يَجدْ له ناصرًا غيرَ الله**» الديلمي عن علي. «**مَنْ حملَ علينَا السلاحَ فليسَ منَّا ومَنْ غشَّنَا فليسَ منَّا**» رواه مسلم. «**مَنْ ضارَّ مسلمًا ضارَّ اللهُ به ومَنْ شاقَّه شاقَّ اللهُ عليه**» الترمذي. «**اثنان يُعَجِّلُهُمَا اللهُ في الدنيَا البغيُ وعقوقُ الوالدين**» الطبراني عن أبي بكرة. «**لَا تُرَوِّعُوا المسلمَ فإنَّ روعةَ المسلمِ ظلـمٌ عظيمٌ**» الطبراني.

٦- ازدواج معايير الحريات عند الغرب

يقولون: إن الفرد حرٌّ في ملبسه، ومشربه، ومظهره، وجسده... حرية مطلقة، ونجد مستعمرات العراة في الغرب رجالًا ونساءً كما ولدتهم أمهاتهم بحجة الحرية، وتعريض هذه الأجزاء من الجسم إلى الشمس بلا حياء حرية كاملة في العرى، ثم

عابوا علينا حرية الستر، فعندما تغطي المرأة المسلمة جسدها وشعرها يجبرونها على خلع هذا الستر أنت حر في ملبسك، وأنا حر أيضًا في ملبسي، فالحرية لك والاضطهاد لي ولا حرية للآخرين، وللأسف نجد بعض المتأسلمين والمنافقين في ندواتهم وأحاديثهم يحابون الغرب، ويدَّعون أن حرية المرأة في الستر هي شيء قميء، ويستهجنون الستر ولم يستهجنوا على الغرب عراهم، أنت حر في عدم الطهارة، وأنا حر في طهارتي، فعندما تتكلم عن الحرية فهي لي ولك، ولا تفرض رأيك وثقافتك على الآخرين بالقهر المادي والأدبي، وبكل سبل الضغط؛ حتى تجبر الآخرين أن يمتثلوا لآرائكم وثقافتكم.

أنتم تمارسون الشذوذ الجنسي باسم الحرية، وشيدتم الكنائس؛ لزواج الأمثال وأصبح الأمر طبيعيًّا في مجتمعاتكم على الرغم من مخالفة ذلك لجميع الشرائع السماوية والأخلاقية؛ مما يسبب تدمير المجتمع، وانتشار الأمراض الوبائية كالإيدز مثلًا مدمرًا البشرية، ملايين الناس يُقتلون سنويًّا، ثم تريدون أن تفرضوا علينا هذا الطراز من السلوك والأخلاق باسم الحرية، وباسم الحرية يقوم مجتمع الشواذ أمام الأمم المتحدة؛ لكي تأمر مصر مثلًا أن يقام مجتمع للشواذ في مصر والبلاد الإسلامية، أنتم أحرار في أخلاقياتكم ونحن أحرار في أخلاقياتنا، أنتم أحرار في شذوذكم وانتشار الأمراض بينكم، ونحن أحرار في أن نحمي شبابنا وأسرنا من التدمير، ونحن أحرار في عفتنا وإسلامنا.

قامت الدنيا في المجتمعات الغربية وحملات كبيرة متنوعة أنفقت فيها ملايين الدولارات لماذا؟ لعدم ختان الإناث! ونسألكم لماذا لا تختنون ذكوركم، وهو أمر واجب في العهد القديم هل نأتي إليكم مثلًا، ونتدخل، ونقول لكم يجب على كل ذكر أن يختتن، أم سيقولون: إنها حرية شخصية.. حرية لكم... وليست لغيركم؟

عدم وجود ديمقراطيات في البلاد الإسلامية ووجودها في الغرب: عندما كان الإنجليز يحتلون العالم ومنها مصر، هل علَّموا المصريين الديمقراطية، وأن ينتخبوا ما يريده الشعب و... و... أم صادروا جميع الحريات، وأعدموا من خالفهم،

وأغلقوا المدارس والمصانع، وتفشى الجهل والأمراض و...؟ وماذا فعل الغرب في الهند والصين؟ ولماذا لم يطبقوا الديمقراطية حتى في بلادهم؟ فهل سمح الغرب وأمريكا أن تعتنق شعوبهم مثلًا فكر الماركسيين أم حاربوهم، وأدخلوا من اعتنق هذا الفكر السجون؟ وأين الحرية التي يتحدثون عنها؟

وهذه أمريكا عندما تعرضت إلى الإرهاب كما يتعرض له العديد من الدول الإسلامية وغير الإسلامية: كأيرلندا وإسبانيا وإيطاليا وغيرها من إرهاب فماذا فعلوا؟ أدخلوا المسلمين السجون... صادروا حريات الناس بدون وجه حق... قتلوا الآلاف من النساء، والأطفال، والرجال في أفغانستان والعراق... تفتيش المنازل والحقائب بلا سبب! سجن الأبرياء بلا محاكمة! تلفيق التهم للمسلمين! فأين الديمقراطية التي تتحدثون عنها... احتلال شعوب... تعذيب في السجون... تلفيق أسباب الغزو... تلفيق للأخبار؟! ... الكل سواء، سواء قالوا: إنهم بلاد الديمقراطية، أو غيرها.

أما الإسلام فله قواعد لا تتغير تحدد حركة الإنسانية في الكون، قواعد وضعها رب الناس أجمعين، فإذا طُبقت أمنت البشرية جميعها، وتعيش الأمم في سلام، ولنا في عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الذي قال: (والله لو عثرت بغلة في الطريق في العراق، فإني مسئول عنها أمام الله يوم القيامة).

وهذا مبعوث إمبراطور فارس جاء ليقابل خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، فقيل له: هذا النائم تحت الشجرة، فلم يجد قصرًا، ولا حرسًا، ولا حاشية، فقال الرجل قولته المشهورة: (عدلت فأمنت فنمت يا عمر).

فكانت الدولة الإسلامية في عهد حفيده عمر بن العزيز لم يجد من يستحق الزكاة من الصين للأندلس، فأيُّ عدل هذا؟!

إن ما يوجد في بلاد الإسلام من عدم وجود حريات، أو ديمقراطيات كما تدَّعونها هي سلوك الناس، وليس للإسلام دخل فيه.

فقواعد الإسلام ثابتة لا تتغير، فالعيب ليس في الإسلام، بل العيب فينا، في سلوك المسلمين، فالله قد أمرنا بالشورى في الحكم فلا استبداد، ولا تسلط، ولا ديكتاتوريات، فالله -سبحانه تعالى- أمر رسوله محمدًا ﷺ وهو لا ينطق إلا وحيًا بأن يكون الأمر بينه وبين أصحابه شورى، وهو القادر أن يقول فيطاع: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أمر الرسول ألا يكون ديكتاتورًا قَطُّ، غليظ القلب، كما يفعل الديكتاتور في بلده، بل أمره أن يعفو عمن يسيء إليه، ويستغفر للجاهلين، وأن يشاور أصحابه في الأمور، وبعد ذلك يتوكل على الله الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨-٣٩].

وقد أمرنا الله -سبحانه- بعد الرسول ﷺ أن يكون الأمر شورى بين المسلمين فالشورى أساس الحكم في الإسلام وبالانتخاب الحرِّ في اختيار خليفة المسلمين، وهذا ما حدث بعد وفاة الرسول ﷺ، وعندما انتُخب سيدنا أبو بكر الصديق أميرًا للمؤمنين قال: إني وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ...

كما أمر الرسول ﷺ أن لا يؤمَّر على الناس من يطلب الإمارة، بل يؤمَّر من هو أهلٌ لذلك.

خامسًا

منهج الإسلام في الحقوق والواجبات

اهتم الإسلام كما بيَّنَّا سابقًا بالفرد، والأسرة، والمجتمع ولا يمكن انفصال فرد عن أسرته، أو مجتمعه بل هي منظومة واحدة لها حقوق وعليها واجبات؛ حتى يكون المجتمع مثاليًّا كما أراده الله -سبحانه وتعالى- ورسوله، حتى نكون فعلًا خلفاء الله في الأرض.

ويهتم الإسلام بوحدة الأسرة وليس كما في المجتمعات الغربية، فمنذ بدء الخليقة والأسرة هي الأساس، فخلق الله سيدنا آدم وأخرج منه زوجته؛ ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة؛ ليكوِّنا معًا أول أسرة في التاريخ البشري، وجعل الولاية في الأسرة للأب؛ لأنه أكثر تحملًا للمسئولية؛ ولكي يعمل ويكدح ويعول الأسرة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وليس معنى ذلك إهدار حق المرأة وهي نصف المجتمع أو نصف الأسرة؛ فهي الأم والأخت والزوجة والبنت والعمة والخالة... وقد حماها الإسلام، وجعل لها ولايتها الخاصة على مالها، ولا دخل لزوجها في ذلك، وقد سبق أن تحدثنا عن ذلك، أما ما سنذكره هنا هو علاقة المرأة بأسرتها، وفضل المرأة في الإسلام، ومنزلة الأم خاصة.

١- حق المرأة على زوجها

أ- العلاقة الجنسية

يقول الرسول ﷺ: «**إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتنحى حتى تقضي حاجتها كما يحب أن يقضي حاجته**» رواه ابن عدي.

وقد نهى الرسول ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة (الخطيب عن جابر).

هذا حقها في الجنس، وليس حق الرجل فقط حتى لا تأتي زوجتك كما تأتي الدواب الملاعبة، والغزل، وخلافه قبل الجماع ولا تتنحى؛ حتى ترضى هي أيضًا، سكن ومودة ورحمة بين الزوجين.

ب- الإنفاق عليها وعلى الأسرة

يحث الرسول ﷺ الزوج على الإنفاق على أسرته، وقد طمأنه أن هذا الجهد والتعب للإنفاق على الأسرة هو في سبيل الله؛ بل هو من أفضل الأعمال عند الله سبحانه حيث يقول الرسول ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك؛ أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**» رواه مسلم.

«**إن الله سائل كل راع عمن استرعاه أحفظ أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**» ابن حبان عن أنس.

«**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم**» ابن عساكر عن علي.

وقد نهى الرسول ﷺ عن التحدث بما يتم بين المرء وزوجه: «**إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**» رواه مسلم.

٢- حق الرجل على امرأته

أن تحفظ بيته، وأن تغض البصر، وتحفظ فرجها، وتحفظ ماله، وتربي عياله، وأن تساعده على بناء أسرة سعيدة، وإذا طلبها لا تغضبه، وأن تجعل المسكن سكينة وهدوءًا؛ حتى لا يضطر إلى أن يخرج، ويصاحب أصحاب السوء.

ويقول الرسول ﷺ: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مئونة**» أحمد عن عائشة.

«**لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء**» الترمذي.

«**الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه، ويقول له ادخل النار مع الداخلين**» الديلمي.

«**أعظم الناس حقًّا على المرأة زوجها، وأعظم الناس حقًّا على الرجل أمه**» الحاكم عن عائشة.

«**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته؛ فالإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والابن راعٍ في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**» متفق عليه عن ابن عمر.

في حالة عدم توافق الزوجين

وفي حالة عدم التوافق بين الزوجين فقد حدَّد الإسلام الطلاق للرجل، والخلع للمرأة فالحقوق متساوية، وقد بين الإسلام أنَّ على الرجل والمرأة أن يصبرا ولا داعي للانفصال عسى الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل بينهما محبة وخيرًا عظيمًا، وعلى الرغم من الرخصة التي أعطانا الإسلام إياها، إلا أن الرسول ﷺ قد بيَّن لنا أنها أبغض الحلال يقول الرسول: «**أبغض الحلال عند الله الطلاق**» رواه أبو داود في سننه. «**تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن**» رواه ابن عدي. «**لا تطلقوا النساء إلا من ريبةٍ فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات**» رواه الطبراني.

فقد نهى الله -سبحانه وتعالى- عباده أن يتخذوا الطلاق والخلع وسيلة للتعدد، والاستمتاع الجنسي، والله لا يحب الذوَّاقين والذوَّاقات؛ لأن أساس الزواج هو تكوين الأسرة وليس الجنس فقط، وإن كان لا بد من الانفصال فأمر الله -سبحانه

وتعالى- الرجل أن لا يكره المرأة على طلب الخلع؛ ليأخذ ما أعطاها إياه ظلمًا فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ [النساء: ١٩].

كما أمر الله المرأة المسلمة في حالة طلاقها أو خلعها أن تبين وتظهر ما في رحمها؛ حفاظًا على الأنساب وحفاظًا على حقوق الطفل لدى أبيه وأسرته.

٣- حق الأولاد على الوالدين

لما كان الإنجاب هو الهدف في تكوين الأسرة فقد بيَّن الله -سبحانه وتعالى- أن الإنجاب بيده هو، وهي إرادة الله -سبحانه؛ لعلمه بهذه الأسرة وما ستنجبه من أولاد رزقهم .. حياتهم... فبرحمة من الله يرزق من يشاء من الزوجين من الذرية ذُكْرَانًا أو إناثًا، أو ذُكْرانًا وإناثًا، أو أن يكون عقيمًا ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] وقد بيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- أن المال والبنين هي من زينة الحياة الدنيا: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦].

كما أن الأولاد فتنة مثل الأموال، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، كما بيَّن لنا -سبحانه وتعالى- أن الذكر والأنثى من الرجل وليس من الزوجة وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥-٤٦].

ومن حق الولد على الوالدين الآتي:

أ- حسن اختيار الوالد لأمه وكذلك اختيار الأم لأبيه

وكان من حق الطفل على أبويه حسن الاختيار سواء من أبيه أو أمه، وجعل من أساس الاختيار هو الدين وحسن الخلق وليس الشكل فقط؛ إذ يقول الرسول: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**» وقال ﷺ: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**».

ب- حق الطفل وهو جنين في بطن أمه وحتى يكون شابًّا

١- حق الطفل وهو في بطن أمه:

حسن تغذية الأم له، وبعد ذلك رضاعته لمدة عامين تقريبًا، حتى يكون طفلًا قويًّا.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال -سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ومن حقه على أمه في حالة الطلاق أن لا تخفي نسبه: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

٢- حق الطفل ألا يُذبح قربانا أو خشية الفقر

وقبل الإسلام كان العرب يذبحون أولادهم قرابين للآلهة، وكان منهم من يقتلهم خشية الفقر، وكان منهم من يقتلهم خشية العار، وفي ذلك يقول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٠]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ ﴾ [الإسراء: ٣١]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩].

ويقول الرسول ﷺ: «**إن الله حرَّم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**» البخاري ومسلم عن المغيرة. وقال ﷺ: «**لا تكرهوا الفتيات فإنهن المؤنسات الغاليات**» عقبة ابن عامر.

٣- حق الأولاد في التعليم والزواج

ومن حقوق الأولاد أيضًا على آبائهم يقول الرسول: «**إنَّ من حقِّ الولد على والده أن يعلمه الكتابة، وأن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا بلغ**» ابن النجار.

«**حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه، وأن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيبًا، وأن يزوجه إذا أدرك**» رواه الحاكم.

٤- حق الأولاد في أن يعدل الآباء بينهم وأن يحسنوا اختيار أسمائهم

عند إعطاء الوالد لأولاده شيئًا فلا بد أن يعدل بينهم، ولا يفرق بين الأولاد، ولا بين الأولاد والبنات، ويقول الرسول: «**اتقوا واعدلوا بين أولادكم**» رواه النعماني.

«**ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلًا أحد لفضلت النساء**» رواه الطبراني.

وهنا بيَّن لنا رسول ﷺ منزلة المرأة في الإسلام خصوصًا الأم، وحفظ أنساب الأولاد، وتكون أسماؤهم جميلة وليست الجحش والأسد... وكذلك تعليم الأولاد القراءة والكتابة، وتمضية وقت الفراغ بتعليم الأولاد السباحة، وعلى الرغم أن بيئته كانت خالية من الماء وكذلك الرماية وركوب الخيل؛ لأنه ﷺ يتحدث إلى البشرية عامة.

وللبنات عمل المغزل والتريكو والتفصيل وخلافه، وأن يعدل بين الأولاد حتى لا يحدث البغضاء بينهم، ولا يظلم الفتيات في العطاء، ولنا في سورة يوسف أسوة حسنة، حيث حقد الأخوة على أخيهم يوسف حيث كان محببًا إلى والديه، ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [يوسف: ٨].

٥- حق الأولاد في العدل في الميراث ولا يكره أولاده على اتباع دينه

وكذلك بين لنا حقَّ الأولاد في الميراث، وقد حدده الله -سبحانه وتعالى- في قرآنه العظيم، وقد سبق أن تحدثنا عن المواريث، كما نهى الآباء والأبناء عن الشحناء والقتل وفي حالة اختلاف العقيدة بينهما فعلى الوالد أن لا يرغم ابنه على الكفر إذا كان كافرًا:

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وعلى الولد أن يدعو أباه إلى الإيمان بالمعروف حيث يقول الله سبحانه: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥].

٤- حق الوالدين على الأبناء

كما أن للأبناء حقًّا على والديهم، فإن للوالدين حقًّا أيضًا على أبنائهم، وقد أمرنا الله -سبحانه وتعالى- بها، وهي في الآيات الكريمة التالية:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤-١٥]

يقول رسول الله ﷺ: «**طاعة الله طاعة الوالد، ومعصية الله معصية الوالد**» البخاري ومسلم عن أبو هريرة.

«**من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله**» البخاري عن أنس.

«**الجنة تحت أقدام الأمهات**» رواه الحاكم.

«**ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظرة رحمة إلا كتب الله بها حجة مقبولة مبرورة**» الرفاعي.

«**من أصبح مطيعًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدًا فواحد**» ابن عساكر عن ابن عباس.

«**من حج عن والديه أو قضى عنهما مغرمًا يبعثه الله يوم القيامة مع الأبرار**» الدارقطني عن ابن عباس.

وقال ﷺ: «**الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**قول الزور**» عن أنس.

«**اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين**» الطبراني عن أبي بكرة.

وقد نهى رسول الله عن عقوق الوالدين: «**كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبها في الحياة قبل الممات**» الطبراني.

وقد نهانا الله -سبحانه وتعالى- أيضًا حتى عن قول: أفٍّ لهما، أو ننهرهما، أونغلظ لهما القول، ولكن أن نبرهما حتى يكونا راضيين علينا فيرضى عنا الله - سبحانه، وجعل حبك لوالديك كحبك لله سبحانه، يلاحظ في سورة الإسراء (٢٣،

٢٤) وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]. وضع شكر الله سبحانه مع الوالدين.

٥- حق الأرحام

قال رسول الله ﷺ في الرحم: «**إن الله تعالى كتب في أمِّ الكتاب قبل خلق السماوات والأرض إنني أنا الرحمن: خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**» رواه الطبراني عن جرير.

الرحم: أخذ من رحم الأم، ومن الرحمة ومن اسم الله سبحانه الرحمن، والأرحام منهم النساء، وذوي القربى: كالأخت، والخالة، والعمة، وبنات الأخ، وبنات الأخت والأخوات من الذكور ...

وقال الله -سبحانه وتعالى- في صلة الرحم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾. وقال الله -سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦].. وقال الله -سبحانه وتعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢].

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم؛ ألا ترضين أن أصل من وصلكِ وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال فذلك لك**» رواه الشيخان عن أبي هريرة.

وقال ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**» رواه البخاري.

أما عن قاطع الرحم يقول الرسول ﷺ: «**اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة: قاطع الرحم، وجار السوء**» الديلمي عن أنس.

وقال رسول الله ﷺ: « **ما من أحد يدعو بدعاء إلا أتاه الله ما سأل، أو كفَّ عنه من السوء مثله ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم**» رواه أحمد.

٦- حقُّ اليتامى

اهتم الإسلام اهتمامًا كبيرًا بقضية اليتامى في المجتمع فقد جعل اليتيم له منزلة خاصة في الإسلام من حيث رعايته وحفظ ماله وحقوقه، وإذا كان طفل له والد واحد وأم واحدة، فإن اليتيم جعل الله له جميع الرجال الصالحين آباء له، وجميع الأمهات الصالحات أمهات له.

وقد أفرد الله -سبحانه وتعالى- العديد من الآيات الكريمة التي تحث المسلمين على علاقة المسلم باليتيم، قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨].

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الفجر: ١٧].

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾ [النساء: ٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء: ١٠].

يقول الرسول ﷺ: «**من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو كهاتين -وقرن بين إصبعيه- في الجنة**» رواه الحكيم عن أنس.

«أتحب أن يلين قلبك وتدرك صاحبك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك تُلِن قلبك وتُدْرك صاحبك» رواه الطبراني، وأبو الدرداء.

«خير بيت للمسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت للمسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، وأنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا -وأشار بإصبعيه» رواه البخاري عن أبي هريرة.

٧- حق المساكين وابن السبيل والسائلين

أ- إطعام المساكين

قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة: ٣٤]. ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ [المدثر: ٤٤].

ب- الإحسان إلى المسكين

قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٨]. ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠].

جـ- جزاء عدم إطعام المساكين

قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ [القلم: ٢٤-٢٦].

د- جزاؤه في الآخرة

قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٤]. ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون: ٣].

«ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة » الطبراني عن عائشة.

«لكل شيء مفتاح، ومفتاح الجنة حبُّ المساكين والفقراء» رواه أبو سهل عن ابن عمر.

«والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم بالليل والصائم بالنهار » الشيخان عن أبي هريرة.

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » متفق عليه.

٨- حق ذي القربى والجيران

وهم الأقرباء سواءٌ ذوو رحم أو غيرهم وهم المساكين من أولاد العم والأخوال والأقرباء من جهة الأب والأم:

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ٣٦].

المسكين: هو الإنسان الذي عنده دخل، ولكن دخله لا يكفي من يعولهم؛ حيث يقول الله –سبحانه: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩].

الجار ذو القربى: الجار القريب فله حق الجوار وحق صلة الرحم.

الجار الجنب: الجار الأجنبي عنك الذي لا قرابة بينك وبينه.

الصاحب بالجنب: وهو رفيق السفر (عن ابن عباس) قال الزمخشري: هو رفيقك في السفر أو الجار الملاصق لك، أو شريك لك في العلم، أو القاعد جنبك في المجلس، وقيل المرأة.

ابن السبيل: أي المسافر القريب الذي انقطع عن بلده وأهله.

ما ملكت أيمانكم: الإماء والعبيد.

قال رسول الله ﷺ:

«**حق الجار: إن مرض عدته، وإن مات شيعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن اعور (ظهرت عورته) سترته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عنه الريح، ولا تؤذيه بريح قِدْرك إلا أن تغرف له منها**» الطبراني.

«**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» الشيخان عن عائشة.

«**ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به**» البزار عن عائشة.

«**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**» رواه الشيخان.

«**اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة: قاطع رحم وجار سوء**» الديلمي عن أنس.

٩- حق الطريق والأسواق

للطريق حقوق في الإسلام، وله ضوابط في القرآن والسُّنَّة.

يقول الله -سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧].

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

يقول رسول الله ﷺ عن آداب الطريق:

«**لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلمٌ عظيمٌ**» رواه الطبراني.

«**ليس المؤمن طعانًا ولا لعانًا ولا فاحشًا ولا بذيئًا**» رواه مسلم.

«**من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة**» ابن عدي.

«**من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له في الأجر كمن حجَّ واعتمر**» رواه الخطيب عن أنس.

«**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**» الشيخان عن ابن مسعود.

«**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله يقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه فيصبح يكشف ستر الله عنه**» رواه البخاري ومسلم.

«**أفضل الأعمال عند الله التودد إلى الناس**» الطبراني.

«من رأى منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان» رواه مسلم.

«شر المجالس الأسواق -الطرق- وخير المجالس المساجد فإن لم تجلس في المسجد فالزم بيتك» الطبراني.

«تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر وإرشادك الرجل في أرض خلاء صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق صدقة» البخاري.

«من أماط أذى عن طريق المسلمين كُتبتْ له حسنة، ومن تُقِبِّلَت منه حسنة دخل الجنة» رواه البخاري عن ابن يسار.

«بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوكٍ على الطريق فأَخَّره فشكر الله فغفر له» رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر.

«مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأُنَحِّيَنَّ هذا عن طريق المسلمين لئلا يؤذيهم فأدخل الجنة» رواه مسلم.

١٠- حقوق الناس عامة

يقول رسول الله ﷺ:
«لا تمارِ -تجادل- أخاك ولا تمازحه -بما يتأذّى به- ولا تعده فتزلفه» الترمذي.

«لا تروعوا المسلم فإن روعته المسلم ظلمٌ عظيمٌ» الطبراني.

«لا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم فإن لها آجال كآجال الناس» أبو نعيم.

«لا تظهر الشماتة لأخيك؛ فيرحمه ويبتليك» الترمذي.

«من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة» البيهقي.

«**من نظر إلى أخيه نظرة ودٍّ غفر الله له**» الحكيم عن ابن عمر.

«**من نفَّس عن غريمه أو محا عنه كان في ظلِّ العرش يوم القيامة**» مسلم عن أبي قتادة.

«**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» الترمذي عن أبي سعيد.

«**من يتكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا أتكفل له الجنة**» أبو داود عن ثوبان.

«**من عيَّر أخاه بذنبٍ لم يمت حتى يعمله**» الترمذي.

«**من أعان ظالمًا ليدحض بباطله حقًّا؛ فقد برئت منه ذمة الله، وذمة رسوله**» الحاكم عن ابن عباس.

«**من أغاث ملهوفًا كتب الله له سبعين مغفرة؛ واحدةٌ منها صلاح أمره كله، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة**» البخاري عن أنس.

«**من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره -وهو يستطيع نصره- أذلَّه الله في الدنيا والآخرة**» ابن أبي الدنيا عن أنس.

«**نعم العطية كلمة حقٍّ تسمعها ثم تحملها إلى أخٍ لك مسلم فتعلمه إياها**» الطبراني عن ابن عباس.

«**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» أنس.

«**لا تختلفوا فإن من قبلكم اختلفوا فهلكوا**» ابن مسعود.

«**من كان عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطُرحت عليه**» البخاري.

«**من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا**» البخاري عن ابن عمر.

«**من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس**» أحمد

«**من استطاع منكم أن يستر أخاه المؤمن بطرف ثوبه فليفعل**» الديلمي عن جابر.

«**من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه**» مسلم.

«**من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين**» متفق عليه عن سعيد بن زيد.

«**من شفع لأخيه شفاعة وأهدى له هدية فقبلها فقد أتى بابًا من أبواب الربا**» أحمد وأبو داود.

وهناك مئات الأحاديث النبوية الشريفة التي تبيِّن العلاقة بين الإنسان المسلم والإنسان عامة والمسلم بصفة خاصة.

١١- حق العمل في الإسلام

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال رسول الله ﷺ:

«**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، واعلموا أن أجره هو عمله**» البيهقي.

«**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده؛ فإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**» البخاري.

«**ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا فيأكل منه الطير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**» الشيخان عن أنس.

« من أمسى كالًّا من عمل يديه أمسى مغفورًا له» ابن عباس.

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» الطبراني.

١٢- حق العلماء

قال رسول الله ﷺ:

«أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله» الخطيب عن جابر.

«العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا؛ فإذا خالطوا السلطان وأدخلوا الدنيا فقد خانوا الله والرسل فاحذروهم» العقيلي عن أنس.

«اغدُ عالمًا، أو متعلمًا، أو مستمعًا، أو محبًّا، ولا تكن الخامس -الجاهل- فتهلك» البيهقي.

«آفة الدين ثلاثة: فقيرٌ فاجرٌ، وإمامٌ جائرٌ، ومجتهدٌ جاهلٌ» الديلمي عن ابن عباس.

«عالم يُنتفع بعلمه خير من ألف عابد» الديلمي عن علي.

١٣- حق المواطنة في المجتمع الإسلامي وعلاقة المسلمين بالأغيار

لا يوجد في المجتمع الإسلامي أي تفريق أو تمييز للمسلمين عن غيرهم؛ فالكل في المجتمع الإسلامي سواء؛ لأننا جميعًا بشر من أبٍ واحد، وأمٍّ واحدةٍ، فإن اختلفنا في أدياننا فهذا حرية العبادة وهي لله وحده، ولا دخل للمسلمين في ذلك، إلا أن يمنعوا المسلمين من تبليغ ما وصل إليهم من القرآن الذي أنزل على عبده محمدٍ رسول الله ﷺ، ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ففي الإسلام لا فرق بين عربي وأعجمي وحبشي إلا بالتقوى؛ فالأخوة هنا أخوة دين وأخوة في البشرية، فنحن أمام الله سواء، وفي قصة قصيرة عن حق المواطَنة في صدر الإسلام وهي قصة المصري القبطي مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص، وهذه القصة بيَّنت علاقة المسلم بغير المسلم، وعلاقة الحاكم بالرعية سواء المسلمين أو غيرهم؛ ولذلك انتشر الإسلام بالعدل في أقطار الدنيا في زمن قياسي والقصة كالتالي:

تسابق ابن والي مصر عمرو بن العاص مع صبي قبطي مسيحي فسبقه القبطي، فصفعه ابن عمرو وقال له: أنا ابن الأكرمين؛ فذهب والد الصبي المسيحي إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب في المدينة، واشتكى له عمرو بن العاص، وما فعله ابنه مع ابنه، فاستدعى عمر بن الخطاب والي مصر عمرًا ومعه ابنه، وقال عمر بن الخطاب للصبي المسيحي: اضرب ابن الأكرمين حتى تقتص منه؛ ثم قال قولته المشهورة: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتُهم أحرارًا.

واتسعت سماحة الإسلام لجميع الأغيار منذ عهد الخلفاء الراشدين فعُومل الصابئين -عبدة الكواكب- في شمال العراق معاملة أهل الكتاب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

حتى المجوس -عبدة النار- الذين ظلَّت معابدهم قائمة لقرون كثيرة في بغداد، وفارس، وكرمان، وخراسان، وأذربيجان مثلما اتسعت سماحة الإسلام لأهل الكتاب من يهود ونصارى، عاش أهل هذه الديانات مستقرين آمنين على أرواحهم وممتلكاتهم وعقائدهم في ظل الإسلام؛ مما جعلهم يقبلون طائعين مختارين في التكافل مع المسلمين في نهضة العالم أجمع في ظل دولة الإسلام الكبرى من الأندلس إلى الصين.

والإسلام لم يجافِ الأغيار، ولم يحاربهم أو يقتلهم كما حدث في البوسنة والهرسك حديثًا، وفي الأندلس قديمًا فلم يُتح لليهود في عهد من العهود منذ القدم

ما أتيح لهم في بلاد الإسلام، وعندما أزيح المسلمون من الأندلس بسقوط غرناطة (١٤٩٢م) انطلق المسيحيون إيذاءً واضطهادًا وقتلًا للمسلمين واليهود (محاكم التفتيش) ولم يجد اليهود فرارًا من اضطهاد الملك فيليب الثالث إلا النُّزوح إلى بلاد الإسلام منها فرارًا إلى المغرب لائذين بتسامح الإسلام والمسلمين، وقد واصلوا العيش دهورًا، وما زالوا يعيشون في المغرب ولهم جميع حقوق المواطنة في ظل الإسلام.

سماحة الإسلام مع النصارى وأتباع سيدنا المسيح سماحةٌ لازمت الأمر من الله تعالى في وصفهم في القرآن: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣].

ولنا في رسول الله أسوة حسنة ففي كتاب الرسول ﷺ إلى عامله في اليمن: «**لا يفتتن نصراني عن ملته...**».

وهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يتحرج أن يصلي في كنيسة القيامة - يوم فتح القدس وهو أمير المؤمنين وكان قادرًا على هدم جميع الكنائس- مخافة أن يطمح المسلمون في اتخاذها مسجدًا بعد ذلك، ويوصي المسلمين من بعده بألا يصلوا جماعة غير مؤذنين للصلاة، كما يكتب أمير المؤمنين لصفرينوس حين تصالح على بيت المقدس كل ما طلبه من أمان وضمان لعدم مساكنة اليهود لهم مخافة الإيذاء الشديد.

وهذا عمرو بن العاص يدخل مصر فيعطي للنصارى الأمان على كنائسهم وصلبانهم، ولم يمد يده قَطُّ إلى أي شيء من أملاك الكنيسة، ولم يتدخل في شئونها.

وفي الأندلس عاش المسلمون، واليهود، والنصارى في دولة الإسلام بلا

فروق، وقد تقلدوا أرفع المناصب في الدولة الإسلامية كما أعفوا النصارى في يوم الأحد من العمل؛ ليقوموا بصلواتهم في الكنائس؛ مما دعا العديدُ منهم إلى اعتناق الإسلام طواعية وبغير قهر.

ونجد المزارات المسيحية في مصر مثلًا هي أيضًا مزارات للمسلمين، يوقرها المسلمون، ويزورنها بلا حرج أو مضايقة لإخوانهم النصارى، وذلك في دير سانت كاترين، والدير المحرق بأسيوط، والقديس مارجرجس، وسانت تريزا بشبرا صورة رائعة لاحترام الأغيار.

ونسأل الغرب الذي يتغنى بالحرية والإخاء: هل يمكن لرعاياه أن يتبرك بمزار إسلامي مثلًا في الأندلس؟ وهل ترى في النصارى منهم سواء الغرب أو الشرق من يسمي ابنه محمدًا مثلًا؟ ولكن نجد المسلمين يسمون أولادهم بأسماء جميع الأنبياء ورسل الله السابقين بلا حساسية: مثل موسى، وهارون، وداود، وسليمان، وأيوب، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومريم، ولا يجدون أية غضاضة في ذلك؛ لأنهم طُبعوا على سماحة الإسلام، وإجلال الإسلام لجميع الأنبياء والرسل ولا فرق بين أحدٍ من رسله.

ومن سماحة الإسلام مع الأغيار الوفاء بالعهد، مهما وجدت أية ذريعة في الخلاف أو الحرب لم يخلفوا العهود، ففي عهد رسول الله ﷺ في صُلح الحديبية لاذ مسلمٌ قرشيٌّ برسول ﷺ فأبى الرسول ﷺ إلا أن يرده إلى ذويه من كفَّار قريش احترامًا لصلح الحديبية الذي نصَّ على ذلك.

بينما نقض اليهود في المدينة ما عاهدوا عليه الرسول ﷺ عندما قدم المدينة وآخى بين الأوس والخزرج، وبين المهاجرين والأنصار، ومع اليهود حيث عقد مع اليهود معاهدة، وأقرهم على دينهم، وعبادتهم، وأموالهم واضعًا أساسًا تسير عليها العلاقات بين اليهود والمسلمين في سلام وأمان، وقد ساوى ﷺ بين اليهود والمسلمين في وجوب النصرة، كما عقد رسول الله عقدًا مع نصارى نجران؛ حيث كتب لهم: «**نجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على ما تحت أيديهم، من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا**

كاهن من كهنته، وليس عليه دية ولا دم جاهلية ولا يحسرون ولا يُعسرون ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقًّا فبينهم النصف غير ظالمين، ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي الأمي رسول الله أبدًا، حتى يأتي الله بأمره».

وعن أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية:

أقرت الشريعة الإسلامية للأجانب معاملة خاصة قفزت قفزات هائلة صعودًا بأوضاعهم، وحقوقهم، ومعاملتهم بعد ما كانوا يُعاملون قبل الإسلام معاملة عدائية، فعلى سبيل المثال: نظر اليونانيون القدماء إلى الأجانب على أنهم برابرة أعداء، أعدتهم الطبيعة ليكونوا خدمًا وعبيدًا لهم فكان للشريعة الإسلامية أثرٌ هائل في تطور معاملة الأجانب، والاعتراف لهم بمركز قانوني منظَّم عومل به الذميون والمستأمنون معاملة متميزة قوامها: العدالة والمعاملة بالمثل، والوفاء بالعهد، والأخلاق، ونصرة الضعيف دون الالتفات إلى: جنسه، أو لونه أو دينه.

ولم تعرف الإنسانية قبل الإسلام أي شرف في الحروب، فلا حدود، ولا ضوابط؛ فاستبيح القتل للقتل، ولا يُستثنى منه مسالم، أو شيخ، أو طفل، أو امرأة؛ السبايا تُقتل، وتُذبح، وتُحرَّق، ولا تُستبقى، وإن بقيت فللاسترقاق بأنواعه وأشكاله وأغراضه وشهواته، هذا هو العهد القديم بإصحاحاته يؤكد ذلك، وقد مجَّد الشهوة، وسفك الدماء، واسترقاق خلق الله، وتذبيح وتحريق الأسرى بعد وضعهم تحت مناشير ونوارج وفئوس الحديد، فإن أفلت فليكن مطية مستعبدة مملوكة في حياتها وجسدها وعرضها.

أمَّا الإسلام بسماحته فلم يُبح الحرب إلا لضرورة الدفاع عن النفس، وإزالة الصد عن سبيل الله، وبقيت الحرب في شريعة الإسلام مكروهة لا تُباح إلا لضرورة تظل محكومة بها فلا تجاوزها ولا تتعداها، ولا يخوضها الإسلام -إن فرضت عليه- للتقتيل أو التذبيح أو الحرق وإنما لغاية سامية توقف الحرب، ويجنح للسلم فور بلوغها، ووضع الإسلام أول أساس لقانون الحرب للتخفيف قدر المستطاع من

ويلاتها، وشرورها وحسبنا أن نعرف أن الإسلام أول من احترم الأسير وأفسح لنجاته ولمعاملته بالحسنى ولقبول الفداء بل والمن بإطلاقه.

فمع أن المحارب الأسير، سلف منه القتل للمسلمين، إلا أن الإسلام لم يضيِّق عليه الحماية؛ فوضع القرآن دستورًا عظيمًا في رعاية وفداء وتبادل الأسرى؛ حيث يقول الله -تعالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: ٤].

بل أضاف الإسلام عدم جواز استرقاق الأسير فإمَّا المنُّ: وهو تركه بلا فدية، أو تركه بعد دفع الفدية، ولا ثالث لهما، ثم أضاف القرآن حقَّ الأسير في الصدقات، والرحمة، وإطعامه ويقول الله -سبحانه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨].

جمع الأسير المشرك مع الأيتام المساكين من المسلمين لا فرق بينهم، وقد أقر فقهاء القانون الدولي على اختلاف أجناسهم، ومللهم، وأديانهم بأن أفضل من سنَّ قواعد وقوانين الحرب هو شريعة الإسلام، هذا التعانق الفريد بين المساواة والتسامح في الإسلام.

والتسامح في الإسلام يشكل ملمحًا ناصعًا من ملامح عالمية هذا الدين وعنايته بالأغيار... لا يطلب الإنسان -أي إنسان- من دينه لا يدين به أكثر من أن يحس في كنفه بالمساواة مع الجميع وقد خلق الله الناس مختلفين، والاختلاف بين الناس سُنَّة كونية حيث يتسع الإسلام للعالمية ليحيا الجميع في دوحة الإسلام في مساواة لا تمييز، ولا تعالي، ولا اضطهاد فيها.... عبقرية الإسلام أن الأمان في الإسلام للجميع مسلم وغير مسلم بلا مصادرة لدين، أو ملَّة، أو عقيدة؛ وعلى العكس من ذلك نجده في إسرائيل الدولة العبرية فغير العبري: من مسلم أو مسيحي في الدرجة الثانية، وليس له حقوق اليهودي، هذا التصرف من معتقداتهم، ويقولون: إن واحة الديمقراطية في الشرق بقتل الناس، وهدم المنازل، وحرق المزارع... بلا ذنب إلا أن يريدوا أرضهم المسلوبة وحريتهم المنقوصة في بلدانهم، وها هم المسلمون في أوربا وأمريكا خاصة الآن يُضطهدون لا لشيء إلا أنهم

مسلمون ويتحدثون عن الإسلام والأغيار!!

يقول الرسول ﷺ: «**من آذى ذميًّا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة**».

وقال -صلوات الله عليه: «**من ظلم معاهدًا أو انتقص حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسٍ فأنا خصمه يوم القيامة**».

كما أمر الرسول ﷺ المضطهدين من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة؛ ليعيشوا في رعاية ملكٍ مسيحي وهو النجاشي، وكذلك تزوج الرسول ﷺ من مارية القبطية وأنجب منها ولده إبراهيم الذي توفي عن عمر ثلاث سنوات، كما كان درعه مرهونًا عند يهوديٍّ عند وفاته ﷺ، فالعلاقة بين الرسول ﷺ وبين معتنقي الأديان الأخرى من يهودٍ ونصارى كانت علاقة أخوة وبلا مراء كما يروجه الغرب، فعلى سبيل المثال مما ذكر سابقًا: ففي صدر الإسلام كانت المعارك والحروب الطاحنة بين الفرس والروم وهزم الفرسُ الرومَ وفرح بذلك كفَّار قريش؛ وحزن المسلمون حزنًا شديدًا؛ لأن الروم هُزِموا ولأنهم إخوتهم؛ فهُم أهل كتاب بينما الفرس عبدة نار، وقد نزل قرآن في ذلك في حين بشَّرهم الله -سبحانه وتعالى- أن الروم سيغلبون بعد ذلك وهو أمر عجيب:

﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ١-٥].

وقد أبلغنا الله -سبحانه وتعالى- في أجمل صور بلاغية وتصويرية لميلاد سيدنا المسيح -عليه الصلاة والسلام- والتي تخلو جميع الأناجيل منها.

وفي عقيدة الإسلام أنت حر في اختيار دينك بلا مخابرات، ولا سجون، ولا تجسس، حرية كاملة فلا إكراه في الدين.

لماذا يُقْتل المرتد عن الإسلام؟

إذا كنتم تقولون عن الإسلام: أنت حر في اختيارك لدينك، فلماذا تقتلون المرتد عن الإسلام؟

مبدأ الدخول في الإسلام هو عدم الإكراه وأن تدخل طواعية ولا إكراه في الدين. والدخول في الإسلام يحدث دون مغريات مالية، أو جنسية، أو سلطان، أو جاه ... فإن دخلت في الإسلام دخلته بكامل حريتك بعد الاطلاع على تعاليمه وهي كثيرة جدًّا؛ ولكنها بسيطة جدًّا تحفظك من كل سوء في الدنيا والآخرة، وتعلم كذلك تفاصيل هذا الدين من قبل أن تدخل فيه، ومن ضمن هذه التفاصيل أن تعرف مقدمًا أن الارتداد عن الدين بعد اعتناقك له يكون سببًا في قتلك؛ فكن حريصًا قبل إسلامك...؛ لأن خروجك بعد الإسلام ليس له سبب إلا الفتنة في الدين، والفتنة بين المسلمين ... لماذا خرج؟ ماذا وجد في الدين يجعله يرتد؟! ولذلك يقول الله -سبحانه وتعالى- فيهم: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩١-١٩٣].

فالقتال في سبيل إبلاغ الدعوة، فإن قاتلتني حتى لا أبلغ دعوة الله فسوف أقاتلك وقد أمرنا الله -سبحانه وتعالى- أن نحارب من يحاربنا، أو يخرجنا من بيوتنا، وكذلك أمرنا بقتال من يفتنَّا في الدين أيضًا، وقد قال -سبحانه: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[البقرة: ١٩٢].

ومن أسباب نزول هذه الآية أن اليهود في المدينة في عهد رسول الله ﷺ وبعدما أعطاهم حقوقهم بالكامل في احتفاظهم بدينهم وممتلكاتهم ...و... وهي عهد الصحيفة، إلا أنهم كادوا للإسلام بأن قال بعضهم لبعض: قولوا آمنا بالإسلام في الصباح، وفي المساء اخرجوا من الإسلام، وعن سؤال الناس لكم قولوا لم نجد في

الإسلام شيئًا، وهو ليس دينًا؛ وذلك ليفتنوا الناس البسطاء، وقد فعل ذلك بعض أحبار اليهود إلا أن الله -سبحانه- كشف سرهم في قرآنه حيث قال: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

ولذلك وجب قتل المرتد؛ لأنه يريد أن يفتن الناس في دينهم، وهذا الأمر -وهو قتل المرتد- ليس في الإسلام فحسب فهذا أيضًا وأكثر تشديدًا في العهد القديم؛ حيث ذكر في سفر التثنية **الإصحاح** (٢٩) عقوبة المرتد عن الله: لئلا يكون بينكم رجلٌ، أو امرأةٌ، أو عشيرةٌ، أو وسيطٌ مال قلبُه عن الرب إلهنا، فغوى آلهة تلك الأمم؛ فاحرصوا ألا يكون بينكم مَنْ تأصل فيه الشر؛ فيحمل ثمرًا علقمًا سامًّا... إن الرب لا يشاء الرفق بمثل هذا الإنسان؛ بل يحتدم غضبه وغيرته عليه. فتنزل به كل اللعنات المدونة في هذا الكتاب ويمحو اسمه من تحت السماء...

والرب واحد: إسلام، أو يهودية، أو مسيحية؛ والتعاليم واحدة وهو قتل المرتد عن الدين فليس بدعة في الإسلام، بل تشدد الأمر في العهد القديم أيضًا؛ حيث أمر بقتل الإنسان الذي يجدف عن اسم الرب ففي كتاب اللاويين **الإصحاح** ٢٤: عقاب المجدف.

كل من شتم الله يعاقب بذنبه، ومن جدف على اسم الرب يقتل أو يرجمه الشعب رجمًا والغريب كالإسرائيلي يعاقب بالقتل عند تجديفه على اسم الرب.

سادسًا

منهج الإسلام في المعاملات المالية

فلسفة المال في الإسلام هي: أن المال هو مال الله، ونحن مستخلفون فيه، ليس لنا الحق في التصرف فيه إلا بما جاء في القرآن الكريم والسنة الطاهرة؛ حيث قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور: ٣٣].

والمال هو جزء من الرزق المحدد لك في اللوح المحفوظ، وهذا الرزق: مال، وزرع، وأنعام، وأولاد، وعلم،... وخلافه:

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

وهذا الرزق مُنَزَّل بقدر وبحساب:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

ويقول الرسول في حديث قدسي: «**إنَّ مِنْ عبادي من إذا أغنيتُهم لفسدوا، وإن منهم من إذا أفقرتهم لفسدوا...** ».

وإذا كان المال مال الله -سبحانه، ونحن مستخلفون فيه؛ فقد ذكرنا الله - سبحانه وتعالى- أن لا نأسى على مال قد فُقِد، أو رزق قد فُقِد، ولا نفرح بما أتانا، ولا نطغى، ولا نكن من المختالين الفخورين:

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٣].

والمال الكثير الذي يعطيه للناس ليس معنى ذلك أن الله يحبهم ويكره من نقص عنه المال؛ ولذلك قال الله:

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ [النحل: ٧١].

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ولذلك جعل الله -سبحانه وتعالى- الفوارق بين الناس؛ حتى تسير عجلة الكون؛ فهذا ملك وأمير حاكم، وهذا عامل بسيط، والكل سواء أمام الله -سبحانه وتعالى- والآيات واضحة تبين المنهج الإسلامي في الرزق.

يقول الله -سبحانه وتعالى- في حديث قدسي:

«المالُ مالي، والفقراءُ عيالي، والأغنياءُ وكلائي، فمن منعَ مالي عن عيالي سوفَ أذيقُه عذابي ولن أبالي».

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ٢٠].

والله -سبحانه وتعالى- جعل المال للإنسان ابتلاء؛ ليعلم إن كان صادقًا مع الله، أم كاذبًا، هل يتبع ما أوصى به في صرفه، أم لا؟ والمال فتنة هل يشكر الله على ما أعطاه، أو يكفر، والمال والعلم يعطيهما الله -سبحانه وتعالى- للإنسان بقدر مجهوده بصرف النظر إن كان مؤمنًا بالله، أو كافرًا به.

المال ابتلاء وفتنة

ولا يظن الإنسان المؤمن أن الله سيتركه بلا اختبار لإيمانه، لكن الله -سبحانه وتعالى- جعل المال ابتلاء:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨].

فمنهم من كفر مثل قارون: وهو إسرائيلي من أتباع سيدنا موسى، وعندما طلب منه أن يدفع زكاة ماله أنكر، وقال: إن هذا المال مالي وهو عن علم عندي:

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٦-٧٨].

لاحظ أن الذي أعطاه المال هو الله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ ﴾ وإن الله لا يحب الفرحين؛ لأن المال مال الله، وقيل له: أحسن كما أحسن الله إليك، وكان رده أن المال ماله، وأنكر أنه مال الله، وقال: إنما أُوتيته على علم عندي، وكانت النتيجة:

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١].

ومنهم من شكر مثل: سيدنا سليمان -عليه الصلاة والسلام- فقد أعطاه الله ملكًا لم يعطَ لبشر قبله ولا بعده، وعندما وجد نعم الله عليه قال قولته المشهورة:

﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

صدقت يا رسول الله سليمان؛ فإن الشكر لله مردوده على الإنسان وليس لله يأخذ عليه حسنات وجنات نعيم، ومن كفر فإن كفر الإنسان لا يضر الله شيئًا، ولا ينقص من ملك الله شيئًا، ولكن مصيره جهنم وبئس المصير.

وليؤكد أن المال مال الله أن من يحوِّل أموال الله إلى ذهب وفضة، ويمنعها من التداول بين الناس، ولا يعطي حق الله في مال الله الذي أتاه سوف يُكوى بها في نار جهنم، فإن كان المال مالك فلماذا يعذبك الله به؟! وهذا يدل على أن المال مال الله، وأنت مستخلَف فيه، ولا بدَّ أن تتبع فيه ما أمر به الله في كتبه، وما أنزل على رسله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وظيفة المال في الإسلام:

أصل المال في الإسلام هو تداوله وليس اكتنازه؛ تداوله حتى ينتفع به المجتمع فينمو، ويزدهر فتُصرف الأجور للعمال، وتُقام المنشآت للصناعات، وتُقام المزارع وتُشترى المشتروات، وهكذا من عروض التجارة والزراعة والصناعة، وخلافه... فإذا حُبِس المال وحوِّل إلى ذهب وفضة للاكتناز فقد منع مال الله من التداول، وعدم إخراج الزكاة فيقف سوق العمل وتقف عملية الإنتاج، ونكرر مرة أخرى قول الله تعالى:

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور: ٣٣].

وتنقسم الأموال في الإسلام إلى عدة أنواع هي:

أولا: الأموال العامة

وهي الأموال العامة لجماعة المسلمين؛ كأموال بيت المال، وأموال الزكاة،

والصدقات، والكفارات، وخلافه... من مصادر المال العام، ولهذا المال حرمة عامة وخاصة، ولقد بيّن الله ورسوله حرمة هذه الأموال، وكيفية التعامل معها، ومآل المخالفين لتعليمات الله ورسوله في هذا الشأن: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ونهانا الرسول ﷺ عن اختلاس الأموال من بيت المال، أو الزكاة، أو أي مال جُمع في سبيل الله، أو لعمل خير، وخلافه؛ حيث يقول الرسول ﷺ: «**أدوا الخيطَ والمخيطَ وإياكم الغلولَ فإنه عارٌ على صاحبِه يومَ القيامةِ**» البخاري عن أبي هريرة. وعندما استعمل الرسول ﷺ ابن اللتبية على الصدقة، قدم وقال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ، فصعد النبيُّ ﷺ على المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**والله لا يأخذُ أحدٌ منكم منها (الصدقة) شيئًا بغيرِ حقٍّ إلَّا جاءَ يومَ القيامةِ يحملُه، فلا أعرفَ رجلًا منكم لقي اللهَ يحملُ بعيرًا له رغاءٌ، أو بقرةٌ لها خوارٌ، أو شاة تيعر، ثم رفع يده ﷺ فقال: اللهمَّ إني بلغت**» البخاري، ومسلم عن حميد الساعدي.

وفي خطبة الوداع قال رسول الله ﷺ: «**ألَا إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا**» متفق عليه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يقبلُ اللهُ صلاةً بغيرِ وضوءٍ، ولا صدقةً من غلولٍ**» مسلم عن ابن عمر.

ثانيًا: أموال الناس

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ ﴾ [التوبة: ٣٤]، ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء: ٢٦١].

قال رسول الله ﷺ في أموال الناس:

«مَنْ اجتنبَ أربعًا دخل الجنة: الدماءَ، والأموالَ، والفروجَ، والأشربةَ» رواه البزَّار.

«المسلمُ من سلمَ الناسُ من لسانِه ويدِه والمؤمنُ من أمنَه الناسُ على دمائِهم، وأعراضِهم، والمهاجرُ من هجرَ ما نهى اللهُ عنه» أحمد عن أبي هريرة.

«إنَّ اللهَ رضيَ لهذه الأمةِ اليسرَ وكرهَ لها العسرَ» الطبراني عن ابن الأذرع.

«ما من عبدٍ كانت له نيةٌ في أداءِ دينِه إلا كان اللهُ في عونِه» أحمد عن عائشة.

«من أنظرَ معسرًا، أو وضعَ عنه أظلَّه اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه» أحمد عن أبي اليسر.

«صاحبُ الدَّيْنِ مغلولٌ في قبرِه لا يفكُّه إلا قضاءُ دينِه» الديلمي عن أبي سعيد الخدري.

«مَنْ كان عنده مظلمةٌ لأخيه فليتحلَّله منها فإنَّ ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ من قبل أن يؤخذَ لأخيه من حسناتِه، فإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذ من سيئاتِ أخيه فطُرِحت عليه» البخاري.

«الغنى اليأس مما في أيدي الناس، وإياك والطمعَ فإنه الفقر الحاضر» رواه العسكري عن ابن عباس.

ثالثًا: أموال السفهاء

أمرنا الله أن نحافظ على أموال السفهاء، وكذلك لا نعطي أموالنا لهم، والسفهاء هم الذين ينفقون الأموال بغير حساب: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء: ٥].

رابعًا: أموال الكافرين

على المؤمن ألا ينظرَ إلى أموال الكافرين، فإن هذا المال ما هو إلا نقمة إذا أنفق في سبيل صد دعوة الله سبحانه ومحاربة المؤمنين، أو فيما يغضب الله سبحانه فهو شر في الدنيا وعذاب في الآخرة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ [الأنفال: ٣٦].

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [التوبة: ٥٥].

خامسًا: مال اليتيم

شدَّد الإسلام تشديدًا كبيرًا على أموال اليتامى، وأمرنا بالحفاظ عليها، وعدم التفريط فيها، فهي أمانة عند الوليِّ، وقد حدد الله ورسوله ﷺ كيفية التصرف في أموال اليتامى، كما حذر من التهاون في هذه الأموال:

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وأمرنا الله أن نحافظ على أموال اليتامى، ولا نخلط أموالهم بأموالنا؛ حتى لا تضيع معالمها، وإن صرفت منها إن كنت فقيرًا فاصرف بحساب، ويستحب أن تنمى هذه الأموال؛ لأن الله أمرنا ألا نقرب منها وليس الأخذ منها مجرد الاقتراب بغير حق، يقول رسول الله ﷺ:

«خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يحسنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه اليتيمُ يُساءُ إليه، وأنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ هكذا» البخاري عن أبي هريرة.

سادسًا: أموال النساء

أموال النساء في الإسلام لها حرمتها أيضًا؛ فالمرأة لها ذمة منفصلة عن زوجها وهي حرة في مالها تديره كما تشاء، ولا دخل لزوجها في ذلك، وإن أرادت أن تشارك في نفقات المنزل فهي حرة في ذلك، وقد أمرنا الله ورسوله أن نحافظ على أموال النساء ونعطيهن المهور عند الزواج ومؤخر الصداق عند الطلاق ولا نكرهن على أخذ شيء منه. وكانت المرأة قبل الإسلام تُورث وتُباع في الأسواق عند موت زوجها، وليس لها حق الميراث أو حتى حق الحياة:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [النساء: ١٩].

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٢٠].

اكتساب المال الحلال

أ- مصادره

اعتنى الإسلام بكيفية حصول المسلم على المال والطرق المؤدية إلى اكتسابه من حلال، وقد حث الإسلام الإنسان على العمل بيده، ولا يسأل الناس شيئًا، ويقول الرسول ﷺ: «**مَنْ أمسى كالًّا مِنْ عملِ يدِه أمسى مغفورًا له**» ابن عباس.

«**ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أنْ يأكلَ من عملِ يدِه وإنَّ نبيَّ الله داودَ كانَ يأكلُ من عملِ يدِه**» البخاري عن المقدام.

«**ما من رجلٍ يغرسُ غرسًا إلَّا كتبَ اللهُ له من الأجرِ قدرَ ما يخرجُ من ثمرِ الغرسِ**» الإمام أحمد عن أبي أيوب.

«**ما من مسلمٍ يزرعُ زرعًا أو يغرسُ غرسًا فيأكلُ الطيرُ منه، أو إنسانٌ، أو بهيمةٌ إلَّا كان له به صدقةٌ**» الشيخان عن أنس.

«**لأنْ يأخذَ أحدُكم حبلَه، ثم يغدو إلى الجبلِ فيأتي بحزمةِ حطبٍ فيبيعُها فيكفَّ الله بها وجهه خيرًا من أن يسألَ الناسَ أعطوه أو منعوه**» البخاري ومسلم.

وجميع أنبياء الله ورسله كانوا يعملون إما في الرعي أو في التجارة؛ أو في النجارة كسيدنا نوح وعيسى، أو في الرعي كسيدنا موسى، أو في الحدادة كسيدنا داود، وعلى الرغم من أنه كان رسولًا نبيًّا ملكًا؛ ولذلك ذكره رسول الله ﷺ أنه كان يأكل من عمل يده، وقد حثنا الرسول ﷺ أيضًا خلاف الأحاديث السابقة على العمل فقد كان يعمل برعي الأغنام والتجارة:

«**إنَّ اللهَ سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّا استرعاه أحفظَ أم ضيَّعَ؟ حتى يسألَ الرجلَ عن أهلِ بيتِه**» ابن حبان عن أنس.

«اعملْ لدنياك كأنك تعيشُ أبدًا، واعملْ لآخرتِك كأنك تموتُ غدًا» ابن عساكر.

«اغتنمْ خمسًا قبلَ خمسٍ: حياتَك قبلَ موتِك، وصحتَك قبلَ سقمِك، وفراغَك قبلَ شغلِك، وشبابَك قبلَ هرمِك، وغناك قبلَ فقرِك» البيهقي عن ابن عباس.

«اطلبوا الحاجاتِ بعزةِ النفسِ فإنَّ الأمورَ تجري بالمقاديرِ» ابن عساكر عن عبد الله بن بسر.

ولذلك نجد طرق كسب المال في الإسلام من التجارة، أو الزراعة، أو عمل اليد حِرفيًّا، والصناعة، وأن جميعها لها صلة مباشرة برزق الله سبحانه، وتدل على أن المال هو مال الله، وما نحن إلا مستخلفون فيه، فيجب أن نحصل عليه من الحلال الطيب، ولا نحصل عليه من الحرام الخبيث؛ لأن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا.

ومن مصادر كسب الأموال الحلال:

أولاً: التجارة

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧].

فهي تجارة مع الله؛ فالرزق ثابت عنده في أُمِّ الكتاب، وأنت مخير أن تكسب في الدارين: دار الدنيا بمال سيأتيك من عند الله، وتكسب في الدار الآخرة إن أرجعت ذلك إلى الله، ولم تلهك تجارتك ومكسبك عن ذكره.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ٩-١٠]

وهنا أمرنا الله -سبحانه وتعالى- بجانب ذكره وعبادته- بالسعي في الحصول على الرزق، ولا نجلس ونقول: الله هو الرزاق ولا نعمل، كما نهانا عن حبنا للمال

والتجارة والعيش في اللهو وتفضيله عن ذكر الله والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض.

وحدد الإسلام المعاملات المالية في:

١- **العقود:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

٢- **الديون:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٣- **الكيل والميزان:** ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴾ [الإسراء: ٣٥]. ﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ [هود: ٨٥].

يقول الرسول ﷺ: «**التاجرُ الصدوقُ تحتَ ظلِّ العرشِ يومَ القيامةِ**» الديلمي. «**التاجرُ الصدوقُ الأمينُ معَ النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**» الترمذي. «**الأمانةُ تجلبُ الرزقَ، والخيانةُ تجلبُ الفقرَ**» البخاري.

ثانيًا: الزراعة

كما أن التجارة مصدرٌ للزرق، فالزراعة أيضًا كذلك؛ فهي حرفة وتجارة وبما أن العوامل التي تؤثر على الزراعة كثيرة؛ كالماء، والأرض، والتقاوي، والأسمدة،

والمبيدات، وغيرها، فهناك عوامل أخرى ليس للإنسان دخل فيها؛ كدرجات الحرارة، والرطوبة، والرياح الشديدة، وزيادة المطر وقلته، والأعاصير، والفيضانات، والبرد، والأمراض، والحشرات؛ كالجراد مثلًا، وكلها عوامل خارج إرادة الإنسان؛ ولذلك أرجع الله -سبحانه وتعالى- الزراعة إليه سبحانه حيث قال:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤]. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾ [الأنعام: ١٤١]. ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [يس: ٣٣-٣٦]. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل: ١١].

كما بيَّن الله -سبحانه وتعالى- لنا في كتابه كيفية:

١- **حفظ القمح في سنابله**: حتى لا يصاب بالفطريات والحشرات: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ [يوسف: ٤٧].

٢- **تحميل النباتات**: للاستفادة من مسطح الأرض بالكامل: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ [الكهف:٣٢]. تحميل ثلاثي: حقل عنب محمل عليه زرع، وعلى السور نخل - سبحان الله.

٣- **الطاقة**: بيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- أن مصدر الطاقة التي يستخدمها الإنسان هي من النبات سواء أكان شجرًا أخضر، وإن أُحرق فهو فحم، وإن طُمِر تحت ضغط فهو بترول وغازات، ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس: ٨٠].

٤- الإنتاج الحيواني:

أ- ذلك لنا من آكلات العشب أنعامًا منها ما نركبه، ومنها ما نأكله، ومنها نشرب اللبن، ونلبس الملابس، ونصنع الفرش،... إلخ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣]. ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ ......وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٥-٨]. ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ [الأنعام: ١٤٢]. ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦].

يلاحظ في هذه الآية الكريمة: (نسقيكم مما في بطونه)، ولم يقل مما في بطونها لأنها أنعام، ولأن اللبن مختفٍ بين الفرث والدم؛ ولذلك قال سبحانه: (بطونه) بين الفرث والدم، وليس بطن الأنعام.

ب- إنتاج العسل والحرير من الحشرات؛ فالعسل من حشرة النحل، والحرير من دودة القز، سبحانه: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩].

ثالثا: الصيد

أ- صيد السمك واستخراج اللؤلؤ والمرجان

إنتاج الأسماك، واللؤلؤ، والمرجان من البحار: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [النحل: ١٤].

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٢].

وهذه الآية من آيات الله العلمية؛ حيث قال سبحانه: الدواب التي في الماء

لحمها طري، سواء أكانت قشريات، أو أسماكًا، أو حيوانات ثديية؛ كالحيتان، سواء من الماء المالح، أو الماء العذب، ولكن اللؤلؤ والمرجان من المياه المالحة فقط.

ب- الصيد البري

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ١-٢].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [المائدة: ٤].

لاحظ أن الله -سبحانه وتعالى- قد أرجع إليه علم تعليم الإنسان سواء للطيور الجارحة كالصقور، وكذلك الكلاب في عمليات الصيد؛ حيث قال سبحانه: تعلمونهن مما علمكم الله -سبحانه وتعالى- وكذلك منع الصيد في الأشهر الحرم، وذلك حتى تزداد القطعان ولا تفنى كما يحدث لمناطق التي يحدث بها الصيد الجائر:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ [المائدة: ٩٦].

رابعًا: الصناعة والتعدين

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ [هود: ٣٧].
﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

صنعتان ذكرهما الله -سبحانه وتعالى- في كتابه: النجارة (صناعة الفلك لسيدنا

نوح)، والحدادة (لسيدنا داود)، وكلاهما وحيٌ من عند الله، ولم يُذكر في التاريخ أن بشرًا جلس وقال: أنا سأخترع كذا، ولكن جميع الصناعات هي وحيٌ من عند الله إلى البشر يقذفها في قلوبهم؛ حتى تظهر في الحياة، وكل شيء بقدر وميعاد، وهذا الأمر كالرزق لا فرق بين مؤمن وكافر، ولكن الفرق هنا بين مجتهد وغافل، وكذلك التعدين فقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- فائدة الحديد وكذلك أشار إلى السبائك مع ذي القرنين:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

للحديد بأس شديد فهو منذ القدم يُستعمل في الحروب وحتى الآن، وفيه منافع للناس؛ كصناعات القطارات، والسيارات،... وغيرها، ليس هذا فحسب فهو المكون الأساسي لدم الإنسان؛ حيث يتركب الهيموجلوبين من ذرة حديد وحولها أربعة مجاميع من حلقات البيرول، وكذلك يعمل الحديد في الإنسان، والحيوان، والنبات كناقل للطاقة داخل أجسامهم.

وقد أشار القرآن إلى صنعة السبائك من الحديد والقطر (النحاس) حيث تكون سبيكة أشد صلابة: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٦].

والرزق أيضا في الصناعات؛ كصناعات البترول، والسيراميك، والسيارات، والموتورات، والآلات، والسفن، والطائرات .... وسفن الفضاء، إلخ.

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥].

قال رسول الله ﷺ: «**اطلبوا الرزقَ في خبايا الأرضِ**» رواه الطبراني. «**إنَّ اللهَ يحبُّ إذا عملَ أحدُكم عملًا أنْ يتقنَه**» الطبراني.

خامسًا: الإرث

يكسب الإنسان أيضًا من الأموال التي تصل إليه عن طريق الميراث عندما يُتوفَّى والداه، أو أحد أقاربه مما يئول إليه من أموال، وكذلك من أموال قد يوصي بها أحد له: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧]

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٣٣].

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٧]

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النساء: ١٧٦].

كما أوصى الله -سبحانه وتعالى- الإنسان المسلم أن يكتب وصيته ويحدد فيها حقوق الناس لديه؛ كالديون، وكذلك حقوقه لدى الغير، ويحدد كذلك في الوصية ما يريد أن يدفعه في حدود الثلث للفقراء، أو صدقة جارية؛ كالأوقاف مثلًا، ويترك الباقي للورثة شرعًا، وقد حذر الله -سبحانه وتعالى- من التفريط فيها، أو تغييرها، أو عدم تنفيذها:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨١].

يقول الرسول ﷺ: «**لا وصيَّةَ لوارثٍ**» الطبراني عن مسلم.

«**ما خابَ مَنِ استخارَ، ولا ندمَ مَنِ استشارَ، ولا عالَ مَنِ اقتصدَ**» الطبراني ومسلم.

«**استعينوا على قضاءِ الحوائجِ بالكتمانِ؛ فإنَّ صاحبَ النعمةِ محسودٌ**» أبو نعيم عن معاذ بن جبل.

ب- مصادر إنفاق المال الحلال

حدد الإسلام أيضًا طريقة إنفاق المال؛ حيث المبدأ أن المال مال الله؛ ولذلك عند صرفه أو إنفاقه فلا بدَّ أن يكون في حدود ما حدده الله -سبحانه وتعالى- وسنة رسوله الكريم وهي زيادة دورة رأس المال لخدمة الجماعة الإنسانية.

ومصادر إنفاق المال الحلال في الصرف على الأسرة، والزكاة، والصدقات، والكفارات مما يرضاه الله ورسوله، وهذه المصارف هي:

أولا: إنفاق الأموال في المعيشة والحياة

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

[الفرقان: ٦٧].

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧-٢٨].

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٩-٣٠].

والإسلام يأمرنا بالاقتصاد، بألا نسرف في الإنفاق ولا نقتر، فالوسطية هي أساس المعاملات في الإسلام؛ لا إسراف ولا تبذير، ولا بخل ولا تقتير.

يقول الرسول: «**ما خابَ مَنِ استخارَ، ولا ندمَ مَنِ استشارَ، ولا عالَ مَنِ اقتصدَ**» الطبراني ومسلم.

«**اتقوا الظلمَ فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ، واتقوا الشُّحَّ فإنَّ الشُّحَّ أهلكَ مَنْ كان قبلَكم؛ حملَهم على أن سفكوا دماءَهم واستحلوا محارمَهم**» رواه مسلم.

«**خَصلتان لا يجتمعان في مؤمنٍ: البخلُ وسوءُ الخلقِ**» البخاري.

«**إنَّ اللهَ تعالى استخلصَ هذا الدينَ لنفسِه ولا يصلحُ لدينِكم إلا السخاءُ وحسنُ الخلق، ألا فلتزيّنُوا دينَكم بهما**» الطبراني عن عمران بن حصين.

«**ازهدْ في الدنيا يحبُّك اللهُ وازهدْ فيما في أيدي الناسِ يحبُّك الناسُ**» الحاكم عن سهل بن سعد.

«**يهرمُ ابنُ آدمَ، ومعه اثنتان: الحرصُ والأملُ**» رواه أحمد.

«**السخيُّ قريبٌ مِنَ الله قريبٌ مِنَ الناسِ قريبٌ مِنَ الجنةِ بعيدٌ عن النار، والبخيل بعيدٌ عن الله بعيدٌ عن الناسِ بعيدٌ عن الجنةِ قريبٌ من النار، والجاهلُ السخيُّ أحبُّ إلى الله مَن عابدٍ بخيلٍ**» رواه الترمذي.

«كُلْ واشربْ وتصدقْ في غيرِ إسرافٍ ولا مخيلةٍ» رواه أحمد.

«اعملْ لدنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا، واعملْ لآخرتِك كأنَّك تموتُ غدًا» ابن عساكر.

«اغتنمْ خمسًا قبلَ خمسٍ: حياتَك قبلَ موتِك، وصحتَك قبلَ سقمِك، وفراغَك قبلَ شغلِك، وشبابَك قبلَ هرمِك، وغناك قبلَ فقرِك» البيهقي عن ابن عباس.

«الساعي على الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ في سبيلِ الله أو القائمِ بالليلِ» الإمام أحمد.

ثانيًا: إنفاق الأموال في الزكاة

مال الله الذي أعطاك إياه جزء منه محدد باسم الزكاة، والزكاة هي نصيب الفقراء، والمساكين، وابن السبيل، واليتامى،... إلخ، في مال الله الذي أتاك، وهو نصيب محدد من قبل الله -سبحانه وتعالى- والزكاة مفروضة في جميع الأديان وهي تلي الصلاة مباشرة، لها أنصبة محددة في المال والزرع والأنعام، وكذلك الذهب والفضة،... وغيرها، ولكي يؤكد مرة أخرى أن الرزق الذي أعطاك إياه الله -سبحانه وتعالى- هو من عند الله، وأن المال مال الله، ويقول الله -سبحانه وتعالى-:

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٩].

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤].

﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وفي الديانة اليهودية والمسيحية؛ فالزكاة تُسمَّى العشور وهي ١٠٪ من المال، أمَّا في الإسلام فقد حدد زكاة المال الذي لم يتحرك لمدة حول كامل ٢٠٥٪، ولذلك أوصانا الرسول ﷺ بتدوير رأس المال؛ حتى لا ينقص بدفع الزكاة منه بدون تنمية، وكذلك زكاة عروض التجارة ٢٠٥٪ على رأس المال الدائر، أما المزروعات إذا رُويت الأرض بالأمطار فالزكاة ١٠٪ أما ما يُروى بالآلة ٥٪.

وهناك زكاة الأنعام: (الجمال، والأغنام، والبقر،... إلخ) وزكاة الذهب والفضة:

يقول الرسول ﷺ: «**أولُ ثلاثةٍ يدخلون النارَ: أميرٌ مسلط، وذو ثروةٍ ومالٍ لا يؤدي حقَّ الله تعالى من مالِه، وفقيرٌ فخورٌ**» ابن حبان عن أبي هريرة.

«**من آتاه اللهُ مالًا فلم يؤدِ زكاتَه مثلَ له يومَ القيامةِ شجاعٌ أقرعُ له زبيبتان يطوقُه يومَ القيامةِ فيأخذُ بلهزمتيه (أي: شدقيه) فيقول: أنا مالُك أنا كنزُك**» ثم تلا الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. رواه البخاري.

ثالثًا: إنفاق المال العام في الصدقات

وهي أحد مصارف أموال المسلمين، تُعطى أيضًا للفقراء والمساكين، وهي خلاف الزكاة، والزكاة حق معلوم، أما الصدقات فهو ما تخرجه من فضل مالك، وزرعك، وغنمك، ولبسك، وتخرجها ابتغاء مرضاة الله؛ ولذلك كان أجرها عند الله أجرًا كبيرًا، وكذلك الكلمات الطيبة تعتبر من الصدقات، وحتى تبسمك في وجه أخيك صدقة أيضًا.

يقول الله –سبحانه وتعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ [النساء: ١١٤].

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧١- ٢٧٤].

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وتكون الصدقات ابتغاء مرضاة الله، وليس رياء ولا سمعة، أو صدقة سيتبعها منٌّ أو أذى فلا يقبلها الله منه.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٢-٢٦٥].

يقول الرسول ﷺ: «**لكلِّ شيءٍ مفتاحٌ، ومفتاحُ الجنةِ حبُّ المساكينِ والفقراءِ**» ابن عمر.

«أفضلُ الصدقةِ أن تشبعَ كبدَ جائعٍ» البيهقي عن أنس.

«حصِّنوا أموالَكم بالزكاةِ، وداووا مرضاكم بالصدقةِ، وأعدوا للبلاءِ الدعاءَ»

«طوبى لمن شغلَه عيبُه عن عيوبِ الناسِ، وأنفقَ الفضلَ من مالِه، وأمسكَ الفضلَ من قولِه، ووسعتْه السُّنَّةُ فلم يعدُ عنها للبدعةِ» الديلمي عن أنس.

«الصدقةُ على وجهِها، واصطناعُ المعروفِ، وبرُّ الوالدين، وصلةُ الرحمِ تحوِّلُ الشقاءَ إلى سعادةٍ، وتزيدُ في العُمُرِ، وتقي مصارعَ السوءِ» أبو نعيم.

«أربعةٌ تجري عليهم أجورُهم بعد الموتِ: من مات مرابطًا في سبيل الله، ومن علَّم علمًا أُجري له أجرُ علمِه ما عُمِلَ به، ومن تصدقَ بصدقةٍ فأجرُها يجري ما وجدت، ومن ترك ولدًا صالحًا فيدعو له» الطبراني عن أبي أمامة.

«أربعةٌ من كَنْزِ الجنةِ: إخفاءُ الصدقةِ، وكتمانُ المصيبةِ، وصلةُ الرحمِ، وقولُ: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله» الخطيب عن علي.

«اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى، فاليدُ العليا هي المنفقةُ واليدُ السفلى هي السائلةُ» رواه ابن عمر.

رابعًا: إنفاق المال في الكفَّارات

من أجمل ما يصرف من أموال المسلمين، وهي أموال الله -سبحانه وتعالى- المستخلفون عليها؛ وهي الكفَّارات، ومنها يفك العاني وهو الأسير الذي لا مال عنده، وكذلك فك رقبة وهو تحرير العبيد رجالًا وإماءً، والذين لا يملكون ما يحررون به أنفسهم، وإطعام الفقراء والمساكين.

يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٩٢].

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [المائدة: ٨٩].

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٣-٤].

خامسًا: إنفاق المال في دفع الديون عن المعسرين

هو دفع الأموال عن الغارمين غير القادرين على سداد ديونهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ [النساء: ١١]

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٠].

يقول الرسول ﷺ:

«مَنْ نفَّس (أي: فرَّج) عن غريمِه، أو محا عنه (أبرأه من الدَّيْنِ إذا كان معسرًا) كان في ظلِّ العرشِ يومَ القيامةِ» مسلم عن قتادة.

«من حجَّ عن والديه، أو قضى عنهما مغرمًا لقيَه اللهُ يومَ القيامةِ مع الأبرارِ»

الدارقطني عن ابن عباس.

«**صاحبُ الدَّيْنِ مغلولٌ في قبرِه لا يفكُّه إلَّا قضاءُ دينِه**» الديلمي عن أبي سعيد الخدري.

«**من أنظرَ معسرًا أو وضعَ عنه أظلَّه اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه**» أحمد عن أبي اليسر.

«**من يسَّر على معسرٍ يسَّر اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ**» ابن ماجه عن أبي هريرة.

«**المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلمُه ولا يسلمُه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرَّج اللهُ عنه كربةً من كربِ يومِ القيامةِ، ومن ستَرَ مسلمًا ستَرَه اللهُ يومَ القيامةِ**» متفق عليه.

«**من أجرى اللهُ على يديه فرجًا لمسلمٍ فرَّجَ اللهُ عنه كربةً من كربِ الدنيا والآخرةِ**» الخطيب عن الحسن بن علي.

جـ- مصادر اكتساب المال الحرام

كما بيَّن لنا الإسلام كيفية كسب المال وإنفاقه في الطرق الشرعية الحلال، ونهانا أيضًا عن اكتساب المال، أو إنفاقه في الطرق غير الشرعية وهي أموال الحرام، وتكون وبالًا على كاسبها، وعلى منفقها في الدنيا والآخرة، وقد بيَّن لنا الشرع أبواب المال الحرام يقول رسول الله ﷺ في ذلك: «**ليأتينَّ على الناسِ زمانٌ لا يبالي المرءُ بما أخذَ من مالٍ أمن حلال أم من حرام**» البخاري عن أبي هريرة.

«**ليغشى على أمتي من بعدي فتنٌ كقطعِ الليلِ يصبحُ فيها الرجلُ مؤمنًا ويمسي كافرًا، يبيعُ أقوامٌ دينهم بعرضٍ من الدنيا قليلٍ**» الحاكم عن ابن عمر.

ومن أبواب المال الحرام:

أولا: الربا

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠].
﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٩].

وأموال الربا: هي الأموال التي يزيدها المقترض على أصل المال نظير إقراض المال لفترة معينة محملًا إياه ما لا يطيق خصوصًا الفقراء منهم، والذين يقترضون لأجل المعيشة، أو علاج، أو زواج،... وخلافه، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك ويحذرنا أن هذه الأموال أموال حرام ولا يرضى عنها الله ولا رسوله، وقد بين لنا الإسلام الفرق بين الربا والبيع، وحدد وظيفة كل منهما، وقد شجع الإسلام المسلمين على إقراض الفقراء قرضًا حسنًا لحين الميسرة أو التصدق به حين العسرة.

ويروي الرسول ﷺ في هذا الشأن العديد من الأحاديث الشريفة وهي:

«**اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» الشيخان.

«**لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبيه هم فيه سواء**» مسلم.

«**أربع حق على الله أن لا يُدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير الحق، والعاق لوالديه**» الحاكم.

ثانيًا: المال المكتسب في الخمر والميسر

والأموال التي تكتسب أو تنفق في تجارة الخمر أو شربها، وكذلك في لعب الميسر فهي أموال حرام؛ لأنها أموال اقتُطعت من أموال الله التي يجب أن تدار في خير البشرية وليس للهو والتدمير وقد بيَّن الله لنا أن إثمهما أكثر من نفعهما: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٌ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

ويقول الرسول ﷺ: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**» البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة.

«**اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث**» الحاكم ابن عباس.

«**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمن لها لم يشربها في الآخرة**» مسلم عن جابر.

«**لُعِنَت الخمر بعينها، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها**» أبو داود وأحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس.

«**إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها**» البيهقي عن أم سلمة.

والميسر: هو القمار بجميع أشكاله وصوره من شطرنج أو نرد أو حصى أو تناجش حيوانات ... إلخ.

«**من لعب النرد فقد عصى الله ورسوله**» مالك وأبو داود والحاكم.

«**من قال لصاحبه تعالَ أقامرك فليتصدق**» الشيخان وأحمد عن أبي هريرة.

فإذا كان مجرد القول وجب الكفارة بالصدقة فما بالك بالفعل؟!

ثالثًا: أكل مال اليتيم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠].

قال الرسول ﷺ: «**يبعث الله -عزَّ وجل- قومًا من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نار**» فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**ألم تر أن الله تعالى يقول:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]».

وقال العلماء: فكل وليٍّ ليتيم إذا كان فقيرًا فأكل من مال اليتيم بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنميته فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف حرام لقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ٦]. ولقول الرسول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم**» الشيخان.

«**أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير الحق، والعاق لوالديه**» الحاكم.

رابعًا: الغلول

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

والغلول: هو أخذ شيء من مال المسلمين -وهو المال العام- بغير إذن الإمام أي اختلاسه .. أو من الزكاة التي تُجمع للفقراء، أو من أي مال جمع لإنفاقه في عمل الخير إلا ويأتي يوم القيامة يحمله على رقبته كما ذكر الله: (ومن يغلل يأت بما غلَّ يوم القيامة).

ويقول الرسول ﷺ: «**أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على**

صاحبه يوم القيامة» البخاري عن أبي هريرة.

«**ألا إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**» متفق عليه.

«**لا يقبل الله صلاة بغير وضوء، ولا صدقة من غلول**» مسلم عن ابن عمر.

خامسًا: السرقة

قال رسول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة**».

وقطع يد السارق بعد حد معين عندما تكون السرقة للحاجة، وليس لاكتناز المال مثلًا عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن الرسول ﷺ قطع في مجن مثمنة بثلاثة دراهم، البخاري ومسلم عن ابن عمر.

قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله السارق يسرق البيضة (الخوذة الحديد) فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده**» البخاري ومسلم وأحمد.

وعندما تستعير شيئا ثم تجحده (تنكره) تعتبر سارقًا كما حدث مع المخزومية فأمر الرسول بقطع يدها ولا شفاعة في حد من حدود الله حيث قال الرسول ﷺ خطيبًا: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» متفق عليه.

وعجبًا للدعوة إلى أن نرحم السارق ولا نقطع يده لأنه بسرقته هذه يسبب المشكلات؛ فقد يكون المال المسروق هو تكاليف معيشة الأسرة، وتصبح الأسرة في حالة كفاف، وقد تكون أموال علاج مما يتسبب في قتل هذه النفس، وقد تكون أموال تجارة ويتسبب في إفلاس صاحبها ... وهكذا، فالضرر هنا ضرر للمجتمع

أجمع كما أن السارق لهذا المال لم يبارك الله فيه فينفقه في الحرام: في شرب خمر، أو لعب ميسر، أو لهو وزنا، وخلافه... فكيف نرحم السارق ولا نرحم المجتمع من شروره؟!

كما أفرد الله -سبحانه وتعالى- السرقة في الميزان والمكيال وقد عذَّب قوم سيدنا شعيب لذلك: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين: ١-٥].

وقال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ [هود: ٨٥].

﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨١].

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ [الرحمن: ٨].

يقول الرسول ﷺ: «**من غشنا فليس منا**».

سادساً: قطع الطريق

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

وتسمى هذه آية الحرابة فمن قطع الطرق وأخاف السبيل فقد ارتكب كبيرة؛ حيث نهى الرسول ﷺ عن ترويع المسلم ولو بحديدة فكيف إذا سرق مالًا عنوة، وجرح، وقتل فقد فعل العديد من الكبائر؛ ولذلك كانت العقوبة من الله شديدة وهي القتل، أو النفي، أو قطع اليدين والأرجل من خلاف، وهكذا كل مال اكتُسب من قطع طريق فهو حرام وإثمه عظيم.

سابعًا : اليمين الغموس (تعمد الكذب)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: ٧٧].

قال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع مال امرئ مسلم، لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**» البخاري ومسلم في الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود.

«**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمين فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**»، وقال رجل: وإن كان يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: «**وإن كان قضيبًا من أراك (السواك)**» مسلم، وابن ماجه، والنسائي، وأبو أمامة عن عبد الله بن عمر.

«**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**» البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

ثامنًا : أكل أموال الناس ظلمًا

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٤٢].

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٥].

قال الرسول ﷺ: «**إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» مسلم والترمذي عن أبي موسى الأشعري.

«**من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا**

يكون دينار ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه» البخاري وأحمد عن أبي هريرة.

«**مطل الغني ظلم**» رواه أحمد والترمذي عن يزيد بن سويد والمطل: هو مماطلة المدين الذي يجد ما يوفي دينه، وكذلك ظلم الرجل للمرأة وإن أخذ صداقها، أو ظلمها في نفقتها، وكسوتها وهو قادر...

وفي حديث قدسي قال رسول الله ﷺ عن ربه تعالى أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**» مسلم والترمذي عن أبي ذر.

تاسعًا: المكَّاس (آخذ الإتاوات)

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [الشورى: ٤٢].

والمكَّاس: من أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم، فإنه يأخذ من الضعفاء ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق.

قال رسول الله ﷺ: «**المكَّاس لا يدخل الجنة**» أحمد، وأبو داود عن عقبة بن عامر. لأنه يتقلد مظالم العباد يوم القيامة، ومن أين للمكَّاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم؟!

قال رسول الله ﷺ: «**أيما لحم نبت من السحت النار أولى به**» أحمد، والترمذي عن جابر. والسحت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار.

عاشرًا: آكل الحرام

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- عن أموال الباطل:

١- الغصب والخيانة والسرقة.

٢- القمار والملاهي.

قال رسول الله ﷺ: «**إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير الحق فهم في النار يوم القيامة**» البخاري.

«**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له** » أحمد، ومسلم، والترمذي عن أبي هريرة.

«**يا أنس أطب كسبك تُجب دعوتك فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام فلا يستجاب له دعوة أربعين يومًا**».

«**لأن يجعل أحدكم في فيه ترابًا خير من أن يجعل في فيه حرامًا**» رواه أحمد عن أبي هريرة.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى يوم القيامة بأناس فيهم من الحسنات مثل جبل تهامة حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباءً منثورًا، ثم يقذف بهم في النار**» فقيل: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال: «**كانوا يصلون، ويصومون، ويزكون، ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض عليهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم**» الطبراني عن أبي أمامة.

حادي عشر: الرِّشْوَة

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وذلك بأن ترشو حاكمًا أو قاضيًا، أو أي مسئول في الدولة؛ ليقطع لك حقًّا

ليس من حقك، أو أن يقطع لك حقًّا من حقوق غيرك وأنت تعلم أنه لا يحل لك.
قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**» ابن حبان والحاكم والترمذي.

والراشي: هو الذي أعطى الرشوة، والمُرْتَشي: هو الذي أخذ الرشوة، والرائش: هو الساعي بينهما.

وقال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي والرائش**» أحمد، والطبراني والبزار. كما يدخل في الرشوة أيضًا الشفاعة في أمر وأخذ الهدية بعد قضائها.

روى أبو داود في سننه عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:« **من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى بابًا كبيرًا من أبواب الربا**».

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدي إليك هدية فتقبلها منه. وكان يظن السحت هو الرشوة في الحكم ولكن قيل: الرشوة في الحكم كفر.

ثاني عشر: الدَّيوث والقوَّاد

قال تعالى:﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء**» النسائي والبزار والحاكم عن ابن عمر.

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة قد حرم عليهم الجنة: مدمن خمر، والعاق لوالديه والديوث الذي يقر الخبث في أهله**» أحمد والبزار والحاكم عن ابن عمر.

والديوث: هو الذي يدفع أهله إلى الفاحشة لسداد دين أو صداق ثقيل

أو..أو..

القوَّاد: هو الذي يسهِّل الزنا ويأخذ عليه أجرًا، وكلاهما مال مكتسب من حرام.

ثالث عشر: الخيانة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢].

يقول الرسول ﷺ:

«**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» البخاري، ومسلم عن أبي هريرة.

«**الأمانة تجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر**» الديلمي.

«**اضمنوا لي ستًّا في أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا واعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**» البيهقي عن عبادة بن الصامت.

«**ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة رحم والخيانة والكذب**» الطبراني.

«**لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له**» أحمد، والبزار، والطبراني عن أنس.

«**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**» البخاري، وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة.

«**إياكم والخيانة فإنها بئس البطانة**» أبو داود، والنسائي عن أبي هريرة.

وفي حديث قدسي يقول الرسول ﷺ: « **إن الله تعالى يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما** » رواه أبو داود عن أبي هريرة.

د- مصادر إنفاق المال في الحرام

بيّن لنا الإسلام مصارف إنفاق المال الحلال، وأيضًا بيّن لنا ما هي مصارف المال في الحرام كالربا، وشرب الخمر، والزنا، ولعب الميسر، والرِّشْوة، كما أضاف إلى ذلك التبذير؛ لأن هذا المال مال الله ليس من حقك أن تسرف فيه بسفه وبغير فائدة، وكذلك لا يصح أن تصرفه في إشاعة الفحشاء، والرذيلة، أو في محاربة الدين، أو لنصرة كافر، أو ظالم، أو لعصبية، أو أن تصرفه لرياء الناس؛ حتى يقال: إنك صالح أو غير ذلك.

١- صرف مال الله في محاربة الإسلام:

يقول الله -سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤].

٢- صرف الأموال بطرًا ورئاءً

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٣- صرف الأموال إسرافًا وتبذيرًا

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦].

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

يقول الرسول ﷺ: «**كُلْ واشرب وتصدق في غير إسراف ولا مخيلة**» البزار.

«**إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**» البخاري، ومسلم عن المغيرة بن شعبة.

٤- صرف الأموال في المهالك

كالزنا، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والمخدرات وهو صرف المال في ما يضر صحة الإنسان ومن حوله، كما يضر بالأسرة والمجتمع مما يؤدي إلى تفشي البطالة، والأمراض، والإدمان، والأمراض الجنسية الفتَّاكة بالبشرية؛ كالزهري قديمًا، والإيدز حديثًا مما يؤثر على الإنتاج ورفاهية الشعوب.

يقول الرسولﷺ: «**إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**» البخاري عن خولة بنت قيس.

سابعًا

منهج الإسلام في الحكم

الحكم في الإسلام يُبنَى على ما جاء في الكتاب والسنة؛ حيث تحددت العلاقات بين الإنسان والمجتمع بأمر من الله سبحانه، وجعل لكل شيء منهجًا يجب اتباعه؛ حتى يستقيم المجتمع، ويستقيم الحكم، وتنتشر العدالة والكفاية بين الرعية وبين الناس عامة مسلمين وغير مسلمين، وقد بيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- أنه جعل لكل دين منهجًا وتشريعًا عن طريق الكتب المنزلة على رسله، ويبلغها المرسلون عن رب العزة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد بيَّن لنا الله -سبحانه تعالى- حال الملوك وتجبرهم على رعيتهم، وأعطى لنا مثلين في ذلك:

أ- سيدنا إبراهيم مع النمرود ملك بابل

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ب- سيدنا موسى مع فرعون مصر

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١].

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

ج- أول ملك مؤمن من بني إسرائيل طالوت

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

د- أول أول نبي ورسول وقاضٍ هو سيدنا داود عليه السلام

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٥-١٦].

ومن صفات الملوك كما جاء على لسان ملكة سبأ في القرآن:

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤].

وقد بيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- أن الملك من عند الله إن شاء أعز ذلك الإنسان، وإن شاء أذله:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وخرج الإنسان عن منهج الله، وذلك يتمثل في ضلال بني إسرائيل، فهم لم يعملوا بما جاء في التوراة من أحكام، وتبعهم النصارى في منهجهم، ولم يحكموا بما أمر به الله سواء في العهد القديم أو العهد الجديد، وانتشر الظلم، والاضطهاد، والقهر، والفقر، والمرض، وأصبحت البشرية مرتعًا للشيطان، وفي ظلام الكفر والشرك حتى جاء أمر الله، وأنزل القرآن على آخر أنبياء الله ورسله سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام- فكان هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا للبشرية عامة بما فيهم أهل الكتاب وغيرهم مؤكدًا بما جاء لبني إسرائيل، وما جاء به النبيون من قبله، وكان المنهج أيضًا اتباع ما أنزل إليه في القرآن:

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٩].

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

وفي نظام الحكم في الإسلام أُلغيت الملكية، وأقيمت أول جمهورية لا يحكمها ملك أو إمبراطور، ولكن يحكمها رجل منتخب من الشعب يحكم بما أنزل الله في القرآن العظيم، ومكملًا بما قاله رسوله محمد ﷺ في سنته، وانتشر الإسلام وانتشر معه الأمان، والأمن، والعدل في ربوع الأرض حتى أطلت الملكية برأسها مرة أخرى: بذهبها، وسيفها بعد الخليفة الرابع سيدنا عليٍّ بن أبي طالب -كرم الله وجهه- في حكم بني أمية، ومن السيرة النبوية الشريفة فقد عُرض الملك على سيدنا محمد ولكنه اختار عبودية الله على الملك:

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هبط عليَّ ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي، ولا يهبط على أحد من بعدي وهو إسرافيل وعنده جبريل فقال: السلام عليك يا محمد، ثم قال: أنا رسول ربك إليك أمرني أن أخبرك إن شئت نبيًّا عبدًا، وإن شئت نبيًّا ملكًا؟ فنظرت إلى جبريل فأومأ جبريل إليَّ: أن تواضع، وقال النبي ﷺ عند ذلك: نبيًّا عبدًا فقال النبي ﷺ: لو أني قلت: ملكًا ثم شئت لسارت الجبال معي ذهبًا**» الطبراني.

كما عُرِض على الرسول ﷺ بعد ما نزلت عليه الرسالة أن يكون ملكًا للعرب وأن يترك آلهة الكافرين لهم فقال قولته المشهورة: «**والله يا عمِّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي لن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك دونه**» صدق رسول الله.

١- صفات الحاكم في الإسلام

أ- أن يكون مؤمنًا ليِّن الجانب لرعيته بلا ضعف، وأن يعفو عند المقدرة، ويرحم ويعدل، وأن يحكم بما أنزل الله في القرآن والسنة:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمرن: ١٥٩].

ب- أساس الحكم في الإسلام الشورى فلا يستبد الحاكم برأيه كما يجب أن يكون معه أهل الربط، وهم لهم سلطة تعيين الحاكم وعزله إذا أخطأ (مجلس النواب والشورى):

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨].

فالشورى أمر واجب في الإسلام بالانتخاب الحرِّ بين الصفوة العلمية المؤمنة،

كما حدث في صدر الإسلام في اختيار خلفاء رسول الله ﷺ، فقد انتخب أول أمير للمؤمنين بعد وفاة النبي ﷺ سيدنا أبو بكر الصديق على الرغم من وجود سيدنا على بن طالب وهو ابن عم الرسول الله ﷺ الذي رباه في الصغر، وأول من أسلم من الشباب، وأول فدائي في الإسلام؛ حيث نام مكان الرسول ﷺ في حادثة الهجرة، وهو زوج أحب بنات رسول الله إلى قلبه السيدة فاطمة الزهراء، كما كان يوصف بأنه سفينة العلم في الإسلام وفي وجود سيدنا عثمان بن عفان، وهو زوج بنتي رسول الله ﷺ، وأغنى أغنياء المسلمين في عصره من صحابة رسول الله ﷺ أيضًا.

وبعد الانتخاب وجب على جميع الرعية أن تنفِّذ ما أمر الله به ورسوله في وجوب طاعة ولي الأمر ما دام يحكم بما جاء في الكتاب والسُّنَّة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦].

ويقول الرسول ﷺ في هذا الأمر:

«اسمعوا وأطيعوا وإن استُعْمِل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» البخاري.

ج- الأساس في الحكم السلام وليس الحرب والتوسع وقهر الآخرين

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١]

﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣٥].

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

لا يجب على المسلمين أن يحاربوا أحدًا إلا إذا حاربهم وعلى ولي أمر المسلمين أن يجنح للسلم إذا جنح له الأعداء ولكن بلا وهن ولا ضعف، وكذلك لم ينهَ الله أن نبرَّ من لم يقاتلنا، وأن نعيش في سلام مع الآخرين، أما إذا مكر الأعداء، وخانوا العهود والعقود، وتربصوا بالمسلمين فكانت الحرب ضرورة للدفاع عن النفس، والعرض، والأرض، أو لنشر كلام الله وتعاليمه، وليس لاغتصاب أرض، وسلب ثروات الناس بالباطل:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٧].

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال رسول الله ﷺ في الجهاد في الحالات السابقة:

«**انتدب الله لمن يخرج في سبيله لا يخرجه إلا الإيمان بي والجهاد في سبيلي أنه ضامن حتى أدخله الجنة فأيها كان؛ إما يقتل وإما يُتوفَّى أو أن أردَّه إلى مسكنه الذي خرج منه ينال ما ينال من أجر وغنيمة**» النسائي عن أبي هريرة.

«**المجاهد في سبيل الله هو عليَّ ضامن إن قبضته أورثته الجنة، وإن رجعته رجعته بأجر وغنيمة**» الترمذي عن أنس.

يحكي النبي عن ربه -تبارك وتعالى- قال: «**أيما عبد من عبادي خرج مجاهدًا في**

سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له أن أرجعه بما أصاب من أجر وغنيمة، وإن قبضته أن أغفر له وأرحمه وأدخله الجنة» أحمد عن ابن عمر.

ونهى الرسول ﷺ عن القتال لعزة ملك أو شخص؛ حيث قال رسول الله ﷺ في حديث قدسي: «**يجيء الرجل آخذًا بيد الرجل فيقول: يا ربِّ هذا قتلني: فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذًا بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلني: فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه**» النسائي عن عبد الله بن مسعود.

د- لا تُعطَى الإمارة لمن يطلبها

وقد حذر الرسول ﷺ من طلب الإمارة؛ حيث قال: «**إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه**» الشيخان عن أبي موسى الأشعري.

«**يا كعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء وأمراء يكفون من بعدي ولا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي**» أحمد والترمذي عن جابر بن عبد الله.

«**من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار**» أبو داود عن أبي هريرة.

«**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة**» البخاري عن أبي هريرة.

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمامة قال: «**إياكم وكرائم أموالهم واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**» الشيخان عن ابن عباس.

هـ- كما حذر الرسول ﷺ الحكام من الآتي:

١- الظلم

عن أنس -رضي الله عنه- يقول الرسول ﷺ: «**يُؤتى بالحكام يوم القيامة: عبدٌ قصَّر وعبدٌ تعدَّى فيقول: أنتم خزَّان أرضي، ورعاة عبيدي، وفيكم يقيني فيقول للذي قصَّر: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول: رحمته. فيقول الله: أنت أرحم بعبادي مني!! ويقول للذي تعدَّى: ما حملك على الذي صنعت؟ فيقول: غضبًا مني فيقول: انطلقوا بهم فسدوا بهم ركنًا من أركان جهنم**» كتاب القضاة عن سعيد النقاش.

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ:

«**يؤتى بالولاة يوم القيامة -عادلهم وجائرهم- حتى يقفوا على جسر جهنم فيقول الله -عزَّ وجلَّ: فيكم طلبتي فلا يبقى جائر في حكمه، ومرتش في قضائه، فميل سمعه أحد الخصمين إلا هوى في النار سبعين خريفًا، ويؤتى بالرجل الذي ضرب فوق الحد فيقول الله: لم ضربت فوق ما أمرتك؟ فيقول: يا رب غضبت لك فيقول: أكان لغضبك أن يكون أشد من غضبي؟ !! ويؤتى بالذي قصَّر فيقول: عبدي لم قصرت؟ فيقول: رحمته فيقول: أكان لرحمتك أن تكون أشد من رحمتي؟!!**» أخرجه الديلمي.

يقول الرسول ﷺ أيضًا:

«**خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا وإلا أمر بهم في الآخرة في النار: أميرُ قوم يأخذ حقه من رعيته، ولا ينصفهم من نفسه، ولا يدفع الظلم عنهم، وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله، ولا يعلِّمهم أمر دينهم، ورجل استأجر أجيرًا واستوفى منه العمل ولم يوفه أجره، ورجل ظلم امرأة في صداقها**».

«**سيكون أمراء يغشاهم غواش -أو حواش- الناس يظلمون ويكذبون، فمن**

دخل عليهم وصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه» أحمد عن ابن مسعود.

«أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم أسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة» ابن عمر.

«الظلم ظلمات يوم القيامة» جزء من حديث أحمد ومسلم عن أبي هريرة.

«ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة، وملك آخذ بقفاه، ثم يرفع رأسه للسماء فإن قال: ألقه، ألقاه في مهواة أربعين خريفًا» أحمد والبيهقي عن ابن مسعود.

«صنفان من أمتي لن تنالهم شفاعتي: سلطان ظالم غشوش، وغالٍ في الدين يشهد عليهم، وتبرأ منهم» الطبراني عن أبي أمامة.

«أشد الناس عذابًا يوم القيامة إمام جائر» الطبراني عن ابن عمر.

أما عن الحاكم العادل

يقول رسول الله ﷺ: **«المقسطون على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم ما وُلُّوا»** مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

«الإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

«القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة: رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار» الحاكم.

كما أمرنا بعدم الإسراف في العقوبة:

يقول الرسول ﷺ: «قرصت نملة نبيًا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأُحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة حرقت أمة من الأمم تسبح» البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

٢- رشوة الحاكم

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

يقول الرسول ﷺ: «لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام ولا ترشوهم؛ ليقتضوا لكم حقًا غير حقكم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم».

«لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم» ابن حبان عن أبي هريرة.

«من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى بابًا كبيرًا من أبواب الربا» أبو أمامة.

عن ابن مسعود قال: (السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدي إليك هدية فتقبلها منه).

«من ردَّ على مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلًا أو كثيرًا فهو سحت» فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا رشوة الحاكم، فقال: ذلك كفر نعوذ بالله منه.

٣- غش الحاكم

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [الشورى: ٤٢].

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

يقول الرسول ﷺ: «**من غشنا فليس منا**» مسلم عن أبي هريرة.

«**أيما راعٍ غش رعيته فهو في النار**» الطبراني عن أنس.

«**من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم عليه الجنة**» البخاري عن معقل بن يسار.

« **ما من أمير عشيرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه إما أطلقه عدله، أو أوبقه جوره**» أحمد عن أبي هريرة.

ومن دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ من ولي من أمر هذه الأمة شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم فاشقق عليه**» أحمد عن عائشة.

٤- الغلول من بيت المال

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨].

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

يقول الرسول ﷺ: «**أدُّوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول؛ فإنه عار على صاحبه يوم القيامة** » أحمد ومالك عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

«**هدايا العمال غلول**» أحمد وابن ماجه عن ابن عباس.

وعندما استعمل الرسول ﷺ ابن اللتبية على الصدقة، وقدم وقال: هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ، فصعد النبي ﷺ المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**والله لا يأخذ أحد منكم منها (الصدقة) شيئًا بغير حق إلا جاء يوم القيامة يحمله، فلا أعرف رجلًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يده ﷺ فقال: اللهم إني بلغت**» البخاري، ومسلم عن أبي حميد الساعدي.

و- القضاء

١- الحكم بالعدل

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٩].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠].

يقول الرسول ﷺ: «**اتقِ دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام ويقول الله: بعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**» الطبراني عن خزيمة بن ثابت.

وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم، وحُمِلوا على سفك دمائهم، واستحلوا محارمهم**» رواه مسلم.

وقال أيضًا: «**اشتد غضب الله على من ظلم من لم يجد له ناصرًا غير الله**» الديلمي عن علي.

٢- يشترط الإسلام أن لا يحكم القاضي

أ- وهو غضبان.

ب- أن يسمع الخصمين، وأن يسمع الخصمين جيدًا، وأن يكون عادلًا في الاستماع إليهما.

جـ- ثم يحكم بأمر الله فلا يخفف ولا يزيد عن أمر الله في العقوبة.

عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقضِ بين اثنين في**

تمرة» أحمد وابن حبان والطبراني.

وقال ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله**» الحاكم عن طلحة.

وقال أيضًا: «**من ضرب بسوط ظلمًا اقتص منه يوم القيامة**» البخاري والبزار والطبراني عن أبي هريرة.

د- التأكد من الأخبار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ ﴾ [الحجرات: ٦].

يقول الرسول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيلقل خيرًا أو ليصمت**» البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة.

ويقول ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**» أحمد عن بلال بن الحارث.

هـ- التأكد من شهادة الشهود: فشهادة الزور في الإسلام من الكبائر الكبرى وعلى القضاة في الإسلام التأكد من الشهادات المقدمة إليهم حتى يتجنبوا شهود الزور، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠].

يقول الرسول ﷺ: «**عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين**» أبو داود والترمذي والطبراني عن ابن مسعود.

ويرتكب شاهد الزور أربع كبائر:

أولها: الكذب والافتراء قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ [غافر: ٢٨]. يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب.

ثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

ثالثها: أنه ظلم الذي شهد له بأنه ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادة فوجبت له النار، وقال رسول الله ﷺ: « **من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار** ».

رابعها: أنه أباح ما حرم الله تعالى، وعصمه من المال والدم والعرض، وقال رسول ﷺ «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: يا ليته يسكت. البخاري ومسلم عن أبي بكر.

وقال ﷺ: «**شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يوجب الله له النار**» رواه الحاكم.

وعلى المسلم أداء الشهادة وعدم تكتمها:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٣].

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

قال رسول الله ﷺ: «**صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك**» رواه البخاري.

وقد نهى الله -سبحانه وتعالى- عن كتم الشهادة وقد أوعد من كتم الشهادة أن قلبه يصبح آثمًا.

و- يجب على القاضي أن يعمل على عتق الرقاب ودفع الصدقات لفقراء المسلمين في الدولة الإسلامية:

يجب على القاضي أو الحاكم أن يعمل على فك الرقاب عند الحكم في الأسباب السابقة في كفارات القتل والظهار وخلافه.

يقول الله سبحانه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢].

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾ [المائدة: ٨٩].

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣].

ويقول الرسول ﷺ: «فكوا العاني (الأسير) وأجيبوا الداعي وأطعمو الجائع وعودوا المريض» رواه أبو موسى الأشعري.

«وكان الرسول ﷺ إذا دخل رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل» أبو سعيد عن عائشة.

العلاقات القضائية

ويجب أن يراعي القضاة في الإسلام الآتي:

١- التكاليف

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق: ٧].

٢- سن البلوغ

﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ [النساء: ٦].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٨-٥٩].

٣- الوفاء بالعهود والعقود واليمين

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم ... ﴾ [المائدة: ١].

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ [الرعد: ٢٠].

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

يقول الرسول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

«**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، والخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك، وارتكب العظائم، وأدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**» البخاري والترمذي عن أبي هريرة.

«يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب» أحمد والبيهقي عن أبي أمامة.

«يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه» أبو داود والحاكم.

٤- الجزاء

أ- القصاص

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨-١٧٩].

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا ﴾ [النساء: ٩٢].

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ [النحل: ١٢٦].

ب- الحدود

١- حد الكبائر

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧].

٢- حد الزنى واللواط

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢-٣].

وقد شدد الرسول على الزاني المحصن فكان الرجم وكذلك اللواط لأن من يفعل ذلك يؤذي أسرته ومجتمعه.

٣- حد السرقة

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨-٣٩].

ولا شفاعة في حدود الله يقول رسول الله ﷺ: «**والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

٤- حد القذف

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤-٥].

٥- حد الحرابة

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

وهذه الحدود السابقة لها شروط وأحكام، ولا يسع هذا الكتاب أن نذكرها بالتفصيل، ولكن على سبيل المثال فقد ألغى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حد السرقة في عام المجاعة؛ ولذلك فالحدود ليست مطلقة، ولكن لكل حد أسبابه وأحكامه، وشروط تنفيذه....

ويأتي بعض المتأسلمين وغيرهم ويعيبون على الإسلام تطبيق هذه الحدود،

وأنها بلا رحمة، ولا شفقة... ، ... شفقة ورحمة لسارق واحد، وأين شفقتكم ورحمتكم لمئات المسروقين الذين سُرقت أموالهم وأرزاقهم، أو حتى قوت أولادهم... والذين يسرقون أموال الناس والشعب، ويلهون بها حرام أن تقطع أيديهم وليس حرامًا سرقتهم لجهد وعرق آلاف الناس، وسلبهم مقدراتهم، أي رحمة يتحدثون عنها؟! رحمة أفراد وقسوة على المجتمع؟؟

رحمة بزانٍ فرد، ولم ترحموا الأسرة، فما ذنب امرأته وأولاده أن يقتلوا بالزهري أو الإيدز مثلًا؟ وما ذنب عشرات الناس التي سوف تنتقل إليهم العدوى؟! أي ظلم هذا شفقة برجل أو امرأة وظلم للأسرة والمجتمع؟!.

رحمة بقاطع طريق واحد، وما ذنب من يُقتل، أو يُجرح، أو يُغتصب ماله، أو عرضه، أو تجارته؟ رحمة بقاطع طريق واحد، ولم ترحموا الناس من شروره، وعندما يحدث نتباكى عما حدث، وماذا لو حدث له هو؟ هل يا ترى سيطلب الرحمة له في عدم قتله؟ إنها حدود الله، والله هو خالقنا ويعرف ما يجب أن يُنفذ؛ حتى يكون المجتمع آمنًا، ومن يتعدَّ حدود الله فله عذاب شديد.

والذين يسعون في الأرض فسادًا؛ وهو القتل والسرقة والاغتصاب (كما قال الواحدي) أما مالك والأوزاعي والشافعي: كل من أخذ السلاح على المسلمين فهو محارب لله ورسوله.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قول الله تعالى: (أن يقتلوا... إلى قوله: ...أو ينفوا من الأرض) معناها: الإباحة إن شاء إمام المسلمين قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء نفى، وليست الإباحة للحاكم مطلقة، ولكن مرتبة باختلاف الجنايات، فمن قتل وأخذ مالًا قُتل وصُلب، ومن أخذ المال ولم يقتل قُطع، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قُتل، ومن أخاف السبيل ولم يقتل يُنفى من الأرض، وهذا مذهب الشافعي، وقال الشافعي أيضًا: يحد كل واحد قدر فعله؛ فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه؛ كراهة تعذيبه، ويصلب ثلاثًا، ثم يُنزل للدفن.

ومن وجب عليه القتل دون الصلب قُتل ودفع إلى أهله ليدفنوه، ومن وجب عليه القطع دون القتل قُطعت يده اليمنى، ثم حسمت (كُويت) وإن رجع وسرق تقطع رجله اليسرى وهذا معنى (من خلاف).

وقوله تعالى: (أو ينفوا من الأرض) قال ابن عباس: هو أن يهدر الإمام دمه فيقول: من لقيه فليقتله، هذا إذا لم يقدر عليه، أما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن يمنعه من التقلب في البلاد، فمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل فقد ارتكب الكبيرة فإذا أخذ المال أو جرح أو قتل فقد فعل عدة كبائر علاوة على ما يسرقونه من الناس من أموال فينفقونها في شرب الخمر ولعب الميسر والزنى...وخلافه.

ثامنًا

منهج الإسلام في العلم

الإسلام دين علم لا دين غيبيات وخرافات، ولا كهانة ولا سحر؛ بل دين أول أمر من الله لأصحابه هو أن تقرأ في كتاب الكون، وأن تبدأ بنفسك أيها الإنسان المخلوق من علق، ثم كرر اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم، وحض الإسلام على العلم، والقراءة، والكتابة: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

وقد بيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- أنه هو الذي علَّم الإنسان الكتابة، وعلَّم الإنسان ما لم يعلم كما قد علم آدم الأسماء كلها: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١].

كما بيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- أنَّ كل شيء في الكون يتبع نظامًا علميًّا إلهيًّا، ولا يوجد في خلق السماوات والأرض وما بينهما، وما تحت الثرى من كائنات، وماء، ونبات، ودواب، وأنعام، وملائكة، وجان، وإنسان إلا خلق بعلمه وكل شيء أحصاه في اللوح المحفوظ، فلا يوجد في الكون عشوائيات كل خلق بقدر وبحساب، وكل شيء في كتاب، وإنما أمره إذا أراد شيئًا في كتابه أن يقول له: كن فيكون سبحان الله.

وعندما سأل الله -سبحانه وتعالى- ملائكته قالوا لا علم إلا ما علَّمتنا: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢]، ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ١-٥]، والحسبان: وهو الحساب الدقيق: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩]، ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴾ [النبأ: ٢٩].

وقد بين الله -سبحانه وتعالى- أنَّ جميع مخلوقاته مسجلة في كتابه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣].

ثم يتدرج الله -سبحانه- ليعلِّمنا أن كل شيء في الأرض من ماء، ويابس، وأشجار، وسحب أيضًا مسجل في كتاب: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

لاحظ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها؛ لأنها غذاء لملايين من الكائنات الحية الدقيقة، الحشرات، وغيرها، ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

ويعلمنا أيضًا أن جميع مخلوقاته قد خلقها من ذكر وأنثى، وفي ممالك مثلنا ومسجلة أيضًا في كتاب الله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فلا عشوائية في الكون، كل شيء موجود في كتاب بعلم، وبقدر، وبحسبان، وبقدرة وبحكمة الله -سبحانه- من الفيروسات للديناصورات، ومن الهائمات وحيدة الخلية في المياه إلى الغابات، كل يظهر ويختفي بقدر، حتى أصبحت الأرض صالحة لسكن الإنسان، كل شيء في كتاب.

فإذا كان الله -سبحانه- يعلمنا أن كل شيء خلقه بعلمه وفي كتاب؛ ولذلك علم الإنسان -في أول ظهور له في الكون- العلم، كما سبق أن بينا كما أمر الله سبحانه لخلفائه باتباع العلم بأن يقرأ ويتعلم بالقلم.

وقد قسم الله -سبحانه وتعالى- العلم في القرآن الكريم إلى الآتي:

أولاً: علم المشاهدة

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧]، ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

وكان الدليل القاطع قصة سيدنا عزير؛ إذ قال الله -سبحانه وتعالى: انظر انظر انظر: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ثانيًا: العلم التجريبي

طلب سيدنا إبراهيم -وهو أبو الأنبياء- اليقين من الله بعيدًا عن الغيبيات بعد ما ناقش قضايا وجود الله مع عبدة الكواكب وعبدة الأصنام، والمتألّهين من الناس مثل النمرود، قائلًا: أرني كيف تحيي الموتى؟ فكان الجواب تجربة علمية فريدة فيها مكررات ثم مكررات، وخلط وأخذ عينات عشوائية؛ لكي يريه قدرته على إحياء الموتى، وكان قادرًا أن يريه إحياء الموتى بلا تجارب كما حدث مع عزير في القصة السابقة، بل قال له: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنْهُنَّ جُزْءٗا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيٗاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فإذا كان أبو الأنبياء والرسل طلب اليقين من الله -سبحانه- أفلا يكون من الأجدر بي أنا أيضًا أن أطلب من الله اليقين؟!

هل بعد هذه المدة من الزمن، وتراكم معلومات الله لدينا؟ هل سيأمرني بإجراء مثل هذه التجربة؟! أم يعطيني اليقين من المعلومات المتوافرة لدي؟

فكما علمت من الله -سبحانه- أن الأرض كروية في آيات عديدة في القرآن العظيم: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات: ٣٠]، ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وكما أن كل علم في الوجود هو من عند الله -سبحانه؛ فهذه الأقمار الصناعية التي تجوب الأجواء بين السماء والأرض قد صوَّرت الأرض كروية بيضاوية ككرة زرقاء معلقة في الفضاء أليس هذا علم يقين؟! إن الله هو الذي خلقها وهو الذي أعلمني بذلك منذ القدم في كتابه.

ولذلك أخذ المسلمون الأوائل بالعلم التجريبي كما أمرنا الله -سبحانه وتعالى- بذلك، وسجلوا لأول مرة دورة الدم في الإنسان: الدورة الدموية الصغرى، والدورة الدموية الكبرى، وتركيب العين، وبرعوا في الكيمياء والرياضيات، والطب العضوي والطب النفسي، والفلك، وأخذ عنهم الغرب عن طريق الأندلس بعد ما ترجموا ما وصل إليه علماء المسلمين من الصين حتى الأندلس.

فالعلم في الإسلام هو الأصل، ولا يقول الإسلام: هذا علم حلال، وهذا علم حرام؛ فالعلم كله من عند الله، ولكن أخلاقيات استعمال العلم هي التي تحدد إن كان استعماله في الحلال مثل: استخدام الذرة مثلًا في علاج الأمراض، أو لتوليد الطاقة الكهربائية من الذرة، أو الحرام؛ كاستخدام الذرة في الدمار الشامل وقتل مئات الآلاف من البشر: كبيره وصغيره، امرأة، أو طفلًا، أو شيخًا، محاربًا، أو غير محارب بلا أخلاق، وكذلك كل العلوم فهي من عند الله، ولكن استخدامها أو أخلاقيات استخدامها هو ما يحدده الإسلام لصالح البشرية أو لفنائها.

والعلم المطلق هو علم الله -سبحانه؛ ولذلك لا يصح لإنسان أن يقول: إنه الأعلم، وقد بيَّن لنا ذلك الله -سبحانه وتعالى- عندما سأل الإسرائيليون نبيهم ورسولهم موسى -عليه السلام- من هو أعلم الناس؟ فقال: أنا وذلك لأنه كليم الله وهو الذي أنزل عليه التوراة فقال الله -سبحانه وتعالى: يا موسى اذهب إلى

مكان كذا ستجد عبدًا لنا "سيدنا الخضر" وقابله، وذهب سيدنا موسى ومعه فتاه، وقابلا سيدنا الخضر "العبد الرباني" فقال له الخضر: إن الله قد أعطاك علمًا لم يعطني إياه -وهو التوراة- وأعطاني علمًا لم يعطك إياه، وعندما كانا على ظهر الباخرة جاء عصفور صغير، وأخذ قطرة ماء بفمه فقال الخضر: يا موسى إن مثل علمك وعلمي لعلم الله مثل ما أخذ هذا العصفور من البحر.

وبعد ذلك بين لنا الله -سبحانه وتعالى- أن العلم الغيبي أيضًا ليس علمًا مطلقًا ولكن أيضًا بقدر، وقد بيَّن لنا في ثلاث قصص علم الله الغيبي في سورة الكهف وهي قصص سيدنا موسى مع العبد الرباني سيدنا الخضر:

القصة الأولى: قال: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩].
والقصة الثانية: قال: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠].
والقصة الثالثة: قال: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

والعلم كله أرجعه سيدنا الخضر إلى الله، ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ويعلمنا الله بذلك أن الله يعطي علمه إلى من يشاء من عباده، وله حرية التصرف بعد ذلك فقد أعلم الله سيدنا الخضر بأن هناك ملكًا يأخذ السفن غصبًا، ولم يبلغه كيف يفعل في السفينة، وترك له حرية التصرف هل يقلع خشبًا، أو يكسر قلعًا، أو... فقال: فأردت أن أعيبها.

والقصة الثانية توافق إرادة الله -سبحانه وتعالى- مع ما أراده سيدنا الخضر، بعد ما أعلمه الله أن هذا الولد العاق سوف يؤذي والديه فجاء في نفسه أن يقتله ولذلك قال: فأردنا.

أما القصة الثالثة وهي خاصة بالرزق، ولا دخل لأي إنسان في التحكم في رزق الناس، والمتحكم في رزق العباد هو الله وحده.

ثالثًا: علم السحر

ويجب أن نعلم أن جميع العلوم التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- هي علوم متطورة، وفي حالة تطور مستمر إلى يوم القيامة؛ لكي تخدم البشرية إلا علم السحر فهو علم مغلق غير متطور نزل في بابل بعد سيدنا سليمان عن طريق ملكين هاروت وماروت؛ لكي يفرق الناس بين السحر والنبوة:

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

رابعًا: العلم من عند الله

وقد بيَّن لنا الله -سبحانه وتعالى- في القرآن العظيم أن العلم كله من عنده في الآيات الآتية: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الملك: ٢٦]، ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٧]، ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم: ٣٠].

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

ثم يوضح لنا علاقة الإنسان بعلوم الكون وما حوله من كائنات حية، ومن الأفلاك، غيرها في كثير من آياته حيث يقول سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [الحج: ٥].

حثنا على طلب العلم في آيات عديدة وأحاديث شريفة من الرسول النبي الأمي وقد بيَّن الله -سبحانه وتعالى- علاقة الإنسان بعلوم الكون كلها: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف: ٦٥]، ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الملك: ٢٦]، ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [النمل: ٦٠-٦١]، ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥]، ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

جميع العلوم: علوم الفلك، الرياضة، والفسيولوجي، الأجنة، والحيوان، والنبات، والإنسان ....، وجميعها لتعلموا ولتعلموا ... ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف: ٦٥]، ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٧]، ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ۝ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ [الكهف: ٩٦-٩٧].

حتى تعليم الطيور الجارحة والحيوانات ككلاب الصيد كيفية الصيد علم من عند الله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤]، وكذلك العلم عند العبد الرباني: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

كما نهى الله -سبحانه وتعالى- أن نجادل في الأشياء التي لا نعلمها، ولا بد عند الجدال أن نكون عالمين بما نجادل فيه:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج: ٣]، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨]، ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

بيَّن الله -سبحانه وتعالى- فضل العلماء في الدين أنهم ورثة الأنبياء، فقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨]، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ويقول الرسول الكريم ﷺ في العلم:

«طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ وإنَّ طالبَ العلمِ يستغفرُ له كلُّ شيءٍ حتى الحيتانِ في البحرِ» الديلمي.

«اطلبوا العلمَ ولو في الصينِ فإنَّ طلبَ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ وإنَّ الملائكةَ تضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضا بما يصنعُ» ابن عبد البر.

«مَنْ خرجَ في طلبِ العلمِ كانَ في سبيلِ الله حتى يرجعَ» الترمذي.

«لكلِّ شيءٍ طريقٌ وطريقُ الجنةِ العلمُ» الديلمي عن ابن عمر.

«الغدوُّ والرواحُ في تعلمِ العلمِ أفضلُ عند الله من الجهادِ في سبيلِ الله» أخرجه الديلمي عن ابن عباس.

«العلمُ حياةُ الإسلام وعمادُ الإيمانِ، ومن علمَ علمًا أتمَّ اللهُ أجرَه، ومَنْ تعلمَ فعملَ علَّمه اللهُ ما لم يعلم» أخرجه أبو الشيخ.

«العلمُ خزائنُ ومفتاحُها السؤالُ فاسألوا يرحمْكم اللهُ؛ فإنَّه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمحب لهم» أخرجه أبو نعيم عن عليٍّ.

«العلمُ علمان: علمٌ في القلبِ فذلك العلمُ النافعُ، وعلمٌ على اللسانِ فذلك حجةٌ على ابنِ آدمَ» أخرجه ابن الخطيب عن جابر.

«قليلُ الفقهِ خيرٌ من كثيرِ العبادةِ، وكفى بالمرءِ فقهًا إذا عبدَ اللهَ، وكفى بالمرءِ

جهلًا إذا أُعجبَ برأيه، وإنما الناسُ رجلان: مؤمنٌ وجاهلٌ فلا تؤذِ المؤمنَ ولا تجاورِ الجاهلَ» أخرجه الطبراني عن ابن عمر.

«ما جُمع شيءٌ إلى شيءٍ أفضلُ من علمٍ إلى حلمٍ» أخرجه الطبراني.

«ليس من أخلاقِ المؤمنِ التملقُ ولا الحسدُ إلا في طلبِ العلمِ» أخرجه البيهقي عن معاذ.

«مَنْ أفتى بغيرِ علمٍ لعنته ملائكةُ السماواتِ والأرضِ» أخرجه ابن عساكر.

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من علمٍ لا ينفع، وعملٍ لا يُرفعُ، ودعاءٍ لا يُستجابُ» أخرجه الحكيم عن أنس.

«اللهمَّ أغنني بالعلمِ، وزيِّنِّي بالحلمِ، وأكرمني بالتقوى، وجمِّلني بالعافيةِ» أخرجه ابن النجار عن ابن عمر.

«أشدُّ الناسِ حسرةً يومَ القيامةِ: رجلٌ أمكنَه طلبَ العلمِ في الدنيا ولم يطلبْه، ورجلٌ علَّمَ علمًا فانتفعَ به من سمعَه منه دونَه» أخرجه ابن عساكر عن أنس.

«آفةُ العلمِ النسيانُ، وإضاعتُه إذا تحدث به غيرُ أهلِه» أخرجه ابن أبي شيبة.

«إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له» أخرجه مسلم.

«أفضلُ الصدقةِ أن يتعلمَ المرءُ المسلمُ علمًا، ثم يعلِّمُه لأخيه المسلمِ» أخرجه ابن ماجه.

ويقول الرسول ﷺ عن العلماء:

«عالمٌ يُنتفعُ بعلمِه خيرٌ من ألفِ عابدٍ» أخرجه الديلمي عن عليٍّ.

«أكرموا العلماءَ فإنَّهم ورثةُ الأنبياءِ فمَنْ أكرمَهم فقدْ أكرمَ اللهَ ورسولَه» أخرجه

الخطيب عن جابر.

«يشفعُ يومَ القيامةِ الأنبياءُ، ثم العلماءُ، ثم الشهداءُ» أخرجه ابن ماجه.

«مثلُ العالمِ الذي يعلمُ الناسَ الخيرَ وينسى نفسَه كمثلِ السراجِ يضيءُ للناسِ ويحرقُ نفسَه» أخرجه الطبراني عن جندب.

«معلمُ الخيرِ يستغفرُ له كلُّ شيءٍ حتى الحيتانِ في البحرِ» رواه جابر.

«فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ» أخرجه أبو نعيم عن معاذ.

«العالمُ والمتعلمُ شريكان في الخيرِ وسائرُ الناسِ لا خيرَ فيهم» أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء.

«العالمُ إذا أرادَ بعلمِه وجهَ الله هابَه كلُّ شيءٍ، وإذا أرادَ أن يكثرَ به الكنوزَ هابَ من كلِّ شيءٍ» أخرجه الديلمي عن أنس.

«العلماءُ أمناءُ الرسلِ ما لم يخالطوا السلطانَ ويداخلوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطانَ وداخلوا الدنيا فقدْ خانوا الرسلَ فاحذروهم» العقيلي عن أنس.

«العالمُ والعلمُ والعملُ في الجنةِ، فإذا لم يعملِ العالمُ بما يعلمُ كانَ العلمُ والعملُ في الجنةِ والعالمُ في النارِ» أخرجه الديلمي.

«ويلٌ لأمتي من علماءِ السوءِ» أخرجه الحاكم عن أنس.

«ويلٌ لمن لا يعلمُ، وويلٌ لمن علمَ ثم لا يعملُ» أخرجه أبو نعيم.

«الويلُ وادٍ في جهنمَ يهوي فيه الكافرُ أربعين خريفًا قبلَ أنْ يبلغَ قعرَه» أخرجه الحاكم عن أبي سعيد.

«اغْدُ عالمًا، أو متعلمًا، أو مستمعًا، أو محبًّا، ولا تكنْ الخامسَ (الجاهل) فتهلكَ» أخرجه البيهقي.

«آفة الدين ثلاثة: فقيه فاجر وإمام جائر ومجتهد جاهل» أخرجه الديلمي عن ابن عباس.

٣- العلمانية والإسلام

مما سبق نجد أن الإسلام دين ذو منهج في جميع مراحل حياة الإنسان فلم يترك الإنسان سدى، بل حدد طريقه منذ وجوده علقة في بطن أمه حتى وفاته، وهو ما ينقص الديانتين اليهودية والمسيحية؛ حيث جاء الإسلام يتمم المنهج الإلهي، وليس لنقض ما سبقه من ديانات؛ فمصدر الديانات الثلاث واحد هو الله سبحانه .

ولكن ماذا فعلت الكنيسة الأوربية في الدين المسيحي؟
- شنَّت حربًا صليبية ضد الشرق الإسلامي لمدة ٢٠٠ عام بلا سبب إلا اغتصاب الأرض، والقتل والسلب.

ليس هذا فحسب، وأشعلت أيضًا الكنيسة الغربية الحروب في أوربا وروسيا؛ لنشر المسيحية، وإبادة كل من لم يدنْ بدين الأمير أو الملك، بل اشتعلت الحروب أيضًا بين الكنائس الأوربية؛ لاختلاف مذاهبها التي أصبح كل مذهب فيها يحتكر الخلاص لأتباعه دون غيرهم، وقد مثلت هذه الحروب عصرًا من عصور الحضارة الأوربية، واستمرت قرنين بين الكاثوليك وبين البروتستانت من سنة ١٥٦٢ حتى ١٦٩٢، وراح ضحيتها حسب (إحصاء فولتير ١٦٩٤ / ١٧٧٨) عشرة ملايين إنسان من سكان وسط أوربا، وهذا خلاف حرب الكنيسة اللاتينية الغربية ضد كنيسة أيا صوفيا اليونانية القسطنطينية، ليس هذا فحسب، بل شنت الكنيسة حرب إبادة للمخالفين باسم محاكم التفتيش التي استمرت من (١١٩٨ - ١٢١٦) وراح ضحيتها ملايين الضحايا بالإغراق، أوالحرق، أو الإعدام، الأمر الذي استمر العمل به خلال ثلاثة قرون، وتحولت المسيحية من شريعة للسلام والأمان كما هو في الشرق إلى كنيسة غربية ليس لها همٌّ إلا الحروب، والقتل، وإنشاء البغضاء بين البشر، ولم يكن لهم همٌّ إلا تكفير وحرق المخالفين لهم، فرأى الغرب أن يحيد الدين عن الحياة؛ لأن الدين كان معوقًا لمنهج الحياة في أوربا وللتحديث، واعتنقوا مبدأ العلمانية وهي: فصل الدين عن السياسة والدولة، ولكن ماذا فعلت العلمانية في المجتمع الغربي؟

يقول عالم الاجتماع القس الألماني، جوتفرايد كونزلين: نبعت العلمانية من التنوير الغربي، وجاءت ثمرة صراع العقل مع الدين وانتصار العقل عليه باعتباره أثرًا لحقبة من حقب التاريخ البشري يتلاشى باطراد في مسار التطور الإنساني، مما أدى إلى تراجع المسيحية، وضياع أهميتها الدينية، وتحول معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية، والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية، وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة، وسياسة بلا دين.

كما فقدت المسيحية أهميتها فقدانًا كاملًا في المجتمع الغربي وزالت أهمية الدين كسلطة عامة لاختفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتعليم، بل أصبحت سلطة الدولة هي التي تعطي وتمنح الحرية الدينية، وحلت العلمانية باعتبارها دينًا جديدًا بدلًا من الدين المسيحي يفهم الوجود بقوانين دنيوية هي: العقل والعلم.

ولما طُبقت العلمانية في أوربا، وتلاشت المسيحية عجزت العلمانية عن تقديم الإجابات عن القَنَاعات العقلية التي أصبحت مفتقرة إلى اليقين، كما لم تقدِّم العلمانية الحديثة الحلول للإنسان، والسؤال: ماذا بعد الحداثة؟

ودخلت الثقافة العلمانية في مأزق، وأصبح كلٌّ من الدين والعلمانية في إعياء كامل؛ حيث تفكك المجتمع الغربي الذي آمن بالعلمانية وترك الدين، وتحققت نبوءة نيتشه (١٨٤٤ – ١٩٠٠) عن إفراز التطور الثقافي الغربي لأناس يفقدون (نجمهم) الذي فوقهم، ويحيون حياة تافهة ذات بُعد واحد فقط لا يعرف الواحد منهم شيئًا خارج نطاقه.

كما قال ماكس فيبر (١٨٦٤ – ١٩٢٠): لقد أصبح هناك إخصائيون لا روح لهم، وعلماء لا قلوب لهم. ولما كان العلماني في خواء فكري بعد انحسار المسيحية تاه الغرب الأوربي في متاهات العقائد والمذاهب الأخرى، وكلٌّ ذهب يبحث عن روحه بعيدًا عن المسيحية أو الكنيسة، فذهبوا إلى التنجيم وعبادة القوى الخفية، وعبدوا الشيطان، واعتقدوا في الأشباح وطقوس الهنود الحمر، والروحانيات

الآسيوية، ولكن الإسلام حقق نجاحات متزايدة في المجتمعات الغربية على الرغم من المحاربة الإعلامية الشرسة ضده.

فقد أزالت العلمانية الثقافة المسيحية، ولم تعطِ له البديل، ولم تحقق سيادتها على الإنسان الأوربي، وكانت النتيجة خرابًا دينيًّا، وإفلاسًا علمانيًّا، وعلى الرغم من الإباحية الجنسية الكاملة، وتخمة الغرائز والشهوات بلا حدود، والشذوذ الجنسي المقنن، زادت نسب الانتحار بينهم، ولم تقدم العلمانية أية صيانة للأسرة، أو أية حقوق للمرأة الغربية، ومما يصيبها من عنف واضطهاد فعلى سبيل المثال:

- السويد وهي أكثر بلاد العالم رفاهية: ٩٥٪ من الإناث لهم تجارب قبل الزواج.
- النمسا: ٧٥٪ حالة طلاق نتيجة العنف المنزلي.
- إنجلترا: ٥٠٪ من القتيلات من الزوج، أو الشريك.
- تضاعف الطلاق إلى ٢٣ ضعفًا خلال الخمسين سنة الماضية.
- فرنسا: ٩٠٪ من الزواج خارج النطاق الكنسي أو القانوني.
- ٥٣٪ من المواليد خارج قدسية الزواج.
- الدنمارك: ٥٠٪ زيادة في المواليد غير الشرعية خلال ٤٠ سنة، وهي نفس النسبة في كل من فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا وكندا وأيرلندا.

ومن شروط دخول الدول الاتحاد الأوربي الموافقة وتقنين الشذوذ الجنسي، واللواط، والسحاق.

- أمريكا: ٦٠٪ من أعضاء أكبر المنظمات النسائية سحاقيات.
- ٨٠٪ من الإناث يفقدن بكارتهن قبل الزواج.
- ٨٠٪ من جرائم القتل عائلية.
- أكبر نسبة طلاق في العالم كما زادت الجريمة ٥٠٠ ضعف خلال ٣٠ سنة فقط.
- تفشي المخدرات بأنواعها، مع زيادة تجارة السلاح والدعارة.
- في العالم ٦٠ مليون حالة إجهاض سنويًّا.

التجارة الأولى في العالم العلماني

أ- تجارة السلاح.
ب- تجارة المخدرات.
ج- تجارة الدعارة نساءً وأطفالًا.

١٤٪ فقط من الأوربيين الذين يؤمنون بوجود الله، ١٠٪ منهم فقط يذهبون للكنائس ليس للعبادة، ولكن للاختلاط الماجن؛ حيث أتاحت بعض الكنائس المجال لزواج الأمثال، بل إن بعضًا من المسئولين عن الكنائس أيضًا شواذ.

كما أوصلت العلمانية الإنسان إلى الأنانية المفرطة، واللاإرادية، والقنوط، والإحباط، والاكتئاب، وتحللت الأسر، وتدنى معدل الخصوبة إلى حدها الأدنى في الدول الأوربية حتى شاعت الآن مقولة: احتضار الغرب، وانقراضه وأولهم إيطاليا حيث الفاتيكان.

وأغلقت الكنائس والمدارس في ألمانيا لقلة الأطفال والمترددين على الكنائس، والآن جاء المبشِّرون من العالم الغربي والمتأسلمون من العالم الشرقي مبشرو علمنة العالم الإسلامي؛ حتى يتبع المسلمون العلمانية في بلادهم؛ حتى تنهض شعوبهم، وتتحدث كما فعل كمال أتاتورك في تركيا سنة ١٩٢٤ الذي ألغى الطربوش، ولبس القبعة وغيَّر حروف لغته إلى حروف لاتينية، ومنع الحجاب، ومنع إقامة الشعائر الإسلامية، فهل وصلت تركيا بعلمانيتها إلى التطور والارتقاء ما وصل إليه المجتمع الأوربي نتيجة علمانيته؟

العلمانيون يقولون: إن دين العلمانية هو العقل والعلم، ونحن نقول لهم: إن الإسلام دين عقل وعلم أيضًا، وما وصل إليه الشرق المسلم من تخلف ليس لأنهم مسلمون طبقوا الدين الإسلامي فتخلفوا، ولكن هذا التخلف والفقر من تكالب الاستعمار الأوربي في استنفاد موارد الشرق، واستمرار محاربته، وما حرب العراق الآن إلا ومضة من سلوكه، وعدم تنفيذ المسلمين المنهج العلمي في الحياة.

تحرك الغرب وازدهر عندما ترك المسيحية، ودان بدين العلمانية، ولكن على حساب الأسرة والمجتمع والحياة، ولكن عندما طبق المسلمون الدين الإسلامي في منهج حياتهم وصلت الحضارة العالمية لأوهج عصورها من الأندلس إلى الصين، ولم يمنع الدين الإسلامي التقدم العلمي في العالم، أو الأخلاق في ربوع بلاد الإسلام حتى كان في عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز لم يجد في بلاد الإسلام من الصين إلى الأندلس من يأخذ الزكاة!! تكافل اجتماعي رائع، مع ازدهار علمي كامل في ربوع البلاد الإسلامية حتى جاء التتار والصليبيون والطامعون في بلاد الشرق بلاد العسل واللبن، ونتحدى أن يأتي أحد ويقول: إن الإسلام منع العلم مهما كان هذا العمل، وقد سبق أن بيَّنا في منهج الإسلام في العلم أن العلم فريضة على كل مسلم، كما حث الإسلام أتباعه على التعلم حتى إن رسوله طلب أن يذهب المسلمون إلى أقاصي الأرض وهي الصين؛ لكي يتعلموا وهل في الصين علم الدين؟ وهل تعارض الإسلام مع حرية الفرد أو المجتمع؟ وهل تعارض الإسلام مع التجارة الحرة الشريفة؟ وهل تعارض الإسلام مع الديمقراطية مثلًا؟ وإذا كان أساس الإسلام الشورى والتكافل والعلم والقوة والأخلاق، فلماذا نذهب إلى العلمانية؛ لكي ندمر أنفسنا كما نرى بأعيننا؟

نحن نسأل العلمانيين المتأسلمين هل أنتم عُميٌ؟ ألا ترون ما حولكم من مصائب العلمانية؟ هل سبب تأخرنا هو الدين الإسلامي؟ هل تريدون لنا الشذوذ، والانحراف، والدعارة، والتفكك الأسري، وأطفال بلا أُسَر، وأمراض فتاكة؟ هل هذا هو دينكم الجديد الذي تبشروننا به؟! وهل مشكلة ختان الإناث في العالم الإسلامي بحلها سوف نصل إلى القمر ونجدد المجتمع؟ هل في إحلال دينكم محل الإسلام سوف ينهض مجتمعنا؟

نحن المسلمين علمانيون عندما نستخدم الإسلام منهجًا لنا في الحياة، فالإسلام دين علم وعقل، وأُمرنا بذلك في مناهجه: الأسرة، المجتمع المحلي، والمجتمع العالمي، والأخلاق: في الاقتصاد، وفي الصناعة، وفي الزراعة، والخلاف بين الدين الإسلامي والدين العلماني هو: الدين الإسلامي عقل وعلم وأخلاق، أما الدين

العلماني عقل وعلم وخواء فكري وأخلاقي؛ فهذه دولة ماليزيا الصغيرة في آسيا التي كانت من أفقر دول آسيا وصلت في حضارتها إلى النمور الآسيوية بالنظام، ولم تترك الإسلام دينًا، وتأخذ العلمانية، وهذا مهاتير محمد باستخدام الأسلوب العلمي الأمثل مع حفاظه على دينه وصل إلى مصاف الدول الآسيوية، بينما تركيا التي اتخذت العلمانية دينًا بدلًا من الإسلام لم تصل بعد إلى الرفاهية، فلا هي وصلت إلى أوربا، ولا وصلت إلى الإسلام.

هل يتعارض الإسلام مع العلم، كما عارضت المسيحية في بعض عصورها العلماء وأحرقتهم في الميادين العامة؟ ماذا قال رسول الله محمد -عليه الصلاة والسلام- الذي يحب العلم؟

« **عالمٌ يُنتفعُ بعلمِه خيرٌ مِنْ ألفِ عابدٍ**» أخرجه الديلمي عن عليٍّ.

«**العالِمُ والمتعلمُ شريكان في الخير وسائر الناس لا خير لهم**» أخرجه الطبري عن أبي الدرداء.

فهل طلب منك هذا الرسول الكريم ألا تتعلم؟! هل طلب من المسلمين أن يتركوا العلم ويعبدوا الله فقط صلاة، وصيامًا، وحجًّا، وخلافه، بل فضل العالم المؤمن بألف من العباد الذين يؤدون الشعائر فقط، وكذلك يحثنا على العمل فيقول ﷺ: «**إذا قامَتِ القيامةُ وفي يدِ أحدِكم فسيلةٌ فليزرعْها**»، فالعمل حتى يوم القيامة والفسيلة النخلة معروف أنها تعطي ثمارها بعد عشر سنوات، ولقد حُذرنا من علماء السوء، والعلماء الذين لا يعلمون فقال ﷺ: «**ويلٌ لِمَنْ لا يعلمُ، وويلٌ لمن علمَ ثم لا يعملُ**» أخرجه أبو نعيم.

حتى أن الرسول ﷺ جعل طلب العلم فريضة، «**اطلبوا العلمَ ولو في الصين، وإنَّ طلبَ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضاءً بما طلبَ**» أخرجه ابن عبد البر.

«العلمُ حياةُ الإسلام وعمادُ الإيمانِ ومَنْ علَّم علمًا أتمَّ اللهُ أجرَه ومن تعلَّمَ فعمل علَّمَه ما لم يعلمْ» أخرجه أبو الشيخ.

كما أن الله -سبحانه وتعالى- في معظم آيات القرآن جعل العقل هو أساس الإيمان، وهو الذي يؤدي إلى الإيمان، وإلى الإسلام، وإلى الحياة: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢]، ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

فجعل الله سبحانه الذي لا يعقل، ولا يستخدم عقله ما هو إلا شرُّ الدواب فهو أعمى، وأصم، وأبكم، (ما يعلمها إلا العالمون)، (لقوم يعلمون)، دين يحث أتباعه على العلم والعقل، وهو أمر مفروض في الإسلام، ثم يأتي من لم يعرفوا الإسلام أو المتأسلمون الذين لا يعقلون، ويطلبون من المسلمين أن يعتنقوا الدين الجديد "العلمانية" بئس ما يطلبون.

الفرق بين المسلم المتعلم العاقل وبين العلماني أن المسلم يرجع أموره إلى الله -سبحانه وتعالى- ورسوله، ويتبع أخلاق الإسلام، ويتبع مناهجه في تطبيقات العلم في الحياة، فيعلمنا الإسلام أن العلم -كلَّ العلم- من عند الله -سبحانه- يعطيه للناس: مسلمهم وكافرهم؛ فهو كالرزق يعطيه لمن يسعى إليه، ومن يجدُّ في طلبه، ولا يوجد في الإسلام علم حلال، وعلم حرام، ولكن تطبيق العلم هو الذي يُطلق عليه حلال وحرام.

فالعلم المرغوب فيه هو: علم ينفع البشرية عمومًا فنحن خلفاء الله في الأرض؛ لكي نعمرها، وليس لكي ندمرها:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾

[البقرة: ٢٥]

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

فها هم العلماء المسلمون يخشون ربهم في علمهم بتطبيقه في رفاهية البشرية، وإعمار الأرض، هذا هو الإسلام، وهؤلاء هم علماؤه الذين ملئوا الأرض علمًا عندما عملوا بمنهج الإسلام، وعملوا بالعلم التجريبي؛ فنبغوا في الطب، والكيمياء، والرياضيات، والفلك، وعلم النفس، وخلافه فسبقوا في علوم الدين والدنيا، لم يُقتل عالمٌ، أو يُسجن، أو يُضطهد، وأنا أسأل العلمانيين: هذه الأرقام التي يكتبون، وأُنشئت حضارتكم عليها أليست عربية **Arabic Number**؟ أليس علم الجبر وعلم المثلثات من نتاج الفكر البشري للمسلم جابر بن حيان (جبر)؟ ألم تقولوا: إن ثورة الرياضيات في اكتشاف "الصفر" علمٌ من المسلمين؟ لم يُسجل قطُّ في التاريخ أن الإسلام الحقيقي في تعاليمه منع علمًا -أي علم- أن يُدَّرس ويطبق بأخلاقيات الإسلام، فالعلمانية أهم بنودها (الغاية تبرر الوسيلة)، واحتلال الأرض واستنفاد ثروات الشعوب بالقوة فتُضخ في تنمية بلادهم وازدهارها، ثم يقولون عن الفقراء الذين استنفدوهم: إنهم متخلفون. ونرجع مرة أخرى إلى أن ما يقدمونه إلى المسلمين من علمانية ما هي إلا دعوة خراب للمجتمع البشري أجمع.

ولكن دعوتكم لنا أن ننهض بالعلم من الغرب أيضًا دعوة صحيحة؛ لأن الحضارة الموجودة الآن في العالم وتتزعمها أمريكا ما هي إلا حضارة البشرية أجمع، وليس حضارة الأمريكيين؛ فأمريكا أيضًا تستنفد عقول البشر من جميع بلاد العالم إليها، وتغريهم بالأموال والإمكانيات، حتى وصلوا إلى ما هو عليه وليس السبب

العلمانية، ولكن النظام والإمكانيات، وهذا على سبيل المثال العالم أ.د/ زويل مصري مسلم خريج جامعة الإسكندرية، هل الإسلام منعه من النبوغ، أم علمانية أمريكا هي التي أظهرت نبوغه؟

إنها الإمكانيات المادية والعلمية إذا توافرت نبغ الإنسان سواء أكان علمانيًّا، أو غير علماني، سواء أكان أفريقيًّا، أو آسيويًّا، أو أوربيًّا؛ فالإنسان إنسان لا فرق بين البشر، الكل سواء في الإسلام، لا جنس آري، ولا أنجلو ساكسون، ولا ...، ولا .... الكل بشر، فهل بعد هذا نسمع صوتًا يطالب بتطبيق العلمانية في العالم الإسلامي؟

وتُعتَبر أمريكا رائدة العلمانية في العالم الآن، وزعيمة الغرب ترفض أن توقِّع على اتفاقية كيتو للتخفيف من أضرار الصناعة حتى تقلل انبعاث ك أ، إلى الجو، وزيادة حرارة الكرة الأرضية؛ مما يسبب الضرر البالغ للبشرية جميعها: ماء، ونبات، وحيوان، وإنسان.

وهذا ثقب الأوزون يزداد؛ لزيادة النشاط الصناعي في الغرب خصوصًا أمريكا ترفض رفضًا كاملًا لأنها ليس عندها أخلاق، أنا ومن بعدي الطوفان... أنا أولًا، أنا ثانيًا، أنا ثالثًا، ولتذهب شعوب الأرض إلى الجحيم، ونسوا -أو تناسوا- أن الضرر كما يصيب الآخرين، فهم أول من يصيبهم نتيجة رفضهم توقيع هذه المعاهدة، فهل العلمانية، أو العلمانيون عندهم أخلاق للحفاظ على البشرية؟ علم بلا أخلاق، دمار شامل، ولِمَ لا؟ ألم يستعملوا القنبلة الذرية في هيروشيما ونجازاكي، وقتلوا مئات الآلاف من اليابانيين على الرغم من استسلامهم في الحرب؟ ولِمَ لا وقد أبادوا مئات الآلاف من الكوريين، والفيتناميين؟ ولِمَ لا وها هو الغرب العلماني يأتي إلى الشرق مرة أخرى، ويقتل مئات الآلاف بلا سبب، إلا استنزاف البترول؟ ..... علم بلا أخلاق دمار شامل....

ولنبيِّن سذاجة الذين يطالبوننا بالعلمانية في مصر، ساق شاعر علماني متأسلم سؤالًا ظنًّا منه أنه سيحرج العلماء المسلمين الذين يرفضون العلمانية دينًا بسؤال:

- إذا تعارضت حقيقة علمية مع نصٍّ ديني أنغيِّر الحقيقة العلمية، أم النص الديني؟
فإن قلنا: نغيِّر الحقيقة العلمية سيقول: أنتم جهلاء هذه حقيقة علمية، أنتم مكابرون، مغيَّبون بالدين، ولا فائدة في إصلاحكم؛ لأنكم لا تُعملون العقل والعلم، وإن قلنا نغيِّر النص الديني فنصبح بذلك كافرين، وبالتالي نأخذ بالعلمانية دينًا... كاتب ساذج.

أولًا: لا يوجد تعارض قَطُّ في الإسلام بين العلم والدين، وكلاهما مصدرهما واحد هو الله؛ فلا تعارض قط بينهما.

ثانيًا: العمل في حالة تطور مستمر منذ بدء الخليفة إلى يوم القيامة.

ثالثًا: إذا توافق الدين مع العلم يصبح العلم حقيقة، ولكن ليس العكس، فعلى سبيل المثال: في الخمسينيات من القرن العشرين كنا ندرس في الجامعات أن البكتريا لا تتكاثر جنسيًّا، وكانت أمامنا كحقيقة علمية، كما ساقها الكاتب؛ لأن معدل تكبير الميكروسكوب ١٠٠,٠٠٠مرة وكنا نرى البكتريا في المجال الميكروسكوبي بأشكالها المختلفة، ولكن لم نقدر أن نفرق إن كان هناك زوجان ذكر وأنثى؛ حيث يصل حجم البكتريا من ١/ ٢ إلى ٢ ميكرون "الميكرون (١/ ١٠٠٠٠٠٠) سم" والآية في القرآن الكريم تقول:

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦]، ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

فهل نغيِّر الدين ونغيِّر الآيات التي ذكر فيها الله أن كل شيء خلقه من زوجين، وبالنسبة للبكتريا أيضًا، سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض النباتات والدواب والإنسان ومما لا يعملون، وهي الكائنات الحية الدقيقة، والجان والملائكة مثلًا، فالذرة على سبيل المثال خلقها الله من زوجين نواة وإلكترون ذكر وأنثى، وكل شيء مخلوق من سالب وموجب، أو ذكر وأنثى ...، وفي أواخر الخمسينيات من

القرن العشرين ظهرت حقيقتان علميتان؛ لتؤكد ما جاء في القرآن العظيم.

أولًا: ظهور الميكروسكوب الإلكتروني مما زاد من قوة التكبير من ١٠٠,٠٠٠ إلى ثلاثين مليون ضعف؛ فأظهر أن البكتريا فيها ذكر وأنثى، وهناك أنبوب اتصال بينهما.

ثانيًا: جاء عالم بيولوجي، وسأل: هل الكائنات معرفة بمملكة حيوانية، ومملكة نباتية؟ فهذا التقسيم من عند الإنسان، وشرع يقسم الكائنات مرة أخرى فوصل إلى أنها تكون بدلًا من مملكتين النباتية والحيوانية أضاف مملكة أخرى وهي مملكة الأوَّليات التي شملت البكتريا بمعنى أنها أمم أمثالنا.

فماذا لو أخذنا بكلام الأستاذ العلماني؟! هل نغيِّر الدين، ونكفر بآيات الله، أم نقول: العلم لَمَّا يكتشف بعدُ ما جاء في كتاب الله؟:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨]

أمم أمثالنا: ممالك، ومن أزواج مثلنا، ماذا يقول الأستاذ العلماني؟!

لا تعارض في الإسلام بين العلم والدين، إنما التعارض يكون في مفاهيم البشر، علينا بالبحث العلمي أولًا وأخيرًا، كما أمرنا الله ورسوله بذلك، وأثبتتها البحوث التجريبية، كما أشار القرآن في ذلك في تجربة كيف يحي الله الموتى لسيدنا إبراهيم، كما حثنا على أن يكون الإنسان قوي الملاحظة في علم المشاهدة، وطلب أن نسجل كل شيء شاهدناه بـ: العلم، العقل، الأخلاق.

نفس الكاتب العلماني ينادي بتساوي الإرث بين الذكر والأنثى، ولقد رددنا عليه في الميراث، فهذا تفسير للتشريع الإسلامي وقوانينه على مبدأ (لا تقربوا الصلاة)، بدون تكملة الآية (وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)... والحكمة في هذا الأمر من الله ففى حالة الذكر ضعف الأنثى في ثلاث حالات فقط، ولا فرق

بين الذكر والأنثى في ثلاثين حالة، بل الأنثى تأخذ أكثر من الذكر في حالات عديدة ليس هذا فحسب فأكبر الأنصبة في الميراث وهي: الثلثان أعطيت للأنثى، ولم تُعطَ للذكر... افهموا الدين الإسلامي، وتدارسوه قبل أن تخوضوا بالباطل فيه:

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]، ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[غافر: ٣٥].

٤- صراع الحضارات

قبل أن نناقض مقولة صراع الحضارات التي ظهرت حديثًا نبدأ أولًا: تعريف الحضارات من المنظور الإسلامي؛ حتى عندما نتكلم عن: هل هناك صراع للحضارات، أم الحضارات مكملة لبعضها البعض؟

فالحضارة هي نتاج بشري تداخلت الظروف والعوامل مع بعضها البعض؛ لتنتج حضارة تنفع العالم أجمع، أم حضارة تفني العالم أجمع.

فالحضارة هي أمر من الله سبحانه؛ حيث خلق الله آدم، وجعله خليفته في الأرض؛ لكي يعمرها، وليس ليدمرها، ونزل ومعه العلم والأخلاق:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٢].

فالعلم هو أساس عمارة الأرض (علَّم آدم الأسماء كلها)، والعلم المرتبط بالأخلاق لأن سيدنا آدم نزل إلى الأرض بالعلم والأخلاق، فأمرنا الله -سبحانه وتعالى- أن نعمر الأرض ولا نتجبر فيها ولا يطغى بعضنا على بعض، وأن نكون ذوي أخلاق حميدة، نرحم الفقراء واليتامى والمساكين والأرامل.

ومنذ بدء الخليقة والإنسان في صراع مع نفسه والآخرين؛ لجمع الثروات والتسلط والتجبر في الأرض:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤]، ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦].

وتتكون الحضارة من ثلاثة أضلاع ترتبط مع بعضها البعض في شكل هرمي لا تتكامل الحضارة إلا به وهي: العلم، والقوة، والأخلاق، وتتبع الحضارة في نموها نمو الطفل؛ حيث يولد ضعيفًا، ثم طفلًا، ثم شابًّا يافعًا، ثم رجلًا حكيمًا، وأخيرًا عجوزًا غابرًا، ثم الموت، وهو ما يسمى بمنحنى النمو؛ حيث تتبع جميع المخلوقات هذا النظام في وجودها؛ كالنبات، والدواب، والأنعام، وحتى الأجرام السماوية أيضًا تتبع هذه المنظومة، وكيف لا والخالق واحد هو الله سبحانه؟ ولذلك تبادلت الدول هذه الحضارات فكانت تموت في مكان، وتظهر في مكان آخر في العالم القديم، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ولم يُترك الناس أن يبنوا حضاراتهم بدون نذير من الله - سبحانه وتعالى- يذكرهم بالله -سبحانه، وكذلك يذكرهم بالأخلاق: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وعندما تستكمل الحضارة ثمرها، وتتخم الناس بالأموال، ويميلون إلى الشهوات، وإلى أن يفسدوا في الأرض فيكون ذلك إيذانًا بانتهاء هذه الحضارة، وقد

بيّن لنا ذلك الله في قصة موسى مع فرعون مصر، حيث كانت الحضارة المصرية في أوج عصورها عصر الرعامسة:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧].

فعندما يكذبون رسلهم، ويستشري الفساد، وتضطهد الناس، ويُسخَّرون، ويزيد البغي، والعلو في الأرض يأتي أمر الله -سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

فيكون الدمار بالصاعقة، أو الطوفان، أو الرياح، أو الغرق، أو الصيحة؛ وهي أنواع العذاب التي ذكرها الله -سبحانه وتعالى- في القرآن، والتي أصابت القوم الفاسدين، ويكون الأمر أولًا لأصحاب النفوذ والسلطة المتجبرين:

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

ولذلك نجد الحضارة لها آجال كآجال الإنسان، وسوف تحاسب كل أمة أنتها الحضارة ماذا فعلت في الأرض أصلحت أم كانت مفسدة طاغية؟ ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر: ٤].

وتتوالى الحضارات مكملة بعضها بعضًا، معمرة الأرض كما أمر الله خليفته بإعمارها بالعلم والأخلاق، وبيَّن لنا ذلك أن الحضارات القديمة كانت على اتصال

ببعضها، وكانت على علم بما حدث لهذه القرى، كما ذُكر في قصة مؤمن آل فرعون:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠-٣٤].

ثم جاءت حضارة ما بين النهرين "العراق"، ثم الفرس، ثم اليونان، ثم الرومان وكلها حضارات محلية، وليست عالمية حتى جاء الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ونزل الروح الأمين على أشرف خلق الله والمسلمين بالدين الخاتم؛ وذلك لدعوة أبي الأنبياء والرسل سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وابنه الرسول الكريم إسماعيل -عليه السلام- حيث قالا: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ولما كانت عالمية الإسلام في الدعوة أساسها التوحيد بالله والأخلاق؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ لأتمّمَ مكارمَ الأخلاقِ».

وامتدت أمة الإسلام من الصين إلى الأندلس شاملةً العالم القديم كله، وتحولت الحضارة من حضارة محلية في قرية من القرى إلى عاصمة الحضارة كطيبة في مصر، وأثينا في اليونان، وروما في إيطاليا، وهكذا؛ لأن تنتشر الحضارة في ربوع العالم، ويشترك في بنائها جميع شعوب العالم؛ حيث ساوى الإسلام بين شعوب الأرض، فلا فرق بين عربي وأعجمي، ولا حبشي ولا قرشي، ولا أصفر ولا أحمر ولا أسود؛ الجميع سواء أمام الله، وبلا كهنة ولا وسطاء، وازدهرت العلوم، واستحدثت علوم عديدة لم تكن موجودة من قبل؛ كعلوم الجبر وحساب المثلثات، واكتشاف الصفر، وكذلك الدورة الدموية الصغرى والكبرى، وتركيب العين، والفلك، والكيمياء... وترجمت هذه العلوم جميعها في الأندلس إلى العبرية، واللاتينية، وانتقلت إلى أوربا عبر الأندلس والقسطنطينية؛ فكانت حضارة عالمية، وانتشر الخير في ربوع العالم، وانتشر العدل والطمأنينة، وكما سبق أن بيَّنّا أن لكل حضارة أجلًا فقد بدأت الحضارة تنتهي في هذه الربوع، وانتقلت إلى أوربا؛ وذلك

عندما غفل المسلمون عن مناهج الإسلام في الحكم، والعدل، واضمحلت الأمة، وجاء التتار ليحرقوا المكتبات، وليحرقوا العلم والثقافة، وليحرقوا الحضارة التي كانت موجودة في العالم، وعلى الرغم من أن التتار المغول قد تحولوا إلى الإسلام، وانتشر الإسلام في الهند وممالك القوقاز... وانتشر الإسلام في شرق أوربا، وفُتحت القسطنطينية، وانتشر في جنوب شرقي آسيا وأفريقيا، وهكذا نرى انتشار الإسلام في بقاع الأرض، فهي حضارة مكونة من شعوب العالم أجمع وليس الشعوب العربية فقط.

وبعد قرون الظلام في أوربا في العصور الوسطى بدأ عصر التنوير؛ إذ الحضارة الأوربية مستمدة علومها من علوم الحضارة السابقة لها وهي الحضارة العالمية في العالم الإسلامي التي أخذت من الإسلام أخلاقه ومناهجه، فماذا فعل الغرب بحضاراتهم؟

احتلال شعوب العالم ...! استنفاد ثراوت آسيا وأفريقيا بالقوة مرة، وبالمخدرات مرة أخرى ... وقتل من خالفهم في العقيدة؛ حيث قال أحد المنكرين عندما دخلت المسيحية روما: فلم تتمسيح روما، ولكن ترومت المسيحية، وأصبح الأوربيون يعيثون في الأرض فسادًا، وبدأت الحروب الصليبية لمدة مائتي عام، وشملت أوربا كلها ضد الشرق الإسلامي، واستبدَّ الملوك في قتل كل من خالفهم في المذهب على الرغم من أنهم مسيحيون أيضًا:

الملك شارلمان، وسكسونيا "الملك كنوت" (في الدنمارك)، وفلاديمير (روسيا)، ودانيال بثروفتش (الجبل الأسود)، والملك شارل روبرت (المجر)، وذهب ضحية الحروب الدينية الأخرى في أوربا أكثر من عشرة ملايين، وهي نسبة تصل إلى ٤٠٪ من مجموع سكان وسط أوربا، وهذه بريطانيا العظمى تحتل من الصين لكندا، وتنشر الأفيون بالحرب في الصين، وكذلك الهند، ومصر، وبلاد الشرق مستنفدة ثروات هذه الشعوب.

وهنا نجد أن الحضارة الغربية نظرًا لعدم وجود أخلاق تحددها، وتنصلها من

الدين المسيحي، واعتناقها الدين العلماني فقد نشبت حربان ضروسان في أوربا: الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، والتي لم يُراعَ فيها أي خُلُق، أو أية مبادئ، ودمرت بلاد بأكملها، وانتهكت الإنسانية في اغتصاب أرض ونساء وأطفال، وفي الحرب الأخيرة مات أكثر من خمسين مليونًا؛ ومن هنا نجد:

١- أن القوة بمفردها لم تنشئ حضارة مثل: التتار، وجنكيز خان، وتيمورلنك.

٢- أن العلم والقوة بدون أخلاق لم تنشأ حضارة، بل كانت وبالًا على أهلها؛ فهذا هتلر، وموسيليني في أوربا واليابان في جنوب آسيا دمروا تمامًا، ولم تنشأ حضارة.

٣- وفي أعمارنا نحن وجدنا أوربا بدأت أيضًا تلفظ أنفاسها؛ لأنها لم تتبع الأخلاق في حضارتها.

٤- وانتقلت الحضارة إلى أمريكا، حيث جلبت إليها العلماء من جميع أنحاء العالم فهي أيضًا حضارة عالمية اشترك فيها الآن جميع أجناس الأرض، وليس الأنجلو ساكسون وحدهم، وكذلك الهنود، واليابانيون، والأوربيون ... حضارة عالمية.

ولكن المسار واحد، حضارة بلا أخلاق استمدت فكرها من الفكر الاستعماري الغربي، وتوحدت الغايات بين بريطانيا الحضارة الذاهبة، مع أمريكا الحضارة الآتية؛ فهذه هي أمريكا -وبلا أخلاق- تضرب اليابان بالقنابل الذرية على الرغم من استسلام اليابان رسميًّا في الحرب؛ لتقتل مئات الآلاف، وها هي أمريكا تحارب في كوريا وفيتنام وأمريكا اللاتينية مستعمرة وأخيرًا في أفغانستان والعراق حربًا لا أخلاق فيها، وحجتهم نشر الديموقراطية في الشرق، والهدف المعروف حتى لأطفال الشرق الأوسط هو البترول، واستنفاد ثروات الشعوب، فأي حضارة بلا أخلاق سوف تنهار بسرعة، كما انهارت الحضارات السابقة لها.

وبعد ذلك نرى أن الحضارات منذ بدئها لم تتصارع، ولكن كانت مكملة بعضها بعضًا؛ فالعلم يتراكم وهو نتاج شعوب العالم أجمع، فالمفروض أن يكون رفاهية لشعوب العالم وليس فقرًا في شعوب، وتخمة في شعوب أخرى.

فالحضارة الشرقية التي اتخذت من الإسلام خلقًا وعملًا لا تتصارع من أجل مادة منذ نشوئها، ولكن صراعها -إن وجد- لاحتفاظها بهويتها وبأخلاقها، فلماذا ينادي الغرب أو أمريكا ونحن سوق مستهلكة لحضارتهم المادية؟ لماذا نعادي الغرب أو أمريكا ونحن نأخذ عنهم العلم والرفاهية المادية؟ لماذا نعادي الغرب أو أمريكا ومعظم بلدان الشرق في معاهدات تجارية وثقافية.... معهم، وشركاتهم تغطي أراضي الشرق كله؟

فمن أين جاء هنتنجيتون بنظريته هذه وهي صراع الحضارات؟ نظريات لاستعداء شعوبهم على شعوب العالم بغير علم إلا ابتغاء تكوين إمبراطورية أمريكية مثل الإمبراطورية الإنجليزية، ونقول لمفكرينا: كيف تقارنون ما قاله الله ورسوله بما قاله فولتير وماركس وهنتنجيتون وخلافه من الفلاسفة؟

يقول الله ورسوله لأتباع الإسلام: اتبعوا العلم والأخلاق في جميع سلوككم، وتراحموا وتعاطفوا، واعمروا الأرض بالعلم والأخلاق، ثم نترك ذلك لنعتنق العلمانية الغربية بما جاءت به من فساد: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

هذه هي أمريكا بحضارتها ترفض توقيع معاهدة التلوث البيئي لكي يزيد ثقب الأوزون، فهي أولًا ويحرق العالم بعضه ... لا أخلاق.

هذه هي أمريكا بحضارتها تحافظ على أولادها بألا يحاكموا لو أخطئوا ... لا أخلاق.

هذه هي أمريكا بحضارتها تلفق التهم للشعوب الأخرى؛ لكي تحتلها، وتقتل

أهلها متعللة بأحداث "١١سبتمبر" حيث قتل ١٥٠٠ أمريكي، فقتلت عشرات الآلاف من أفغانستان والعراق بلا ذنب لهم ... أطفالًا، وشيوخًا، ونساءً...... لا يوجد صراع حضارات، ولكن يوجد صراع لصوص.

إن النموذج الأوربي أو الغربي أو الأمريكي في الحياة لا يستقيم في الشرق الإسلامي؛ حيث إننا ندين أساسًا بالأخلاق، لا نريد دعارة، ولا نريد شواذًا، ولا نريد تفكك الأسرة، ولا نريد زنا فاحشًا، ولا نريد أمراضًا، ولا اكتئابًا، ولا انتحارًا، نحن نأخذ علمًا نافعًا؛ لأنه ناتج بشري يعطيه الله للناس كافة، ولا نأخذ سلوكًا بشريًّا فاضحًا في حياتنا.

لا صراع بين الحضارات، ولكن تكامل بينها فهي رصيد الإنسانية أجمع منذ آدم إلى قيام الساعة، وإن كان هناك صراع فهو صراع أخلاق.

والحمد لله الذي أمدنا بعلمه فأخرجنا هذا الكتاب عسى أن يهدي أحدًا من خلقه أو يزيد أحدًا إيمانًا ويقينًا وأن يتقبل مني وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات من قرأه وعمل بما جاء فيه ونقول كما قالت الملائكة لرب العزة: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وفقنا يا الله إلى ما تحبه وترضاه.

عبدك

عبد الحافظ سلامة حامد

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الباب الأول	
يقولون القرآن مؤلَّف وليس وحيًا	
أولاً : ردُّ الله -عزَّ وجلَّ- في القرآن العظيم على الافتراءات التي أثيرت حول القرآن ورسوله	١٣
ثانيًا : العلم في القرآن	١٧
ثالثًا : علم التاريخ	٥٠
رابعًا : القصص في القرآن	٥٢
خامسًا : الجنة في القرآن	٥٨
سادسًا : يقولون: ما فرطنا في الكتاب من شيء! فأين طريقة صناعة الخبز في القرآن؟...	٧٠
سابعًا : هل الله في العهد القديم والجديد كما في القرآن المجيد؟....................	٧٥
ثامنًا : أسلوب الكتابة في القرآن	١٠٠
تاسعًا : آيات الله العلمية في إعجاز ترتيب السور في القرآن الكريم	١١٠
الباب الثاني	
يقولون عن محمد	
أولاً : كيف يصلي الله وملائكته على محمد؟ هل يسجد له؟........................	١٢٥
ثانيًا : يقولون: محمد رجل مزواج شهواني متعدد الزوجات ولا همَّ له إلا الجنس والزواج	١٢٩
ثالثًا : يقولون: إن محمدًا يحن للوثنية في عبادته..................................	١٤٠
رابعًا : يقولون: لو أُنزل على محمد الملك ميكائيل لكنَّا اتبعناه ولكن لا نتبعه لأن الملك صاحبه هو جبريل	١٤٥

الموضوع الصفحة

الباب الثالث

يقولون عن الإسلام

أولاً :يقولون: انتشر الإسلام بالسيف ١٥١
ثانيًا :يقولون: إن الإسلام لم يمنع الرق وإن المسلمين هم نخاسو إفريقيا؟........... ١٧٣
ثالثًا :يقولون: المسلمون يعبدون الشمس ١٨٢
رابعًا :لماذا لا يأكل المسلمون الخنزير؟ ١٨٤
خامسًا :يقولون: إن الإسلام ظلم المرأة ١٩٠
١ - الزواج والطلاق ١٩٠
٢ - وضع المرأة الاقتصادي ٢٠٠
٣ - الإرث ٢٠٦
٤ - شهادة المرأة ٢١١
٥ - عدم ولاية المرأة ٢١٥

الباب الرابع

يقولون عن الإسلام

(١) يقولون: إذا كان الإسلام الدين الكامل فلماذا لم تبدأ البشرية بالإسلام؟ ٢٢١
(٢) يقولون: الإسلام لا يمكن تطبيقه في المجتمعات الحديثة ..إنه دين التخلف! ٢٥٤
أولاً :منهج الإسلام في النظافة.. ٢٥٦
ثانيًا :منهج الإسلام في الأخلاق... ٢٦٠
ثالثًا :منهج الإسلام في الآداب... ٢٦٨
رابعًا :منهج الإسلام في الحريات... ٢٧٦
خامسًا :منهج الإسلام في الحقوق والواجبات....................................... ٢٩٣

الموضوع	الصفحة
سادسًا :منهج الإسلام في المعاملات المالية	٣١٩
سابعًا :منهج الإسلام في الحكم	٣٥٥
ثامنًا :منهج الإسلام في العلم	٣٧٥
(٣) العلمانية والإسلام	٣٨٧
(٤) صراع الحضارات	٣٩٨

رقم الإيداع:
٢٠٠٦/٢١٣٣٧
الترقيم الدولى: I. S. B. N
977 - 294 - 375 - 1

مطـابـع آمـــون

٤ ش الفيروز متفرع من إسماعيل أباظة

لاظوغلى - القاهرة

تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦